

محمد أحمد بابشمل

الإسلام ونظيرته الأروينية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة المؤلف
ويوزع مجاناً لوجه الله

الإسلام ونظرية داروين

الطبعة الثالثة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

هؤلاء النفر من رجال العلم والفكر الاسلاميين ، في هذا القرن الطافح بعناصر المادية الجارفة والالحاد المتنوع . هم جديرون بالحفاوة والتقدير وقمين بالعالم العربي والاسلامي ان يهتم بصرخاتهم ، وان يستجيب لنداءاتهم ليعود اليه سناء ومجده ، وذاتيته وكيانه .

ان هؤلاء النفر من رجال العلم والفكر الاسلاميين انما يقومون فيما ينشرونه من مؤلفات ومقالات ودواوين شعرية بتأليف (جرعات) من ترياق الاصلاح والهداية حتى لا يستمر طفيان المادية ومبادئ الالحاد على وجه الارض ، وخاصة في ديار العروبة والاسلام مهد الهدى والرشاد .

والمسلمون اذا ادركوا هذه الحقيقة وعملوا بموجيها فانهم ولا ريب سرعان ما يستعيدون مكانتهم ويعودون كما كانوا من قبل ، روادا للبشرية الى طريق الحق والخير والجمال .

والاستاذ محمد احمد باشميل حينما جنح الى اثاره سرية السلف الصالح وتجليتها بأسلوبه المتين ، كما شاهدناه فعلا في كتابه النفيس المفصل عن « غزوة احد » الحاسمة وحينما تعرض الآن لدحض شبه الملحدين في كتابه هذا الذي ناقش فيه (نظرية داروين) من وجهة نظر الاسلام والعلم الصحيح ، وفندها بدلائل علمية واضحة لا تقبل الجدل . انما يسير على نهج اولئك الرادة الشدة من رجال العلم والفكر الاسلاميين الذين يقفون على السبل وينثرون الطريق للبشرية النათية في ادغال المادية والالحاد الجارفين في عالم اليوم . وفي هذا لا ريب بشائر خير بان العالم الاسلامي ما زال في مكان الريادة برغم ضعفه وانحطاط كيانه . فالشعور بالمسؤولية العالمية لا يزال يراود رجال الفكر فيه . وهم اذ يرجئون بانفسهم في هذا الميدان الرهق لا يبتغون جزاء ولا ينتظرون مادة . وانما هدفهم كما كان هدف اسلافهم الابرار الاخيار ، تطهير الافكار والمجتمعات من داء وبيل خطير يكاد يقضي

عليهم القضاء البرم . وهذا العمل المجيد من جانب رجال الفكر هؤلاء يسهم
(الى أبعد الحدود) في القضاء على نظرية ماركس المادية الملحدة .

وان مضللي العالم ، من وجوديين وشيوعيين وغيرهم ليدركون خطر
الاسلام عليهم وعلى ما ينشرونه من سموم ، وما يذرونه من ادواء فتاكة ،
ولذلك يحاولون بكل قواهم ان ينشروا مذاهبهم الزائفة المستوردة في اجواء
(العالم الاسلامي) حتى يخدروا اقوامه بهذه (المخدرات) الهدامة الحاطمة ،
فلا تقوم قائمة له ولا للعالم من بعد .. (تماما مثل شارب المخدرات لا يريد
الا ان يرى الناس كلهم مثله في استعمال ما اعتاد استعماله) ليظلوا كلهم في
دوامة تخدير وذهول وغيبوبة دائمة عن الوعي الصحيح الراشد ..

وبعد ، فاني اقترح على وزارتي المعارف السعودية وعلى وزارة الاعلام
بها ان تسهما في هذا السبيل ، باتشاء لجنة او لجنتين منهما همهما القيام
بترجمة هذه البحوث القيمة الى لغات اجنبية ترجمات صحيحة فصيحة
شيقة ، لتسهم بذلك مملكتنا الفتية موئل الدين الاسلامي الحنيف ، ومهد
العروبة الاصيلة الخالدة ، في هذا البناء الشامخ المجيد ، ذودا للباطل من
ان ينتصر ، ومساعدة للحق لينتشر ، وللحقيقة الاسلامية الخالدة الشامخة
لتزدهر ، وللحق السامي الشامل ليرفرف بشوره وليسيطر وبالله
التوفيق

جدة في ١٣٨٤/٤/٣ هـ

عبد القدوس الانصاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

نحمدك الله على نعمائك والآثك ، وصل اللهم وسلم على نبيك ورسولك محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين .

اللهم نضرع اليك أن تمن علينا بإيمان لا يخالطه شك ويقين لا يشوبه ريب ، ونسالك باسمائك الحسنى وصفاتك المثلى أن تمدنا بعونك وتوفيقك ، وأن تجعل كل أعمالنا خالصة لوجهك .

- ١ -

لقد نالت نظرية (داروين) وهي (نظرية التطور والارتقاء) من الشهرة والذوبوع في العالم ما لم تنله أية نظرية حديثة حتى اليوم .

وذلك بسبب احتكاك هذه النظرية المباشر بجوانب حساسة من معتقدات الناس وأفكارهم وآرائهم المتمركزة في نفوسهم حول خلق العالم وتكوين الإنسان والروح .

لقد هزت هذه النظرية دنيا العلم ، واشغلت عالم الفكر ، وبعثت موجات من الغضب والاستنكار في محيط التدينين (وخاصة زعماء الكنيسة في أوروبا) .

كما أن هذه النظرية - في الوقت نفسه - انعشت روح الإلحاد ووسعت المجال لدعاة التحلل الإباحية أن يقولوا أكثر مما كانوا يقولون .

فمنذ ظهور هذه النظرية والصراع حولها مستمر بين العلماء والمفكرين ورجال الدين ، وخاصة عندما كانت السلطة الزمنية في يد رجال الكنيسة في أوروبا .

غير أن هذا الصراع قد خف كثيرا ، بعد أن انتصرت العلمانية على الكنيسة وجردتها من سلطتها الزمنية ، حيث بقي سلطان الكنيسة محصورا

بين جذرائها ، لاقتصاره على تنظيم علاقة الانسان المسيحي بمعبوده فحسب .
فبعد ان انتزعت السلطة الزمنية من يد الكنيسة التي كانت الخصم
القوي المرعب لدعاة نظرية التطور والارتقاء في اوروبا تنفس هؤلاء الدعاة
الصعداء وصاروا يوالون بحوثهم وينشرون آراءهم بمنتهى الحرية ، مما يسر
لهذا النظرية الانتشار والوصول الى كل حقل ثقافي في العالم كله .

- ٢ -

ان بحثنا في هذا الكتاب سيدور (ان شاء الله) حول النقاط الرئيسية
الآتية :

١ . اعطاء القارئ صورة مفصلة دقيقة عن جوهر (نظرية داروين)
والقواعد التي قامت عليها والحجج والبراهين التي تستند اليها ، مع اعلان
القول الفصل (حسب اجتهاد المؤلف) فيما اذا كانت هذه النظرية تعبر عن
الحقيقة الواقعة التي لا تقبل الجدل ، ام انها فرض من الفروض ، قابلة
للالغاء والتعديل .

ب . ابلاغ القارئ المسلم (وغير المسلم) حقيقة موقف الاسلام من
جوهر هذه النظرية ، واعطاؤه القول الفصل (حسب اجتهاد المؤلف) فيما
اذا كان القول بهذه النظرية يتنافى مع الاسلام والاعتقاد بوجود الله تعالى
ام لا .

ج . مناقشة الجناح اللاحادي من دعاة هذه النظرية - امثال (لامارك
الفرنسي) و (ارنست هيكل ، ويخنر الالمانيين) و (اوبارين الروسي الشيعي) (١)
وغيرهم من الملاحدة الماديين الذين ينفون الخالق سبحانه وتعالى ، ويقولون
(بالتولد الذاتي) وتأليه الطبيعة ، و (الحركة الابدية اللازمة للمادة)
ويركبون - لترويج هذا المنكر - متن نظرية التطور والارتقاء .

وقد ناقشنا (بتوسع ودقة) كل ما تشبث به هؤلاء الملحدون من ادلة
وبراهين ، مناقشة اثبتنا بها بطلان كل تلك المزاعم ، وسجلنا (بالطرق العلمية
والعقلية) عليهم تهافتهم وفساد ادلتهم وتخاذل حججهم ومناقضة بعضها
بعضا ، بحيث اوضحنا للقارئ بان هؤلاء الملحدون ليسوا على شيء ، وان
دعواهم عندما يأتي دور تمحيصها وتحليلها في مختبر العقل والعلم
والوجدان ، يتضح انها ليست اكثر من مغالطات ووساوس واوهام فاسدة .

(١) ستأتي ترجمة هؤلاء جميعا فيما يأتي من هذا الكتاب .

وهدفنا من وضع هذا الكتاب هو مساندة الشباب الاسلامي في معركته المضنية التي يخوضها (مرغما) مع تيارات التشكيك والالحاد التي اكتسحت المدرسة والجامعة والاذاعة والصحافة والنادي - ضمن فيوضات المذاهب والنظريات والافكار والعادات والتقاليد الاجنبية الدخيلة التي حملتها الينا المدينة الحديثة فيما حملت ، والتي يمر بها القارئ والسامع في مراحل تحصيله العلمي والفكري .

لقد اصبح الشباب المثقف في عصرنا هذا (وفي جميع انحاء العالم الاسلامي) اكثر تعرضا للانحراف عن سبل الهداية والانجرف في تيارات التحلل والفوضى ، وبشكل لم يسبق له مثيل في اية فترة من فترات تاريخ هذه الامة .

والسبب في ذلك كله يعود (في الدرجة الاولى) الى الاسباب الرئيسية الآتية :

١ - ان هذه المذاهب المخربة والافكار الهدامة والنظريات المضلة جاءت الينا كلها تزهو ، في لباس العلم والمعرفة والتقدم والتحرر . مما اسرع ببعض المثقفين - الذين لم يكن لهم من الحصانة الدينية والمناعة العقلية ما يحفظهم من الانحراف - الى اعتناق هذه المذاهب والنظريات ، بل والتعصب لها .

٢ - انعزالية اكثر العلماء المسلمين وانطوائهم على انفسهم - امام هذه التيارات الدخيلة المخربة - انطواء جعلهم يوصدون الابواب على انفسهم داخل ابراجهم العاجية التي حالت بينهم وبين خوض معترك الحياة العامة والاحتكاك بمختلف الطبقات للتعرف على شتى الميول والاتجاهات .

الامر الذي جعل هؤلاء العلماء لا يعلمون ما يجب ان يعلموه (بالتفصيل) عن هذه المذاهب والنظريات والافكار ، ومدى فعاليات ما تحمله من سموم وامراض الى اعماق البنىات الاسلامية ، وخاصة الثقافية منها ، والتي هي اليوم اكثر تعرضا وتأثرا بهذه السموم والامراض .

وهذا هو الذي يسر لمنظمات الالحاد وعصابات التفسخ والانحلال ان تعمل بحرية ونشاط ، بين فئات المثقفين السطحيين ، فتحرز ضد الايمان والفضيلة نجاحا لا يستهان به .

ذلك ان هذه التيارات الخطرة لم تجد اية مقاومة علمية فعالة حاسمة ومركزة من جانب هؤلاء العلماء في اية جبهة من الجبهات .

وبدهي أن لا توجد هذه المقاومة لأن هؤلاء العلماء (بحكم انغزاليتهم في أكثر الاقطار الإسلامية) ليس لديهم أي المام مفصل بهذه المذاهب المخربة والنظريات الهدامة ، فلا يعرفون القواعد والاساليب التي منها وبها ، يشن أعداء الاسلام هجماتهم المدمرة على مواقع الايمان ومراكز الاستقامة في نفوس الشباب ، وبالتالي لا يحسون بما تحمله هذه المذاهب والنظريات من فعاليات النسف والتدمير للعقائد والاخلاق .

فكان واجب هؤلاء العلماء القياديين (وخاصة في هذا العصر) أن يخرجوا من عزلتهم ويفتحوا ميدان الحياة ويتصلوا بمختلف طبقات الأمة اتصال القائد بالجند والطبيب بالمرضى والمحارب المسئول بالجيئة ، وأن يدرسوا هذه النظريات الخطيرة ويستوعبوا تلك الافكار المخربة ، شأنهم في ذلك شأن القائد المحارب اليقظ الذي (لكي يضمن القضاء على عدوه) يبذل قصارى جهده للتعرف على مواقع هذا العدو ومدى قوته ووسائل هجومه ومصادر تموينه ، ليسهل تحطيمها .

والايمان اليوم يخوض معركة رهيبة مع الالحاد والمجون ، معركة سلاحها الوحيد شيء اسمه (الفكر والعلم) وكسب هذه المعركة لا يتأتى للمدافعين عن الايمان والفضيلة الا عن طريق المام هؤلاء المدافعين بكل الاصول والقواعد التي يقوم عليها الالحاد والاباحية ودرس ما يستند اليه المحدون من حجج ويشغب به الاباحيون من مضلات الآراء ومغويات الافكار ، دراسة تمكن هؤلاء العلماء المدافعين التذايين عن الحق من أن يضفوا - بريشة البحث المركز والعلم الصحيح والمناقشة العميقة القوية الصائبة - علامات التنبيه والارشاد الواضحة على مواطن الانحراف ومواقع الضلال والفساد من هذه النظريات والافكار والمذاهب ، ليقف الناس عند هذه العلامات وقفة تدبر واستدكار ، فيقتنعوا عن بحث ونظر (وتحت تأثير قوة الحجة والبرهان) بفساد هذه المذاهب والنظريات والافكار ، فيجتنبوها .

اما بغير سلوك هذا السبيل فان مقاومة الالحاد والتحلل لن تكون الا مقاومة سلبية لن يكون لها أي تأثير في سير المعركة التي يخوضها الايمان مع الالحاد الذي سيستمر في زحفه مسجلا كل يوم نصرا في جبهة من الجبهات التي يشن فيها حربه المكشوفة او المكنة . حتى يغير محاربوه من العلماء المسؤولين اسلوبهم الضعيف المفكك في مقاومته .

فقد مضى الزمن الذي كان يكفي فيه - لابعاد الناس عن فكرة فاسدة او مذهب مخرب - أن يقول عالم من العلماء الرسميين .. هذا زيف وذاك ضلال فاجنبوه .

فقد أصبح الناس اليوم (وخاصة المتأثرين بالافكار الحديثة وعلى أي

مستوى كانوا) يصعب اغادة الضالين منهم (او السائرين في طريق الضلال) الى جادة الحق بمثل ذلك الاسلوب العتيق الذي لا يزال كثير من العلماء يظنون انه يكفي لاعادة الناس الى طريق الهداية .

٣ - من الاسباب التي يسرت للافكار الفاسدة والمذاهب المنحرفة الانتشار بين طبقات الثقفين (بصفة خاصة) استبعاد كافة العلوم الاسلامية من برامج التعليم في جميع مراحل التدريس ، من اول فصل في المدرسة حتى آخر مرحلة في الجامعة ، او ضعف مواد هذه العلوم ، وعدم اختيار المدرسين العقائدين الاسلاميين الاكفاء الاقوياء لتدريسها (اذا ما وجدت وتقررت اجباريا كما هو في بعض البلاد الاسلامية القليلة) .

وقد كان المفروض ان يكون تضلع الطالب المسلم بمختلف العلوم والافكار والتوجيهات الاسلامية هو خط الدفاع المنيع الذي يقف داخل نفس كل طالب مسلم ليحميه من مضلات تلك النظريات الفاسدة والافكار والمذاهب المخربة .

ولكن استبعاد هذه العلوم نهائيا ، او ضعف موادها او عدم اختيار الاساتذة العقائدين الاقوياء الاكفاء المتحمسين لتدريسها - اذا ما وجدت - هو الذي جعل الطالب المسلم (في اية مرحلة من مراحل تحصيله) يقف امام تيارات دعوات الالحاد والتفسخ والانحلال ، شبه اعزل من السلاح القوي الذي يجب ان يكون به مزودا تزويدا كاملا ، وهو التربية الاسلامية القوية الواعية المركزة ، التي صار الطالب ، اما يحرم منها كليا او يتلقاها سطحية ضعيفة ناقصة ، وهذا كله قد جاء نتيجة جهود كبيرة قام بها اعداء الاسلام عندما كانت مراكز التعليم القيادية في ايديهم (في اكثر اقطار العالم الاسلامي) منذ عشرات السنين .

٤ - ومن الاسباب اياها (ولعله اخطرها) عدم شعور كثير من الحكام في الاقطار الاسلامية وذوي المناصب القيادية التوجيهية فيها بمسئوليتهم العظمى نحو الاسلام كدين ودولة وخلق ومعاملة ، ونظرهم الى هذا الدين وما اتى به من تعاليم وآداب ، كامر شكلي لا اهمية له ، هو آخر ما يمكن ان يفكروا فيه (اذا ما فكروا) بل ان كثيرا منهم لينظر الى هذا الدين وكأنه عبء ثقل يجب ان يزول ، وذلك لجهلهم بحقيقته او لتربيتهم على ما يتنافى مع تعاليمه ، ولا يتفق مع اتجاهاته .

ومن هنا كان بدهيا ان يعمل كثير من هؤلاء الكبار ما أمكنهم على تعزيد كل قول او عمل فيه تشجيع ومساندة للإباحية والالحاد، مستغلين مناصبهم لمقاومة روح الاسلام والخروج على آدابه ، مع العمل على اعنات العناصر الاسلامية الفعالة وخنق صوته ومحاربتها بكل الوسائل والسعي لسدى

الجهات العليا لاقضاء هذه العناصر عن كل مركز قيادي في الدولة .

مع حذب هؤلاء الموظفين الكبار على العناصر الاباحية المتحللة وافساح الطريق امامها والسعي لاقعادها في المناصب القيادية الحساسة ، وبهذا عزلت العناصر الاسلامية القوية العاملة اما عزلا تاما عن المراكز التوجيهية ، او بقيت في مراكز جانبية مسلوبة الصلاحيات ، او الزمت بالبقاء تحت قيادات تلك العناصر اللادينية المتحللة ، بغية اذلالها وتحطيم معنوياتها لكي لا تستطيع القيام بأي عمل جدي واسع فيه نصر فعال للاسلام ، او خطر على قافلة التحلل والانحراف التي تسير تحت اشراف اولئك الكبار المتمركزين في تلك المناصب الكبيرة .

وهذه منطقة الخطر التي انطلق منها (في كثير من الاقطار الاسلامية) وسينطلق ولا شك اعصار التدمير والتخريب والاضطراب داخل الاقطار التي قامت حكوماتها على اساس اتخاذ الاسلام محورا تدور حوله في احكامها ومعاملاتها واخلاقتها ، اذا لم تنتبه الرؤوس الكبيرة في هذه الاقطار والتي ليس غيرها مقصودا (في الدرجة الاولى) بهذا النسف والتدمير الذي تعده لها هذه العناصر التي نرى كثيرا من الرؤوس الكبيرة في العالم الاسلامي تسلم الى هذه العناصر الخطرة (في براءة تشبه البلاهة) مصاير الدولة والامة على السواء .

وان العاقل الصادق المخلص ليتساءل (بحرقه والم) كيف تعطى قيادة السفينة الى من يرى ان تحطيمها من اكبر اهدافه الرئيسية واغلى امنياته في الحياة ؟؟

واعتقد انه لا يختلف اثنان من العقلاء في ان من اكبر الاسباب التي تيسر لعناصر الفوضى والتخريب مهمتها ان تعطى مقاليد امور ايا كان نوعها (في دولة قامت على اساس الاسلام) الى من هو فاسد في نفسه واخلاقه وخضم لهذا الدين ، يتمنى من صميم قلبه ان لا يرى له ظلا ولا يسمع له صوتا .

وهل تؤتى الدول الاسلامية ويسرع اليها الانحلال والتدمير الا عن طريق مثل هذا التصرف ؟ (١) .

(١) ان الانقلابات المريعة التي تتبعها الكوارث الدامية والتدمير والقلق والفوضى نفسي كل شيء ، ليست الا نتيجة طبيعية للتدمير الاكبر الذي يسبقها ويمهد لها ، هذا التدمير الذي يتمثل في نسف العقائد وهدم الاخلاق والعمل (بصفة رسمية) على اشاعة روح الاباحية والتحلل وقتل الوازع الديني في النفوس بين جميع طبقات الامة ، وذلك بانفاق الملايين على الوسائل التي تؤدي الى ذلك كله مما يعد خروجا على آداب الاسلام وانتهاك لحرمانه ، وهبما لكان الدولة في الوقت ذاته ، والذي لا بد من ان ياتي فاعليه والراضين =

ولماذا يحرص الشيوعيون والطامعون اللادينيون على انتزاع كل وازع ديني وخلق من النفوس ؟.

انهم يفعلون ذلك لكي يتحول الانسان الى حيوان مفترس يسهل عليهم استخدامه للقيام بأي عمل (مهما كان منحطا ووحشيا وفظيعا) لان الانسان الذي يقطع صلته بالله يتجرد من كل احساس انساني ، اذ لم يبق لديه اي وازع ديني يحول بينه وبين ارتكاب اية جريمة مهما كان نوعها .

وما نراه ونسمعه مما يحدث حولنا من كوارث رهيبة دامية واعمال وحشية يترفع عن اتيان مثلها احط انواع الحيوانات المتوحشة ، انما سببه الاول ذهاب الوازع الديني وافساح المجال للعناصر اللادينية المتحللة لتتربع على كراسي المناصب التوجيهية والقيادية في الدولة ، وفي ذلك عبرة لمن

= به والشجعين على فعله ، مثل الدين خلوا ، الذين بارزوا الله بالمعصية وتحذوه بمخالفة امره فطوى بساطهم ودمر كياناتهم ، كما قال في كتابه العزيز « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفها ففسقوا فيها نحق عليها القول فدمرناها تدميرا » فمخالفة الله بالمعصية (مهما كانت ومهما اليسها المفلتون من اردية لنفي صفتها الاساسية عنها وتسميتها بغير اسمها) هي من اكبر الاسباب التي تستنزله غضب الله والذي تكون نهاية المتعرضين له الضياع والتدمير ، (ان) - فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم - وعلى الذين لا يزال الانحراف بينهم وليدا ، ولا يزال المصمون من العاملين في دولتهم (على نشر الفسق واعلان المعصية بالصفة الرسمية) في بداية الطريق .. عليهم - اذا ما ارادوا حماية انفسهم وشعوبهم مما اصاب غيرهم من كوارث مريضة وفجائع مدمرة ، نتيجة معالنتهم الله بالمعصية وسبأه (رسميا) بما يفضيه - عليهم ان يتقوا الله في انفسهم وشعوبهم فيحافظوا على نعمة الامن والاستقرار والرخاء والطمانينة والهدوء التي يستمتعون بها والتي يحسدكم عليها ارضي الدول حضارة ومدنية ، والتي لم تتوفر لهم بفضل قولهم الجبلة او مباحثهم واستخباراتهم النشطة الواسعة ، وانما بفضل الله ثم بفضل ما بقي لهم من رسيد الدين والخلق الذي صمم خصومهم (المتظاهرون بالولاء امامهم) على تبيده واضاعته ليكونوا في عداد المفلتين من هذا الرصيد الذي لا يزال (حتى هذه اللحظة) هو الحارس الوحيد لدولتهم من ان تهدم وكيانهم من ان يتحطم . والمحافظة على النعمة الكبرى التي ذكرنا ان تحقق الا بالرجوع الى الله وايضا كل مشروع او حركة فيها خروج على آداب الاسلام او لمرد على شرائعه واحكامه او تشجيع على انتهاك حرمات الله ، مما يستتبع به اليقظ من وسائل المجون والانحراف ، نعم عليهم اذا ما ارادوا المحافظة على هذه النعمة الكبرى ان يكونوا حيث اراد الله منهم ان يكونوا ، والا يستجيبوا لمصيحات الانحراف التي تتسم (للتحسين والاستئالة) بطابع الرقي والتقدم وسبيرة الركب الحضاري ، نعم عليهم ان يكونوا حيث اراد الله منهم ان يكونوا وان يصموا آذانهم عن صوت كل داع ، غير داهي الله ، والا فان الله تعالى ليس بينه وبين احد نسب او قرابة ؟ فكل من عالى الله بالمعصية او تحداه باعلان ما يفضيه ، فانه يقسمه ويحطمه ولا يبالى . مرة اخرى - فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم - .

اعتبر (١) ، وعلى الحكام الذين لا يزالون - هم وشعوبهم بخير - ان يتدبروا امرهم ويتدارسوا هذه المعبر ويتعظوا بها لكي ينجوا مما وقع فيه غيرهم من كوارث وفجائع ، وهذه النجاة لن تتحقق لهم الا باستبعاد كل العناصر اللادينية المتحللة من كل المناصب التوجيهية والقيادية في أي مرفق من المرافق ، بل والضرب على ايدي هذه العناصر لحسم شرها وتجنب أذاها . اما تملق هذه العناصر الفاسدة المتحللة واسناد المناصب الكبرى ذات العلاقة المباشرة بمصير الأمة والدولة إليها ، فانه لن يؤدي في النهاية الا الى الخراب العام والدمار الشامل ، وخاصة في الدول التي قامت على أساس من الاسلام الذي ترى فيه هذه العناصر الاباحية عبئا ثقيلا تحرص على ازالته لانه يزعمها من اكبر عوامل التأخر وعوائق التقدم .

- ٤ -

ان مما لا جدال فيه ان بعض النظريات العلمية الوافدة الينا لم توضع (أصلا) للدعوة الى الالحاد والتحلل ، ولكن دعاة الكفر والاباحية استغلوا شهرتها العلمية العالمية فجعلوا منها وسيلة للتفريير بالقاصرين السطحين

(١) وانها لظاهرة عجيبة وخطيرة يلحظها كل مخلص يتخوف واشفاق (في بعض أقطارنا الاسلامية) وهي انه كلما ازداد امر هذه الفئات اللادينية المتحللة اكتسافا ، كلما ازداد كبار المسؤولين بها تمسكا وبها اطمئنانا ، وكلما ازدادت روائعها الخبيثة تصاعدا ، وكلما تضافرت الأدلة وتوافرت البراهين على كيد هذه الفئات للدولة وعملها (قدر المستطاع) على ما فيه تشويه لسمعتها واضعاف لكيانها وافساد لاخلاق شعوبها ، كلما ازدادت ثقة المسؤولين الكبار بها والركون اليها ، فكان لسان حال هؤلاء الحكام (في أكثر من قطر اسلامي) يقول .. من اراد ان يكون محل تقننا وموضع تقديرنا فعليه ان يكون على مستوى هذه الفئات نسادا وتحلا وكيندا لنا وتربضا بنا ، وهذه ظاهرة (لعمرو الله) مخيفة نسال الله تعالى ان يقي أمة محمد ودينها واخلاقها شرها ، وهي ظاهرة لا تشبهها الا تلك الظاهرة الخطيرة التي سبقت نكبة المسلمين المروعة في الغرب في الاندلس وفاجئتهم في الشرق ، في بغداد ، حيث ابتلى الله حكام تلك الاقطار بوضع تقننهم في اعداء دينهم وخصوم دولتهم من المتحللين الفاسدين والسياسيين العملاء الماكزين الذين كلما لغت الفئات المخلصة أنظار أولئك الحكام اليهم وحذرهم منهم كلما ازداد . أولئك الحكام ثقة بهم واعتمادا عليهم ، وتفرما من المخلصين وشكا في نواياهم لم يبلهم ، حتى تمكن أولئك الخصوم من القيادة ، فساروا بالدولة والامة في طريق الخراب الاخلاقي والسياسي حتى ضربوا ضربتهم القاتلة ، فوقعت الواقعة ووقف هؤلاء الخصوم الموثوق بهم على جثث الذين وقتوا بهم يتلهون بها في زهو وتشف وانقام ، وليسأل المنعوب (في أقطارنا الاسلامية) عن مصر المستعصم بالله في بغداد ومصر أبي عبدالله في غرناطة ، ذلك المصير المرعب الذي آل اليه ذاك الخليفان ، وبالتالي آلت اليه تلك الدولتان العظيمتان نتيجة الثقة بالخصوم والاطمئنان الى العملاء الجواسيس الذين كانوا يتظاهرون (نفاقا) بالولاء والاخلاص . وما اشبه الليلة بالبارحة .

فجروا الكثير منهم (باسم هذه النظريات) الى هاوية الكفر والضلال .
ومن هذه النظريات نظرية التطور والارتقاء التي صارت تعرف باسم
(نظرية داروين) والتي هي موضوع كتابنا هذا .

فقد ضل كثير عن طريق النظر في قواعد هذه النظرية والتأثر بها ،
وذلك لا لان اصول هذه النظرية (ذاتها) يستلزم الايمان بها الانحراف والكفر ،
وانما لان الكثير ممن تولوا شرح هذه النظرية والتفلسف في معانيها ، هم دعاة
كفر واباحية ، ومن هؤلاء (الماركسيون) الذين وجدوا في هذه النظرية
ضالتهم المنشودة حيث استغلوا شهرة هذه النظرية وما يعتري بعض
قواعدها من غموض وتعقيد وخاصة فيما يتعلق بالروح ونشأة الحياة
وموضوع تطور الكائنات الحية وتحولها ، فطاروا بهذه النظرية ثم اضافوها
الى وسائل الاغواء والاستدراج التي بها توصلوا الى الانحراف بكثير ممن
الناس عن جادة الاستقامة والهداية .

فجنتوا بكثير من الشباب المثقف في منمرجات الضلال واستدراجهم
الى سراديب الاباحية والتفسخ ، فسلموا من هذا الشباب المسكين نعمة
الطمأنينة والاستقرار التي مصدرها الايمان بالله تعالى ، وابدلوه بهذه
الطمأنينة بلية الحيرة والقلق التي يعيشها اليوم شقيا تمسا ، وهل احد
اشقى من المصابين بمرض الشك والالحاد والتفسخ والعريضة ؟ اللهم امن
علينا بنعمة الايمان والاستقامة .

ان هؤلاء المرضى تمسا معذبين ، وطوبى للمؤمنين المستقيمين وهنئا
لهم الطمأنينة التي يعيشون سعداء آمنين في ظلها .

ومن المؤسف ان ضحايا الزيف والاباحية الذين يترنحون تحت ضربات
الشك والحيرة والقلق ، هم (او اكثرهم) من الشباب المثقف او الشيوخ
المتصابين بالتسمين باسم الادب والثقافة) الذين جنت بهم سفينة الحياة
عن طريق الاستقامة والهدى ، الى شاطئ الضلال ليكونوا فئة للمحرفين
والسفهاء ، حيث صاروا بمثابة خصم عنيد لكل ما يدعو اليه هذا الدين من
فضيلة واستقامة وتحفظ ، بل نصبوا من انفسهم محامين يدبون عن السفهاء
ويتولون المرافعة عن الضالين ، تحت ستار الدفاع عن الامة - وما ارادوا الا
الدفاع عن انفسهم المنحرفة .

فكم رأينا هذه الفئات (في اكثر من بلد اسلامي) يفتلي الدم في عروقتها
ولا تكاد تملك نفسها غضبا ، عندما ترى سوط حق ينهال على ظهر فسق او
ضلال ، وكم رأيناها رافعة عقيرتها في تساند عجيب ووقاحة اعجب شاكية
بأكية ، طالبة اخراس اصوات الحق وتحطيم اقلام الهداية بدعوى ان اصحاب
هذه الاقلام يشتطون في التعبير ويتزمتون في الحكم ولا يراعون للشعب

حرمة ولا كرامة ، حيث يصدر عن احكاما عمومية على جميع افراد نساء ورجالا بالسفاهة والضلال ، مما يعرض الامة (بزعمهم) لفتنة لا يعلم مداها الا الله .

وما ارادوا (والله) حفظ كرامة ابناء الشعب ، فهم على اهدارها احرص ، وانما ارادوا حماية عناصر الفساد والتحلل وحراسة مواكب الفسق والانحراف لتشق طريقها في حرية وامان ، دون أن يعترضها معترض ، أو حتى ينكر عليها منكر بقلعه أو لسانه .

وهل مما يعرض كرامة ابناء الشعب للهدر والامتهان أن يقف اصحاب الاعلام المخلصة لتحذير الشعب اياه من شروخ شرذمة فاسدة متحللة ، هدفها الاكبر أن يكون كل ابناء الشعوب الاسلامية على مستواها اباحية وضلالية ؟؟ فاي خطر بالله على ابناء الشعب من أن يشير لهم كاتب الى هذه الشرذمة الفاسدة التي تعرف برسمها من غير حاجة الى ذكر اسمها ، ويحذرهم منها ومن شروخها ومقاسدها ؟

وهل فلان وفلان ، وعلان وفلتان ، وامثالهم من افراد العصابة اياها والتي لا ينطبق وصف السفهاء على سواها ، هل هؤلاء هم كل افراد الشعب ، حتى يعتبروا التنديد بالسفهاء والمطالبة بالضرب على ايدي المضلين تهجما على الشعب كل الشعب ؟؟

محمد احمد باشميل

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية
جمادى الاولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

إِعْتِرَافٌ وَرَجَاءٌ

لا شك أن الخوض في مثل موضوع كتابنا هذا ، هو مركب صعب وطريق شائك يصعب على سالكه المرور فيه دون أن يقع في الخطأ - وخاصة إذا كان على مستوى المؤلف من حيث القصور وعدم الكمال - إلا أنني مع هذا سلكت هذا الطريق وركبت هذا المركب الصعب الذي لا يخلو من مغامرة، أو هو المغامرة بعينها (بالنسبة لي) .

ولهذا فاني على ما يشبه اليقين بأن الكتاب لن يخلو من الايخطاء سواء من الناحية الدينية أو العلمية .

غير أن الذي أرجو أن يكون لي شفيعا عند القراء الكرام (وخاصة علماء الدين الأفاضل) هو أن هذه الأخطاء التي قد يجدونها هي أخطاء غير مقصودة ، وإنما هي نتيجة القصور البشري الذي هو ملازم لكل إنسان .

يضاف الى ذلك أن هذ في الاول والاخير من تأليف هذا الكتاب هو الدفاع عن الحق والذب عن عقيدة التوحيد وكشف شبه الملحدين وإظهار بطلانها لئلا يغتر بها الشباب المسلم المثقف الذي طالما قدمت اليه في أطباق العلم الزاهية فاغتر بها البعض فاستساغها على أساس أنها من جملة العلوم الراقية .

والله وحده يعلم كم بذلت من الجهد المضني في اخراج الكتاب ، وقد بذلت لاتباع الحق واجتناب ما يخالفه قصارى جهدي ، فان أصبت فبتوفيق الله وإن أخطأت فما أنا إلا بشر يخطئ ويصيب .

وأرجو من القاريء الكريم أن يشرفني - كتابة في الصحف أو مراسلة خاصة - بالتنبيه الى أي خطأ يراه في هذا الكتاب لاتلافاه وأقوم بتصحيحه، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

الفصل الأول

- * وصف نظرية داروين كما هي .
- * الرد على الجناح الأحادي في النظرية .
- * أهم الاعتراضات على مذهب داروين .
- * قواعد النظرية وبراهينها .
- * القول الفصل في النظرية من ناحية ثبوتها او عدمه .

دارت بيني وبين أحد الشيوعيين العرب عدة مناقشات مريحة حول ما يدعيه الملحدون من انكار الخالق سبحانه وتعالى ، وبهرفون به من تأليه الطبيعة واعطائها صفة القادر على كل شيء .

وقد دارت هذه المناقشة في عدة جلسات ناقشنا فيها اهم شبه الملحدين وهدمناها واحدة واحدة ، وقد حضر كل جلسات المناقشة جمع من الشباب المثقف الذين شارك البعض منهم في هذه المناقشة .

وقد ادعى بنا الاستطراد والتوسع في البحث الى مناقشة (نظرية داروين) التي هي احدى نقط الارتكاز التي يستخدمها الملحدون للتشويش على عقائد السطحين من المثقفين ، بنية جرهم الى هاوية الكفر والالحاد .

وقد تضمن جميع محاضرات هذه الجلسات كتاب كبير سنصدره قريبا ان شاء الله تحت عنوان (افي الله شك ؟) الا اننا رأينا (مع هذا) ان نفرد البحث الخاص (بنظرية داروين) في هذه الرسالة التي اسميناها (الاسلام ونظرية داروين) (١) .

(١) بالرغم من اننا افردنا هذا البحث الخاص بنظرية (داروين) في هذا الكتاب الا ان هذا البحث سيبقى (كما هو) جزءا من كتابنا (افي الله شك !!)

ترجمة داروين

هو ، (تشارلز دويرت داروين) العالم البريطاني الطبيعي الشهير ، ولد (داروين) في ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفي في ١٩ نيسان ١٨٨٢ م ، كانت امه ابنة صانع خراف اسمه (ودجود) ادخله والده في كلية يسوع بجامعة كيمبريدج لينخرط في سلك اللاهوت ، وبعد ان اكمل نواسته في تلك الكلية ، قام - سنة ١٨٣١ م - برحلته الشهيرة حول العالم التي استغرقت -

وهذا هو البحث المستقل الذي جاء (ضمن المناقشة) بعد أكثر من ثلاثين جلسة .

ففي الجلسة الثانية والثلاثين - وبعد أن أثبتنا للأخ المستفسر أن القول بدوران الأرض حول الشمس ليس فيه ما يتصادم مع أصول الإسلام أو يتنافى مع الاعتقاد بوجود الله تعالى - قلت للشيوخ المحدث :

إن للنقاش بيننا وبينكم بقية ، فهو لم ينته بعد .

فهناك أمور على جانب كبير من الأهمية وشبهه لم نتطرق إلى بحثها ومناقشتها ، هي من أكبر الأدوات التي يشغب بها المحدثون على المؤمنين .

ولعل أهمها نظرية التطور والارتقاء ومذهب العشوائية ، والتولد الذاتي والمصادفة . (٢)

== خمس سنوات ، وقد كانت هذه الرحلة ضمن البيئة العلمية البريطانية التي أوفدت على ظهر السفينة « بيجل » وقد اطلع داروين في هذه الرحلة الطويلة على الكثير من أسرار عالم الحيوان والنبات ، ولم يكن قبل رحلته تلك قد شاع عنه القول بالتطور والارتقاء ، بل لقد كان يعرف أن « لامارك الفرنسي » يقول بهذا القول ، ولكنه كان حتى قبل قيامه برحلته على ظهر « البيجل » يرى أن ما يقوله « لامارك » حول التطور والارتقاء ، ضرب من البهوس ، ولكن ملاحظاته على ما شاعده في بحوثه على الحيوانات والنباتات جعلت منه قطبا لنظرية التطور والارتقاء التي سميت فيما بعد باسمه ، فقد كانت ملاحظاته في تلك الرحلة أساسا لمؤلفاته الشهيرة التي أقعد بها العالم وأقامه ، وأيد بها القول بنظرية التطور والارتقاء ، وقد كان أهم كتبه في هذا الباب هو « أصل الأنواع من طريق الاستطفاء النومي » إذ أنه سند نظريته الشهيرة ، وقد وقف داروين حيانه كلها للبحث في التطور والارتقاء وتدمير النظرية القائلة به ، وقد أحدثت كتبه حيال هذا الأمر هزة عنيفة في العالم ، وخاصة بين رجال الكنيسة ، فتمرض من أجل ذلك لحملات عنيفة شعواء ، فانشغل العالم الغربي كله بهذه النظرية ، واحتدم الجدل بين معارضيها ومناصريها بشكل لم يسبق أن حدث من أجل نظرية من النظريات ، قال العالم الشهير « باسكال » مرة « إن وجه العالم كله قد تغير من جراء شكل انف كيلوباترا » ، وبعد ألفي سنة تقريبا تغير وجه التاريخ مرة أخرى من جراء شكل انف آخر هو انف داروين .. لم يقل داروين (كما أشيع عنه) أن أصل الإنسان فرد ، وإنما قال .. أن الإنسان والمجموعة الشبيهة به كالمسياني متحدان من أصل واحد ، وذلك في كتاب أصدره بعنوان (تحدر الإنسان) عام ١٨٧١ م . تزوج داروين عام ١٨٣٩ م ، كان داروين من سكان لندن إلا أنه عام ١٨٤٢ م انتقل منها إلى (داون) وبقي بها مقبلا حتى توفي ، نال داروين وسام الاستحقاق الروسي سنة ١٨٧١ م وفي سنة ١٨٧٨ صار عضوا في الأكاديمية الفرنسية ، وقد عمل داروين سكرتيرا للجمعية الجيولوجية من سنة ١٨٢٨ إلى سنة ١٨٤١ .

(٢) مزاعم المحدثين ومشافيهم عن طريق القول بالتولد الذاتي ، قد ناقشناها في هذا الكتاب (ضمن مناقشتنا لنظرية التطور والارتقاء) لملائمتها الوثيقة بهذه النظرية ، والقتال بها ليس (داروين) وإنما هو (لامارك) و (أرنست هيكل) أما دعوى المحدثين وتشبيهم بالعشوائية والمصادفة كأهم ركنتين من أركان ملههم ، فقد نقضناها (من جميع وجوهها) في كتابنا (آفي الله شك !!) الذي سيكون التالي لهذا الكتاب إن شاء الله ..

فقال .. انني على استعداد تام لمناقشة اي من هذه الموضوعات وعلى اي مستوى تريد ، وفق انني مستعد للنقاش حتى يأتي قفل باب المناقشة من جانبك أنت .

فقلت له .. عظيم جدا .

ثم التفت الى مجموعة الشباب المسلم الذين حرصوا على حضور كامل جلسات المناقشة ، وقلت لهم :

هل من ملاحظة او سؤال يمكننا الشرف بالاجابة عليه ؟

فقال احدهم ، وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره :

لقد تكرر منك القول مرارا فيما مضى من جلسات بانك ستناقش الشيوعي الملحد حول نظرية التطور والارتقاء التي هي (كما تشير دائما) إحدى الدعام التي يتمكك بها الماديون لنصر مذهبهم الالحادي .

فهل لك أن تشرح لنا (بأسهاب) حقيقة هذه النظرية ، وما هو مبلغها من الصحة ، ومن هم أبطالها وبالتالي (وهو الأهم) ما هو موقف الاسلام من القائلين بهذه النظرية ؟؟ .

ثم أردف قائلا .. ان الخوض في نظرية التطور والارتقاء طالما كان مبعث جدل وخصام بين الشباب المثقف بل طالما جر الكثير منهم ووقف به على شفير الاحقاد ، وحيث ان الخوض في هذه النظرية اصبح امراً لا مفر منه بسبب كثرة ما ألف وتشر وشاع عن هذه النظرية بين طبقات المثقفين ، فانا نود معرفة القول الفصل في هذه النظرية من جميع النواحي .

ما هي نظرية التطور والارتقاء ؟

فقلت له ... ان نظرية التطور والارتقاء خلاصتها ، ان انصارها يزعمون ان الحياة الاولى للانسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الارض بجراثيم او جراثيم قليلة تطورت من حال الى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت الى هذه التنوعات التي نراها وعلى رأسها الانسان .

وعلى هذا فان الانسان عندهم بدأت حياته على ظهر الارض بجراثيم صغيرة تحولت الى حيوان صغير ثم تدرج هذا الحيوان وارتقى الى حياة حيوانية بدائية فالى حيوانات اكبر فاكبر ريشية ومجنحة ثم تحولت الى ذوات فقرات ثم ارتقت الى حيوان اشبه بالانسان ، ثم كانت نهاية هذا التطور انسانا اول ، لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ثم انسانا كاملا وهو المشهود اليوم بعقله وتفكيره وادراكه .

ويقولون ان هذه التحولات والتطورات والترقيات جاءت بعد صراع مرير بين هذه الكائنات وبين عوامل الطبيعة وتقلباتها وبين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض ، عبر آلاف القرون من اجل البقاء .

كيف بدأت الحياة عند داروين ؟

فهم يقولون (مثلا) ان الحياة الاولى عندما وجدت حول المستنقعات كان عليها أن تصارع من اجل البقاء وأن أول عمل وقائي لتحصن الحياة ضد الغناء هو أن تغلفت هذه الحياة بصدف كلسي يقيها من الحرارة (٣) .

ويقول لامارك (مؤسس نظرية التطور والارتقاء) : ان أول درجات سلم الكائنات الحية والذي هو بداية البداية التي نشأت منها صور الحياة الأخرى (بمختلف أنواعها) هو (البوليپ) .

والبوليپ هذا وصفه (لامارك) (٤) بقوله .. انه ليس له أعضاء خاصة

(٣) جاء في كتاب (البدء والتاريخ) للامام البلخي وهو من علماء القرن الثالث الهجري .. ان الحيوان (كل الحيوان) قد تولد من الرطوبة وأنه كان يشبه قشر مثل قشر السمك ، لم قال (وادم حيوان) فعند بعضهم ان آدم تولد من رطوبة الأرض كما يتولد سائر الهوام ، وعند بعضهم انه ظهر شيئا بعد شيء ثم تركب والفصل على مرور الزمان وصار انسانا ، وهذا يعني ان نظرية التطور والارتقاء كانت معروفة بين فئات المفكرين المسلمين قبل ان يولد داروين بمئات السنين .

(٤) هو عالم فرنسي اسمه (جان بايست لامارك) ولد (لامارك) سنة ١٧٤٨ م ، كان ابن أحد النبلاء في فرنسا ، وكان في أول شبابه يدرس علم اللاهوت ، ثم بعد موت أبيه التحق بالجيش الفرنسي الذي عمل فيه جنديا فحاض المارك ضد الألمان في حرب السنوات السبع ، وقد ترنى لامارك الى رتبة ملازم ، بعد نجاحه في انقاذ بقايا فرقة فرنسية إباد الألمان جميع ضباطها وكثيرا من جنودها ، ثم سرح (لامارك) من الجيش على اثر ألم أصابه في الفخذ اللغاوية بريقته ، فبدأ (بعد ذلك) بدراسة الطب ، إلا انه ترك دراسة هذا الفن بعد أن التقى بالفيلسوف الشهير (جان جاك روسو) الذي كان يقوم بالتدريس في علم النباتات ، وواصل (لامارك) دراسة علم النبات ثم تلمذ على عالم النباتات الشهير (برنارده جوسيه) كما أنه أيضا درس علم الفلك ، وقد توسعت معارفه فبرز في الطبيعية ، حتى ان أول كتاب ألفه هو (علل أهم الوقائع الطبيعية) وذلك عام ١٧٧٦ - وفي عام ١٧٧٨ أصدر كتابا في ثلاثة مجلدات اسمه (النبات الفرنسي) ، وأثناء درسه في الطبيعة برع في هذا الفن ، حتى عين سنة ١٧٩٤ استاذاً لعلم الحيوانات اللاقوية ، وبهذا بدأت فلسفته العلمية فاتجه الى القول بنظرية التطور والارتقاء وأعلن ذلك عام ١٨٠٠ م وفي عام ١٨٠٩ م أصدر كتابه (فلسفة الحيوان) الذي شرح فيه مذهبه في التطور والارتقاء ، ومذهب (لامارك) في التطور والارتقاء لا يختلف من حيث القواعد مع نظرية داروين ، إلا ان لامارك يعتبر زعيم الجناح الانعادي في هذه النظرية ، حيث زعم ان الحياة الأولى تولدت من المادة تولد ذاتيا ودونما تدبير من مدبر أو إرادة من مريد ، وقد نقضنا هذه المزايع الباطلة عند مناقشتنا لإراء الفيلسوف (لامارك) فيما ترى من هذا الكتاب . مات (لامارك) عام ١٨٢٩ م .

للحس أو التنفس أو الدوران أو التكاثر وأنه لا شيء فيه إلا قناة بسيطة منفردة للاغذاء ، وأنه يستطيع أن يمتص غذاءه من خلال أي جزء من أجزاء جسمه ، وأن أنواع البوليبي هذا لضالة جسمها تكاد تكون غير ذات شكل معين كأنها كريات من الهلام والجلاتين .

كيف تتحول الأنواع إلى غيرها ؟

وهكذا فاقطاب نظرية التطور والارتقاء يرون أن أبسط الكائنات الحية (البوليبي أو ما شابهه) قد نشأ عنه كل ما عداه من الأحياء ومنها الإنسان وذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات تحولت أثناءها أنواع من هذه الأحياء إلى أنواع أخرى أرفع منها ، تخالفها في الشكل والطبيعة واللون . وعلى هذا فانهم يرون أن حيوانات كانت تمشي على بطنها قد تحولت إلى حيوانات ذوات أربع وأن ريشيات ومجنحات قد تطورت إلى غيرها من ذوات الفقرات ، وهم بهذا يصلون إلى القول بأن الإنسان ما هو (في الأصل) إلا حيوان بسيط تحول من نوع إلى آخر وارتقى من الأدنى إلى الأعلى حتى وصل إلى ما هو عليه من كمال ، ومثل هذا يقولونه في النباتات من حيث تطورها وارتقاها وانتقالها من نوع إلى آخر .

وهم يصرحون بأن هذه التغيرات والتطورات التي بها يتغير الحيوان وينتقل من نوع إلى آخر تجيء دائماً تبعاً لتغير البيئة وتبدل ظروف المعيشة فهم يقولون أن هذا التطور والتغير قد حدثا لأن الحيوان قد تغير بمرور الزمن كي يلائم بين نفسه وبيئته وأن السلوك وطريقة الحياة التي كان يعيش فيها أسلافه هي التي شكلت على مر الزمن صورته الجسدية وأعضائه وخصائصه ، وأن لاستخدام الأعضاء أو إهمالها أثر في بقاء النوع على ما هو عليه أو تغيّره إلى سواء ، فأعضاء الحيوان إذا أهملت مثلاً ، لعدم الحاجة إلى استعمالها لتغير الظروف فإن هذه الأعضاء تضمر وتذوي ، وهنا يأتي دور ظهور أعضاء جديدة (ظهورها ضروري لبقاء النوع) يستطيع بها الحيوان العيش في البيئة الجديدة ، ومن هنا يبدأ تغير النوع وتحوله من نوعه إلى نوع آخر وبمثل هذه الطريقة تتحول الأنواع وتتطور وترقى .

فالبوليبي (مثلاً) يتغير بتأثير بيئته على مرّ آمادٍ متطاولة من الزمن حتى يصبح واحداً من التشمعات وهذه تتحول إلى ديدان ، وتلك تصبح بدورها على مر الزمن حشرات ، وهكذا تذهب الأحياء صاعدة فوق درجات السلم حتى تترقى إلى قمته حيث ترسّع الثدييات (*) والتي على رأسها الإنسان .

(*) رجال ومجاهر من ٨٦ للسيدة كاترين بـ . شيبين ، ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد .

هذه هي خلاصة نظرية التطور والارتقاء التي يزعمون ، والتي يطلق عليها اليوم اسم (نظرية داروين) .

أول المؤسسين لنظرية التطور والارتقاء

أما قطبا هذه النظرية فهما :

١ - لامارك وهو مؤسسها .

٢ - داروين وهو مطوّرها وحامل لوائها وبأذل عمره في سبيل تعضيدها ونشرها .

الا ان القائلين بنظرية التطور والارتقاء مع اتفاقهم على اصول هذه النظرية ، فانهم يختلفون من حيث النتائج الفلسفي للنظرية ازاء العقيدة الدينية .

ففرق منهم قد جعل من هذه النظرية منطلقاً للدعوة الى الالحاد وجعلها سنداً له في انكار العقيدة الدينية واتخذ منها فلسفة لنفي الخالق سبحانه وتعالى واعطى المادة صفة القادر على كل شيء ، وعلى رأس هذا الفريق الفيلسوف الفرنسي (لامارك) والعالم الالماني (ارنست هيكل) (٥) والبروفسور

(٥) هو احد كبار فلاسفة الطبيعة الالمان واسمه (ارنست هنريخ هيكل) ولد عام ١٨٢٤ وتوفي عام ١٩١٩ ، درس علم الطب ونال فيه درجة الدكتوراه ، ولكنه هجر مهنة الطب ورجع الى دراسة الطبيعيات فبرع فيها حتى صار يعد من الرعيل الاول في علم الطبيعة بين فلاسفة المانيا ، وكان كثير التحصيل في الدراسة .. تلقى مختلف العلوم في برلين وودزبورغ وفيينا .. وكان قد سمع (بداروين) وآرائه في التطور والارتقاء فكان يتمسب له وينال عن نظريته في كل مكان ، وكان على تقيض (داروين) عنيدا مجاهدا بالكفر والالحاد ، فقد كان يعلن (في وقاحة وتبجح) انه ليس ثمة من اله ، ولقد راح (في عناد) ينشر في الناس افكاره الفلسفية التي تدعو الى نأليه الطبيعة وانكار وجود الله تعالى ، وكان (هيكل) يقول بالتولد الذاتي (كما يقول لامارك) الا ان هيكل جعل من نفسه داعية للالحاد في أوروبا ، وكان يقول صراحة (بوحدة الوجود) وهي نظرية العادية فحواها ان الكون لم يخلق على يد اله بائن من الكون ، وانما جاء خلق هذا الكون نتيجة طريقة عظمى للنشوء الطبيعي واصحركة الدالية الابدية اللازمة للمادة منذ الازل ، وقد نسفنا هذه المزاعم السخيفة في كتابنا هذا عند مناقشة آراء هذا الفيلسوف المنيد .. وقد سرى في أوروبا نيا الحاد (هيكل) فكره المذموم بالله وحاربوه ، حتى انه مرة وقف في حشد حافل من علماء الطبيعة يلقي محاضرة عن نظرية (داروين) ولكنه لم يكذب ييدا هذه المحاضرة حتى اخذ العلماء في مفادرة القاعة وتركوه وحده يحاضر بقاعة ليس فيها غير المقاعد الخشبية ، وعندما حضر (هيكل) الى روما ليشهد مؤتمر احرار الفكر أمر البابا باقامة الصلوات في الكنائس لطرد روح (هيكل الشريرة) بزعمهم ، وقد منعت جميع كتبه من التدريس وهي (أحجية الكون .. تاريخ الخليقة .. عجائب الحياة .. الحلقة الأخيرة ، ونشوء الانسان) ولم يسلم من المنع الا كتابه (علم التركيب العضوي .. والرسم البياني للشعائيات .. والحياة في البحار) ، وقد التقى (هيكل) (بداروين) في اكتوبر عام ١٨٦٦ م فكان (هيكل) يقول ان ذلك اليوم من أعظم ساعات حياته .

الشيوعي (أوبارين) وغيرهم من ماديّين وشيوعيين .

وفريق لم يستند الى هذه النظرية في انكار العقيدة الدينية ولم يجعل منها قاعدة للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، ولم يزعم انه (بها) يفسر سر الحياة او سر الكون ، وانما كان همه الوحيد البحث عن اصل الأنواع الحية وتكوين فكرة عن اصل نشأتها وصلة بعضها ببعض ، ومعرفة الاحوال والمؤثرات والتقلبات التي تعرضت لها عبر آلاف القرون ، وعلى رأس هذا الفريق العالم الشهير (تشارلز داروين) حامل لواء نظرية التطور والارتقاء .

ثم قلت له .. ولأن الفريقين لا يختلفان في النظرية الا من حيث النتائج الفلسفي لها ازاء العقيدة الدينية من حيث استخدامها او عدم استخدامها للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق ، فان مناقشتنا للفريقين بشأن جوهر هذه النظرية (من ناحية ثبوتها او عدم ثبوتها) ستكون مناقشة واحدة لاتفاقهما في الاصل .

بين داروين ولامارك

فقال .. وهل هناك اختلاف جذري بين الفريقين في جوهر نظرية التطور والارتقاء ؟

فقلت له : كلا ! . ليس هناك اي اختلاف جذري ، فهما متفقان على اصول هذه النظرية اتفاقاً كلياً ، الا ان الفيلسوف (لامارك الذي سبق داروين الى القول بهذه النظرية بأكثر من خمسين سنة) لم يضع لهذه النظرية تفسيراً علمياً حيث كان يرجع وقائع التطور والتحول والارتقاء الى المصادفة والزمن . كما ان مذهب التطور والارتقاء الذي اعلنه لامارك ظل ضعيفاً امام مذهب الخلق المستقل ، الى ان جاء (داروين) فوضع للمذهب التطور والارتقاء تفسيراً علمياً ، كما سنوضحه فيما بعد) ثم دفع بهذا المذهب الى الامام بقوة وذلك عندما اصدر كتابه الشهير (اصل الأنواع) وكتابته (تسلسل الانسان) اللذين قابلهما الناس بعاصفة من النقاش والجدل مما اعطى مذهب التطور والارتقاء أهمية ما كانت له في عصر الفيلسوف لامارك

وفي غمرة النقاش والجدل الذي دار حامية حول داروين وما سجله من بحوث وآراء واستنتاجات بشأن نظرية التطور والارتقاء نسي الناس (او كادوا) الفيلسوف (لامارك) واضع اسس هذه النظرية ، وغلب اسم (داروين) على نظرية التطور والارتقاء حتى صار اسمها مقروناً باسمه حيث عبر عنها الناس فيما بعد باسم (نظرية داروين) .

جناح الالحاد في النظرية

غير اننا قبل التعرض لمناقشة جوهر النظرية على صعيد العلم والواقع لا بد لنا من ان نناقش فيها الجانب الالحادي الذي حمل لواءه (باسمها) ارنست هيكل واوبارين وقبلهما لامارك وغيرهم من ماديين وماركسيين استغلوا اهتمام الناس الشديد (علميا) بهذه النظرية واقبالهم على الاعتناء بها ودراستها ، فصاروا يتخذون منها شركا يصطادون بوساطته صغار العقول من البسطاء الذين قلّ حظهم من الثقافة الدينية فيرونهم في هاوية الالحاد ، وذلك عن طريق تفسيرهم لهذه النظرية تفسيراً يدخلون بوساطته (وباسم العلم) في روع هؤلاء البسطاء المجردين من الحصانة الروحية والدينية ان واقع الوجود وطبيعة الكائنات الحية وتطورها وتحول بعضها عن بعض واشتقاق بعضها من البعض الآخر (كما هي قواعد نظرية التطور والارتقاء) من انتخاب طبيعي واصطفاء نوعي ، يجمل من غير الضروري الاعتقاد بوجود خالق يتولى ادارة هذا الكون وتنظيمه ، لان المادة (كما يزعمون بطبيعتها وخصائصها اللازمة لها تقوم مقام هذا الخالق في ذلك) (٦).

فالجناح الالحادي من انصار هذه النظرية يزعم ان الحياة الاولى جاءت نتيجة تفاعل طبيعي بين اجزاء من المادة .. هذه المادة التي يزعمون انها كانت ولم تزل قادرة (بطبيعتها) على اعطاء الحياة ، ولهذا فهم يتكبرون ان تكون الحياة من صنع قوة فوق الطبيعة .

فهذا الجناح الالحادي (عند ما يتحدث عن مراحل التطور والارتقاء) يخرج من حسابه قوة ما فوق الطبيعة (وهي القوة الالهية) لان حالة المادة (بزعمهم) لا تحتاج الى هذه القوة ، فالطبيعة اللازمة للمادة (بحركتها الدائبة) هي التي تخلق وتبدع وتنوّع وتطوّر وتصفّي وتبيد .

ما هي الطبيعة عند الملاحدة ؟

نقول : وما هو تفسير الطبيعة عند هؤلاء الملحدين ؟ وماذا يضمنون بها على وجه التحديد ؟

قللت له : فسّر (لامارك) الطبيعة بأنها القوة العامة اللازمة للمادة المنزهة عن الفساد التي لا تفتر عن التأثير في المواد طرفة عين غير انها مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين ، هكذا يقول لامارك .

(٦) قد فندنا هذه الزاعم الباطلة في كتابنا القادم (اني الله شك II) وذلك على نطاق اوسع حيث اثبتنا بالحجج العقلية الدامغة والبراهين العلمية القاطعة نساد مزاعم هؤلاء الملحدين التي يرفضها العقل وكلها الواقع .

ووصف الفيلسوف (ليريه) الطبيعة في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية) بقوله :

يظهر لنا أن الأسباب التي أوجدت الكون هي ذاتية فيه غير متميزة وهي التي نسميها نحن بالنواميس الطَّبِيعِيَّة . فلأمارك ، ومن على مذهبه من الماديين يزعمون أن ظهور الأحياء إلى الوجود قد تم بفعل الطبيعة (مباشرة) وأن تنوع الأحياء إنما حدث بقوة الطبيعة اللازمة للمادة وعلى طريقة النشوء والتحول والارتقاء .

كيف تتولد الحياة عند لامارك

وإذا كان العلامة (داروين) قد أعلن عجزه عن معرفة سر الحياة وكيف ومم تكونت ، فإن (لامارك) يزعم أنه قد عرف كل ذلك عن الحياة .

فهو يزعم أن الحياة قد تكونت من المادة مباشرة بفعل الطبيعة وعلى سبيل المصادفة ، وذلك بعد عملية مزج مواد مخصوصة بعضها ببعض . يقول :

إن الطبيعة تولد بعض الكائنات توليداً مباشراً ، فتعتمد إلى تكوين منسوج خلوي من الكتل الصغيرة للمادة الجلاتينية (تشبه الفراء) التي تجدها تحت يدها ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة في الأحوال الموافقة بالسوائل المناسبة و (تحبيها) بتحريك هذه السوائل بواسطة سائل اللف منها طبيعتها التهييج تأتياها (على الاستمرار) من البيئات المحيطة ..

ويقول عن قوة الحياة .. أنها ليست بقوة خاصة وإنما هي نتيجة خاصة لبعض المركبات ، وجودها وقتي فيها ، وأن الأنواع الحية لم تكون إلا شيئاً فشيئاً ، ووجودها نسبي ويقاؤها محدود ، والطبيعة في تكوينها الحيوانات بدأت من الأدنى فما فوقه حتى انتهت إلى الأعلى . ولا فرق (عند لامارك) في ذلك بين النباتات والحيوانات إلا في الحس ، والحياة عند (لامارك) عرض طبيعي وليست بأصل مستقل (٧) .

نقض مزاعم الملحدين بشأن قدرة الطبيعة

وبعد أن انتهت من هذا الحديث قلت للشيعوي الملحد :

أوليس هذا ما يقوله الفيلسوف (لامارك) بشأن الحياة والأحياء والمادة ؟

(٧) الآيات البيئات ، ص ٦٨ للسلطان صالح بن غالب القميطي .

فقال : بلى ! ان هذا هو جوهر مذهب العلامة (لامارك) وقد تابعه عليه العلامة (ارنست هيكل) وغيره من الفلاسفة والعلماء التقدميين .

فقلت له : ولكن الفيلسوف (لامارك) بعد أن أعطى طبيعة المادة صفة القدرة على الخلق والتطوير والابداع والتنزه عن النقص ، قال : ان هذه الطبيعة مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين ثابتة قاهرة تخضع لها أبد الأبد .

فقال : نعم ! وهذا هو الواقع ، لاننا لو سلمنا بأن الطبيعة تتصرف بعقل وقصد وادراك لكان ذلك منا اعترافا بفكرة وجود الاله الخالق ، وهذا ما نفيه بشدة .

تناقض الملحنيين بشأن الطبيعة

فقلت له : ولكنكم معشر الماديين تقومون بقولكم هذا في احط انواع الخلط والتناقض ...

فقال : وكيف ؟

فقلت له : الستم تزعمون أن كل كائن حي (ومن ذلك الانسان) انما صنعتها المادة بطبيعتها الازلية الخلاقة ، وأن هذه المخلوقات كلها قد تكونت بواسطة حركة المادة القهرية اللازمة لها من الازل ، وأن كل ذلك قد تمّ وصدر عن المادة دون أن يكون للمادة وطبيعتها أي قصد أو علم أو إرادة ، لان المادة ، بحركتها مجردة عن العقل والشعور ومحكومة بقوانين ؟؟

فقال .. بلى وكل عباقرة العلم المحققين يقولون بهذا .

لا يكون الخالق احط من المخلوق

فقلت له .. كيف يمكن لعاقل يحترم نفسه أن يسلم بأن السافل الناقص العاجز الاخرس الابكم المجرد عن العقل والشعور والادراك ، (وهذه منزلة المادة والطبيعة) يستطيع أن يخلق الاعلى القادر العاقل المتكلم الناطق المفكر (وهذه صفات الانسان) ثم يرعاه ويسيره بل ويطوره وينميه ؟؟؟

فهل يصح في قضية العقل ، أن يكون الخالق المبدع المتصرف احط من المخلوق ، والصانع المبدع ادنى من المصنوع ؟؟؟

هذا ما يقوله الفيلسوف لامارك ، ويريد منا أن نؤمن به ، حيث يزعم أن المادة الخرساء الجامدة الميتة (في ظل الطبيعة العمياء البكماء الميتة) قد

صنعت كل كائن حي وأشرفت على تطويره وترقيته ومن ذلك الانسان العاقل المدرك المفكر .

فهل تريدون (معشر الملحدين) تناقضا اشنع من هذا ؟؟

ان شيخ الملحدين (لامارك) يتابعه في ذلك داعية الالحاد في المانيا ، وبسانده العالم السوفياتي اوبارين (٨) ، كل هؤلاء وامثالهم من دعاة الكفر والالحاد ، في الوقت الذي يزعمون فيه .. ان الطبيعة المنزهة عن الفساد قد تولدت خلق كل كائن حي ، وانها القوة القاهرة العامة التي لا تغلوا قوة ، يعتزفون (في الوقت نفسه) - كما قال عمدتهم .. لامارك .. بأن هذه الطبيعة خاضعة لغيرها ومحكومة بقوانين تتحكم فيها لا تستطيع الخروج عن توجيهها .

وهكذا يدفع الحرص على انكار الاله الخالق ، بهؤلاء الماديين الى الوقوع في اشنع انواع التناقض الغضوح .. فبينما نرى الفيلسوف (لامارك) يرفع المادة والطبيعة الى ارقى درجات الكمال فيعطيها صفة القادر على كل شيء المنزه عن كل نقص حينما يقول :

انها القوة العامة المنزهة عن الفساد والقادرة على الرعاية الابدية والخلق والابداع .. اذا به يجردها من هذه الصفات ، فيضعها في مكانها ، ويهوي بها الى منزلتها ، منزلة العاجز المربوب بين المخلوقات ، المحكوم بغيره والمحتاج الى سواه ، حيث يقول :

انها (اي المادة) بطبيعتها مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين .

ان لامارك هنا اراد بهذه الفلسفة انكار وجود الاله الخالق ، ولكنه (في هذه الفلسفة) قد اعترف من حيث لا يعلم (مرغما) بوجود الله تعالى .

(٨) اوبارين عالم سوفياتي طبيعي كبير ، يردد اليوم نفس الزمام التي كان يرددھا لاسفة الالحاد (امثال هيكل ، ولامارك) فهو يزعم (كما يزعم ارنست هيكل) ان المادة بطبيعتها دائمة التحرك والتحول والتدرج ، وأنه بإمكان الانسان صنع كائن حي من طريق ج. عناصر مخصوصة وعلى ارادة مخصوصة ، تتفاعل بدانها تفاعلا كيميائيا وبيولوجيا كما حدث (يزعمه) عند ظهور الحياة الاولى منذ ملايين السنين ، ولكن العالم التسويمي (اوبارين) قد ارتج عليه عندما سألّه البعض هل هذا التفاعل الكيميائي الطبيعي في المادة قادر الآن على ايجاد الحياة بالطريقة التي زعم انبثاق الحياة الاولى بها ؟؟ فقد ثلم ، وثلّمه بأن هذا القول غرابة في خرافة ومن السخيل (على أي انسان تحقيقه) فقد قال .. ان هذا لا يزال ممكنا ، ولكي لا يطالب بالتدليل (عمليا) على صحة زعمه ، قال : ولكن هذا ممكن في كواكب أخرى غير كوكبنا (يعني الارض) وهكذا يتململ الملحدين ، عندما يلتمون الى البرهة على صحة مراهم الالحادية عمليا .

هكذا يعترف الملحدون بوجود الله

فقال .. وكيف ؟

فقلت له .. انه بفلسفته هذه ، لم يستطع أن يقتنع الناس بعدم وجود الله ، بل اثبت للعقلاء وجود الله سبحانه وتعالى من حيث اراد أن ينفيه ويبحده .

فهو يقول ان المادة (التي نسب اليها القدرة على الخلق والابداع) مسيرة لا مخيرة ، ومحكومة لاحكامه ، وذلك عندما صرح (كما تقدم) ان المادة محكومة بقوانين لا يمكنها الخروج عليها ..

وهذا (بالتأكيد) اعتراف بأن هناك سلطة اقوى من طبيعة المادة واعلى ، سلطة قادرة حكيمة مدبرة .. هي التي وضعت هذه القوانين التي اعترف لامارك بانها تتحكم في المادة وتسيرها ، اذ يستحيل ان توضع أنظمة وقوانين دون ان يضعها مقنن ومنظم .

وهذه قضية بدئية ، لا يعارض في الاعتراف بها عاقل يحترم نفسه . اذن ، فلم يبق (امام لامارك ومن على مذهبه) الا ان يعترفوا ان الله تعالى وحده هو الذي وضع هذه الانظمة والقوانين التي تخضع لها المادة وتسير بموجبها .

لانه كما قلنا .. يستحيل ان توضع قوانين وانظمة دون ان تضعها ذات عالمة حكيمة ومدبرة .

والا فهل يستطيع الماديون (وقد اعترفوا بأن هناك قوانين وانظمة وضعت للتحكم في المادة والتصرف فيها) هل يستطيعون (اذا ما اصرروا على انكار وجود الله) ان يخبرونا بالتحديد من هو الذي وضع هذه القوانين التي ذكروا ، ومن هو الذي اخضع المادة لهذه القوانين وجعلها محكومة لها ؟؟

ان اللاماركيين وغيرهم من الماديين الملاحدة ، سيظلون عاجزين ابدا عن الاجابة على هذا السؤال - اجابة صحيحة - اذا ما ظلوا مصرين على انكار وجود الله سبحانه وتعالى .

ثم قلت للشيعوي ، فما هو رأيك ، وهل لديك اجابة على هذا السؤال؟؟

فقال .. نعم .. ان هذه القوانين هي من صنع الطبيعة نفسها ، فهي التي (بمرور الزمن وعلى سبيل المصادفة لا القصد) اوجدتها فصار كل ما في الكون (من حيوان وجماد وشجر) خاضعا لحكمها ..

فقلت له .. ان اجابتك هذه ، لا تعدو ان تكون تكرارا ممجوجا لما قاله

الفيلسوف (لامارك) وهي اجابة غير مقبولة لانها لا تعني شيئا .

هل يهب الحياة فاقدها ؟

لانه (كما قلنا) يستحيل (عقلاً) أن يضع القانون من لا يعلم شيئا عن القانون ، وأن يهب الحياة ويضع نظامها من ليس بحي في نفسه ، كما انه من الصفاقة والوقاحة بـمكان ، القول بأن المحروم من العقل والادراك هو الذي يمنح العقل ويهب الادراك ، وأن الذي لا يشعر بوجود نفسه يضع لغيره قانون الشعور .. فالطبيعة (التي تعزون اليها وضع نواميس الكون بنا فيه من انسان وحيوان وجماد وشجر) هي (كما قال لامارك ويقول كل الملحدين حتى هذه اللحظة) مجردة عن العقل والحياة والشعور والادراك .

فباي منطق يمكن للانسان العاقل أن يصدقكم حينما تزعمون ان الطبيعة التي هذا شأنها هي التي اوجدت لكل كائن حي في هذا الكون نظام حياته وقوانين شعوره وادراكه ٤٤ .

حقا ، ان هذا لهو الهوس الذي لا هوس بعده والتناقض الذي دونه كل تناقض .

أرنست هيكل والتولد الذاتي

ثم قلت للشيعوي الملحد :

قبل التحدث الى الاخوة الحاضرين عن نظرية التطور والارتقاء ، وقبل مناقشة هذه النظرية من الناحية العلمية ، احب أن تشرح لنا وللأخوة الحاضرين خلاصة مذهب عمدة الالحاد في المانيا (أرنست هيكل) ، ليستمع اليها هؤلاء الشباب ، ولتناقشها بحضورهم كما أوعدناهم بذلك .

فقال ... ان خلاصة مذهب أرنست هيكل - وهو مذهب الماديين جميعا - هي :

أن الكون كله وحدة متماسكة ، لا خالق ولا مخلوق ، (١) وانما كل ما في الكون قد جاء نتيجة طريقة عظمى للنشوء ضمن نطاق سلسلة من التحولات متصل بعضها ببعض ، وأثناء ترابط هذه السلسلة تؤلف النباتات والحيوانات شجرة سلالة واحدة من الخلية الاصلية (١٠) .

وتفصيل ذلك أن الكون مؤلف من المادة ، والمادة مؤلفة من الذرات ،

(١) وهذه هي نظرية وحدة الوجود القائلة ان الله هو الكون والكون هو الله .

(١٠) انظر كتاب - مباحرة العلم في القرب - ص ٣٠٤

ومن هذه المادة ظهر كل ما في الكون من احياء وغير احياء ، وحركة العالم هي حركة تطور دائم يتبدى من أبسط الذرات وينتهي الى ارقى الكائنات .

وهذه الكائنات كلها - حيثها وجمادها - تتألف من عناصر واحدة لا فرق في ذلك بين حي وغير حي ، لان عناصر المواد العضوية موجودة في المواد غير العضوية ، وأن بالامكان تحضير بعض مركبات عضوية بطريقة صناعية (١١) ، وبهذه الطريقة يمكن أن يوجد الانسان كائنا حيا دونما احتياج الى اله ينفرد بالخلق والتكوين .
هذه هي خلاصة نظرية العلامة ارنست هيكل بشأن الخلق والتكوين .

نقض نظرية التولد الذاتي

فقلت له .. ان ارنست هيكل ، يعني بقوله هذا ، ان اصل الحياة نشأ اول ما نشأ ، من المادة . وبطريق التولد الذاتي مصادفة ، وتحت اشراف الطبيعة العمياء ، ودون أن يكون ذلك بقصد وتدير من سلطة عليا لها صفة العلم والارادة ، فقال : اجل .

فقلت له .. ولكن كيف تم هذا التولد الذاتي للحياة من الجماد ، وكيف استطاع هذا الجماد الذي هو أحط الكائنات عجزا ، أن يخلق (في ظل الطبيعة الخرساء الميتة) انسانا او حيوانا يتمتع بما لم يتمتع به الجماد والطبيعة من حياة وشعور وادراك ؟؟

فقال .. ان هناك توازن نسبي بين مقادير خاصة من العناصر المادية يمكنه (اذا ما تم في اي وقت من الاوقات) أن يوجد كائنا حيا .

وبعبارة اوضح ، يقول العلامة (ارنست هيكل) ان اجتماع عناصر مخصوصة من المادة ، وحسب اوزان مخصوصة كفيلا بأن يخلق انسانا ، سواء تم هذا الاجتماع والتوازن مصادفة او بقصد سابق ، وبمثل هذه الكيفية تم (مصادفة) ظهور الحياة الاولى على وجه الارض ، ومن هذه الخلية الاولى للحياة استمد (في ظل نواميس التطور والارتقاء) كل كائن حي حياته حتى وصل الى ما وصل عليه الآن ، وستبقى كل فصيلة من الاحياء تمنع نوعها الحياة بالاتصال والتوالد في ظل الطبيعة التي تزمّت كل كائن واشرفت على تطوره منذ ظهرت الحياة لأول مرة على ظهر هذا الكوكب .

تخبط الملحدين في دعواهم التولد الذاتي

فقلت له .. هنا سؤال امام هذا الهذيان العجيب الذي تسمونه فلسفة وعلماء ، وهو :

(١١) انظر كتاب (قصة الامان) لغفيلة الشيخ نديم الجسر ص ١٨٨ ط - ١

كيف عرف الفيلسوف هيكل أن الحياة الأولى نشأت على تلك الصورة التي ذكر ، وكيف عرف أن النشأة الأولى للحياة قد جاءت بطريق التولد الذاتي الأوتوماتيكي ، وهو يعترف بأن وجود الحياة على وجه هذه الأرض قد مر عليه ملايين السنين ٤٤.

فهل كان (أرست هيكل) حاضرا عندما تم توليد الحياة الأولى من المادة أوتوماتيكيًا ، وهل شاهد بنفسه كيف تم (داخل الصيدلية الطبيعية للتولد الذاتي) الجمع والموازنة بين المواد غير العضوية التي بمزجها (كما يزعم) تم - مصادفة - إيجاد الحياة الأولى ٤.

أم أنه قد قام (بنفسه) بتجربة عملية أوجد بها (بموجب هذه الطريقة) من المادة إنسانا أو أي كائن حي آخر ٤٤.

إن هذا السؤال (أيضا) سيظل دونما إجابة صحيحة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن أرست هيكل وأمثاله من الملحدن ليس لديهم من الحقائق العلمية ما يجعلهم يجيبون على هذا السؤال إجابة تقنع الإنسان بصدق هذه النظرية التي وضعها هيكل وزعم أنه عرف سر الحياة .

فكل ما قاله (أرست هيكل) عن أصل الحياة وقصة إمكان توليدها من المادة مباشرة عن طريق مزج بعض العناصر المادية ببعض بأقدار معلومة وعلى أوزان مخصوصة (دون أن يبرهن لنا على ذلك عمليا) إنما هو أشبه بخیالات المخمورين الذين يتصورونها أشياء ويتخیلونها ، وهي لا وجود لها في الواقع ، ومع هذا فيعطونها صفة الحقيقة الموجودة .

إن نظرية هيكل هذه ليست أكثر من افتراضات وتخمينات سخيفة ، وتقديرات مضحكة فارغة ، لا يمكن إثباتها بالطرق العلمية أو الحسية ، ولهذا لا يمكن لعقل أن يلتفت إليها أو يعيرها أي اهتمام .

فقال الشيعي الملحد :

إن العلامة (هيكل) قد قال بالتولد الذاتي على أساس تقديرات علمية لا تخطئ ، ولا يغيب عن بالك أن كثيرا من المكتشفات العلمية قد سلّم بوجودها الناس على أساس التقدير لا المشاهدة .

فقلت له .. نعم هذا صحيح (في كثير من المكتشفات) ، ولكن التقديرات التي يكذبها الواقع وتبطلها الحقيقة المشاهدة القائمة ، لا يمكن التسليم بها ، لأن التسليم بها ضرب من التلاعب والهوس .

فهيكـل يزعم أن أصل الحياة قد نشأ - صدفة - من توازن نسبي بين مقادير خاصة من العناصر المادية .. غير العضوية (أي غير المواد العضوية

التي أودع الله فيها امكانية التولد (بقدرته) كماء الحيوان الذكر وبويضات الانثى) وأنه بالإمكان توليد كائن حي (صناعيا) من المواد غير العضوية اذا ما تم التوازن النسبي المطلوب بين مقاديرها الخاصة .

هكذا يدعي أرنست هيكل ، او قل هكذا يفترى .

ولكننا اذا نظرنا الى هذه النظرية نظرة اختيار وجدنا ان الواقع يكذبها والحقيقة ترفضها ، ذلك انه منذ ان عرفت هذه النظرية الاحادية لم يستطع ولن يستطيع احد من القائلين بها حتى هذا اليوم والى يوم القيامة ، ان يثبت صحتها عمليا ، فيولد لنا الحياة من مواد غير عضوية وبالطريقة التي ادعى الفيلسوف (هيكل) أنه بها تم توليد الحياة الاولى .

ثم ان توليد الحياة من المادة غير العضوية بالطريقة التي ذكر (هيكل) ليست بحاجة الى الوقوف عند التقدير والافتراض فقط .

فالواد غير العضوية (التي ادعى هيكل أن الحياة الاولى انبثقت عنها انبثاقا كيمائيا تلقائيا) هي موجودة بين أيديهم ..

وما دام أنهم يجزمون بصحة ما يدعون ، فلماذا لا يبرهنون للملا (عمليا) على صحة نظريتهم التي يدعون ؟؟

فالمسألة لا تحتاج التقدير والافتراض ، فالتقدير انما يلجأ اليه اذا كانت اليد غير قادرة على الوصول الى الشيء الذي يراد تحقيقه واثباته ، كمعرفة اوزان الكواكب وتقدير مساحاتها وابعادها .

اما ايجاد الحياة (من المواد غير العضوية - وهي مواد ارضية كلها موجودة -) فلا يحتاج القطع به الى الوقوف عند التقدير فقط ، ما دام انه ممكن (كما يزعم أرنست هيكل) ، هذا هو حكم المنطق السليم .

كيف يزوغ الملحدون

ولكن دعاء الاحاد ، لما كان هدفهم (فقط) تشكيك الناس في ذات الله الخالق العظيم فانهم ، اذا نوقشوا هذه المناقشة ، وجوبها بمثل هذا التحدي ، لجأوا الى اللف والدوران والمراوغة والسفطة .

فاوبارين، العالم الطبيعي الشيعي السوفييتي، وهو احد خلفاء داعية الاحاد (أرنست هيكل) صاحب النظرية اياها .. أوبارين هذا ، عندما جوبه بمثل هذا التحدي وسئل (في موسكو) هذا السؤال ، وهو : هل التفاعل الكييمي في المادة (غير العضوية) قادر (وبالطريقة التي ذكر أرنست هيكل) على بعث الحياة كما انبعثت الحياة الاولى منذ ملايين

السنين وعلى الصورة التي ادعاها أرنست هيكل ٢٢. فأجاب (أوبارين) بأن هذا ممكن ، ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا (يعني الأرض) .

وأقل تمنع في هذه الإجابة تعطي الدليل القاطع على سخف هذه النظرية وأنها من المفتريات التي يفترها دعاة الإلحاد ، ويلبسونها تاج العلم والبحث ، لاجتذاب قصار النظر وضعاف النفوس الى صفوف المنكرين لوجود الله سبحانه وتعالى .

سفسطة الماديين

فأوبارين الشيوعي ، لما كان يعلم (تمام العلم) انه لا يمكن أن يتم ، ولم يتم (في أي وقت من الاوقات) إيجاد الحياة من المادة غير العضوية ، وبطريقة التولد الذاتي التي ذكروا ، راوغ (في سفسطة مفضوحة) حينما ادعى أن ذلك ممكن ، ولكن في كواكب غير كوكبنا (الأرض) .

ولا يخفى على عاقل ، ما في هذه الإجابة السخيفة من مراوغة وتنصل ، لان هذا الشيوعي ، لو قال أن ذلك ممكن على ظهر هذه الأرض ، لانتصب أمامه سؤال محرج للغاية ، يقول :

لماذا لم تقوموا (أنتم معشر فطاحل الفلاسفة الطبيعيين) بتحقيق هذا الامر الممكن ٢٢.

نواذر جحا واقوال الملاحدة

لهذا ولكي ينجو هؤلاء الملاحدة الخبيثاء من الوقوع في ورطة هذا السؤال المحرج لجأوا ، الى هذه المراوغة فأحالوا السائل على الكواكب الأخرى ، ولسان حالهم يقول :

عليك بالزهرة والمريخ أن أردت التحقق من صحة نظريتنا هذه التي ليس لدينا أدنى شك في صحتها .

وتذكرنا هذه الإجابة المضحكة من الملحدين ، بجحا المشهور بالإجابات السريعة المضحكة .. فقد سأل أحد الناس .. كم هو عدد نجوم السماء ٢٢

فقال .. خمسون الفا .

فقليل له .. ولكن كيف عرفتها وانت في بغداد ، والسماء محيطة بالأرض كلها ٢٢

فقال .. هذه حقيقة اعرفها وأجزم بها وأصر عليها ، ومن لديه شك

فيما أقول ، فما عليه إلا أن يذهب بنفسه الى السماء للتأكد من صحة ما أقول .

سؤال يعجز الملحدون عن الإجابة عليه

ثم قلت للشيعوي .. ولو سلمنا جدلا ان الحياة (كما زعم هيكل) نشأت - أول ما نشأت - نتيجة امتزاج عناصر مادية مخصوصة وحسب مقادير معلومة وبطريقة طبيعية تلقائية ، فان سؤالا آخر ينتصب أمام الفيلسوف (ارنست هيكل ومن على مذهبه من الماديين) يصعب عليهم الإجابة عليه اجابة مقنعة وهو :

إذا كانت الحياة الاولى قد نشأت تلقائيا نتيجة لامتزاج عناصر مخصوصة وحسب مقادير معلومة ، لا يمكن للحياة ان تظهر بدونها .. فمن هو الذي قدر هذه العناصر ووضع تلك المقادير ، وحكم حكما أبديا قاهرا بأن توليد الحياة من العناصر المادية لا يمكن أن يتم اذا ما نقص جزء أو زاد جزء على المقادير المقدرة للتوليد الذاتي ؟؟

قد تقولون ان ذلك التقدير قد حدث مصادفة وفي ظل رعاية الطبيعة . ولكننا نقول لكم ان المصادفة العمياء ، والطبيعة الميتة الخرساء ليسي أعجز من أن تقدر هذه المقادير الدقيقة ، لأن المقادير والموازن الثابتة لا يقدر على وضعها إلا من كان حيا عالما قادرا ، والمصادفة والطبيعة محرومتان من كل هذه الصفات .

لهذا فان هذا السؤال (ايضا) سيظل دونما اجابة صحيحة يقرها المنطق السليم ، اذا لم يؤمن أتباع (ارنست هيكل) بوجود الله سبحانه وتعالى .

لان المقاييس الدقيقة التي زعموا والمقادير التي افترضوا يستحيل ان تكون الا من صنع شيء أقوى من الطبيعة ، وأحكم من المصادفة ، يتميز بصفات العلم والادراك والقدرة المطلقة .

ولا يمكن أن تكون هذه الصفات الا لله واجب الوجود الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ثم قلت للشيعوي الملحدين .. ونحن نناقش (ارنست هيكل وأتباع نظريته) بهذا الأسلوب ، على فرض اننا مسلمون بنظريتهم جدلا ، والا فنحن غير مسلمين بها ، لان القول بتولد الحياة الذاتي من الجماد تلقائيا وتحت رعاية الطبيعة ، هو كفر والحاد لا نقره .

اعتراف الملحدين بوجود الله من حيث لا يعلمون

ولكننا نناقش الملحدين هذه المناقشة لنثبت لكل مفتون بهم وبأضاليلهم التي يلبسونها لباس العلم والمعرفة أن هؤلاء الملحدين كلما حاولوا اقتناع الناس بعدم وجود الله ، وجدوا أنفسهم (من حيث لا يعلمون) يعترفون بوجود الله ، كما فعل أرنست هيكل حينما زعم أن التولد الذاتي يتم حسب مقادير من المادة مخصوصة وأوزان معلومة ، ونسي أن الموازين والمقادير التي يتوقف وجود الشيء عليها والتي وضعت بقصد إيجاده لا يمكن أن تكون إلا من صنع عالم مدير قادر وحكيم ، وما فاه به هيكل وسجله في مؤلفاته (بهذا الشأن) هو اعتراف منه — شاء أم أبى — بوجود سلطة أقوى من المادة وأقدر من الطبيعة ، وأن المادة والطبيعة قد وجدتا خاضعتين مقهورتين لشيء أعظم وأقوى وأقدر منهما .

فلم يبق (إذن) أمام الذي يقول مثل هذا القول ويعترف مثل هذا الاعتراف إلا أن يقر بوجود الله تعالى .
والأفماذا يسمى هؤلاء الملاحدة القوة التي هي أقوى من المادة والطبيعة والتي اعترفوا (مرغين) بوجودها ؟؟. والتي يسمونها آنا بالنواميس الثابتة ، وآنا بالقوانين القاهرة) ؟؟.

اعتراف بخنر بقوة ما فوق الطبيعة

فقال الشيعي :

ومن من الفلاسفة الماديين التقدميين يقول أن المادة تخضع لنواميس القاهرة ؟؟.

فقلت له .. أمام الإلحاد في العالم (الفيلسوف خنر) (١٢) ، فقد

(١٢) (بخنر هذا) عالم ألماني كبير ، ويعتبر من أكبر قادة الداروينيين ، كما أنه من كبار الملحدين وهو الذي يقول .. لا يمكن أن يتصور أحد أن تتحد حكمة أزلية مع نواميس طبيعية ثابتة ، فاما أن تكون النواميس هي الحاكمة واما أن تكون الحاكمة هي تلك الحكمة الأزلية .. فإذا كانت الحكمة الأزلية هي الحاكمة ، فلا لزوم لقوانين الطبيعة ، وإذا كان الأمر بالعكس ، وكانت النواميس الطبيعية هي الحاكمة فإن ذلك ينفي كل تدخل سماوي (١٠ هـ) .. وقد كان هذا من (بخنر) ردا على العلامة (أوسيد) الذي كتب (كخنر) ليعيده إلى طريق الإيمان قائلا (أن الكون محكوم بحكمة أزلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة في الطبيعة) ، والحقيقة أن (بخنر) لو تخلى عن الهوى والعناد ، لوجد أن هذه النواميس الثابتة الدائمة التي وضعت بإحكام ودقة هي من أقوى الأدلة على وجود الخالق الأعظم ، لأنه يستحيل (عقلا) وجود نظام من غير منظم ، ويستحيل بقاء الأنظمة والقوانين سائرة بدون خنل أو اضطراب من غير قوة أعلى وأعظم وأقوى من هذه القوانين والأنظمة ترعاها وتحافظ عليها .. وهل يصح (في قضية العقل) أن نسير أشياء محرومة من العقل والحياة والتصور والإدراك (وهي القوانين والأنظمة) دون أن تكون تحت رعاية ذات لها صفة الحياة والقدرة والعلم والإرادة .. ؟؟ كان (بخنر) استادا بجامة (ليبز) وقد عرف (أولا) بملعب ميخائيليفسكي .
وقد ولد (بخنر) عام ١٨٠١ م وتوفي عام ١٨٨٧ م .

قال مرة في حديث له عن نظام الاجرام السماوية :
 ان كل الاجرام السماوية كبيرة وصغيرة تخضع صاغرة بغير استثناء ولا
 انحراف للناموس الملازم لكل مادة ولكل جزء من مادة كما تدلنا عليه التجربة
 من آن لآخر ، وان جميع حركاتها تبدو لنا وتتحد امامنا وتنبئنا عن حدوثها
 بضبط رياضي لا يتطرق اليه الخلل (١٣) .
 فاذا كانت الاجرام السماوية تتحرك في مداراتها بنظام ثابت ، خاضعة
 لناموس مقرر ، فهل بعد هذا دليل على وجود قوة مدبرة تخضع لها جميع
 الكائنات ؟ .

ان بداهة العقل تشعر بان النظام لا يصدر من العدم ولا بد من وجود
 قوة تدبر هذا النظام البديع والا اختل النظام كله ، فالنظام هو اقوى دليل
 على وجود منظم (عالم مدرك مريد) يدبر نظام الكائنات كلها ، وهو الله
 سبحانه وتعالى خالق السماوات والارض .
 فاذا لم تكن هناك قوة مدبرة فمن جعل للمادة هذا الناموس العظيم
 الذي تخضع له جميع اجزاء المادة والاجرام السماوية ؟؟ .

لا بد من الاعتراف بوجود الله

وهكذا فان دعوى (ارنست هيكل) بان الحياة قد نشأت ويمكن ان
 تنشأ من المادة وتتولد اذا ما تم توازن نسبي دقيق بين مقادير خاصة من
 العناصر المادية ، تعني ان هذا التولد الذاتي من المادة (على فرض التسليم
 به) لا يتم الا بموجب نظام دقيق ثابت ، وهذا ما لا يمكن لارنست هيكل
 وانصاره ان يكابروا في الاعتراف به . . فاذا اعترفوا بوجود نظام تخضع له
 المادة صاغرة ، فلا مناص لهم من الاعتراف بوجود منظم ، واذا اعترفوا بوجود
 منظم ، فلا مفر لهم من الاعتراف بان هذا المنظم ، لا بد وان يكون حيا قادرا
 مدركا عليما متزها عن المادية والجسمية ، واذا اعترفوا بهذا (ولا مفر لهم
 من الاعتراف به) لزمهم الاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى ، لان الطبيعة
 التي (قد ينسبون اليها هذا النظام) قد اعترفوا كلهم (بالاجماع) بانها
 مجردة عن العقل والشعور والادراك ومحكومة بقوانين .

والشيء الذي هو مجرّد عن العقل والشعور والادراك ومحكوم لغيره ،
 وخاضع (في نفسه) خضوعا مطلقا لسواه يستحيل عليه القيام بوضع أي
 نظام (مهما كان تافها) فكيف بوضع نظام هذه الحياة واخراجها من العدم ،
 حسب نظرية التولد الذاتي التي ذكر ارنست هيكل والتي زعم أن هذه الحياة

تولدت في اول نشأتها من المادة ، تولدا كيماويا تحت اشراف الطبيعة ؟؟؟ .
وهكذا مهما حاولتم (معشر الماديين) الاجتهاد في اقناع الناس بعدم
وجود الله تعالى ، ومهما اطلتم البحث والفلسفة ، فانكم تجدون انفسكم في
النهاية (من حيث لا تعلمون) مقرّين بوجود خالق مدبر لهذا الكون .

تفاصيل نظرية داروين

فقال أحد الحاضرين من الشباب :
لقد وعدتنا في الجلسة الماضية بأنك ستناقش (باسهاب) نظرية
التطور والارتقاء مناقشة علمية مجردة ...

ونحن معشر الشباب (خاصة) نوافقون الى معرفة هذه النظرية
بالتفصيل وسماع القول الفصل فيها من ناحية ثبوتها (علميا) او عدم
ثبوتها ، ثم اننا حريصون على معرفة حقيقة موقف الدين منها .

فقد تضاربت الآراء (كثيرا) حول هذه النظرية ، فمن الناس من يرى
ان القول بها كفر وزندقة ، ومنهم من يقول ان القول بهذه النظرية لا يتنافى
مع الدين ، لانها ليست أكثر من واقع مجهول اكتشفه العلم .

فقلت له - حقا - انه لم يدر في العصر الاخيرة نقاش حول نظرية من
النظريات العلمية مثل ما دار حول نظرية التطور والنشوء والارتقاء .

الا انه من الانصاف القول بأن هناك افراطا شديدا في الحكم على
القائلين بها (كنظرية علمية) من المعارضين لها ، ومبالغة كبيرة من المؤيدين
لها .. ثم قلت له :

ان القائلين بنظرية التطور والنشوء والارتقاء ينقسمون الى قسمين ..
كما قلنا فيما مضى .

قسم جعل انكار الخالق سبحانه وتعالى اساسا لهذه النظرية ، وعلى
رأس هؤلاء الفيلسوف (ارنست هيكل) الالماني ، وقبله لامارك الفرنسي .

وقسم اقل احواله انه (اثناء بحثه في هذه النظرية) لم يتعرض لنفي
الخالق ، وانما قدم بحوثه لنصر هذه النظرية على اساس علمي بحت ، وعلى
رأس هذا القسم (تشارلز داروين) الذي اصبح اسم نظرية التطور
والارتقاء مقرونا باسمه .

نظرية هيكل ولامارك

اما نظرية التطور والنشوء والارتقاء - كما يراها لامارك وهيكل -

فخلاصتها ان انواع الاحياء ليست اصيلة في الخلق والتكوين وانما يشتق بعضها من بعض عن طريق التفاعل المادي ، وان مصدر الحياة هو الجماد الذي تتولى الطبيعة (في ظروف خاصة) توليد الحياة منه .

فيزم لامارك (كما تقدم) ان الطبيعة تعتمد الى تكوين منسوج خلوي من الكتل الصغيرة للمادة الجلاتينية (تشبه الفراء) التي تجدها تحت يدها ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة في الاحوال الموافقة بالسوائل المناسبة فتولد الحياة بتحريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطف منها ، طبيعتها التهييج على الاستمرار من البيئات المحيطة بها .

وقد فسر لامارك وارنست هيكل ، الطبيعة (كما تقدم) بانها القوة العامة المنزهة عن الفساد بطبيعتها التي لا تفتر عن التأثير في المواد طرفة عين .

ومن بين هذه القوى قوة تسمى بالحياة ، وهي ليست بقوة خاصة ، لكنها نتيجة خاصة لبعض المركبات ، وجودها وقتي فيها .

ولا فرق عند (لامارك) في ذلك بين الحياة الحيوانية والحياة النباتية الا في الحس ، ويقول (لامارك) ان الحياة الاولى بعد ان نشأت (على الصورة التي ذكر) وهي ما يسميها بعض دعاة الالحاد (بالخلية الاولى) (*) التي تفرع منها كل كائن حي .. يقول لامارك ان الحياة بعد ان وجدت على النحو الذي ذكر نشأت شيئا فشيئا وانها بدأت من الأدنى فما فوقه حتى انتهت الى الاعلى المشاهد الآن ، وان كل كائن حي تطور وارتقى وتنوع حسب ظروف البيئة التي نشأ فيها .

وانه حسب قانون التطور والتحول والارتقاء ، قد تحولت انواع من الاحياء عن اصلها الى انواع اخرى ارفع منها تخالفها في الشكل والطبيعة والنوع .

وهذا يعني ان انواعا من الزحافات على البطن ، قد تحولت (في عصر من العصور) الى حيوانات من ذوات الاربع وان الانسان ايضا (في ظل ناموس التطور والتحول والارتقاء) ما هو الا حيوانا تحول من احط انواعه الى انسان .

ويقول لامارك مثل هذا في النباتات من حيث تطورها وارتقاؤها

(*) يعبر دعاة الالحاد عن هذه الخلية بقولهم ، انها غشاء حي على شكل كروي يحوي في داخله مادة لرجة ، يقال لها (البروتوبلازما) عائم فيها نويات صغيرة ، وهي بما حوت لا تدرك الا بالمنظار .

وانتقالها من انواعها الاصلية الى انواع اخرى اعلى منها (حسب ناموس التطور والارتقاء) وتحت سيطرة الطبيعة وتديرها .

هذا هو مجمل نظرية لامارك في التطور والتحول والارتقاء .
وموطن الالحاد والكفر في هذه النظرية هو القول بان ذلك قد تم بفعل الطبيعة ودونما تقدير او قصد او تدبير من خالق قادر مريد .
وفيما تقدم بينا فساد هذا القول ، فلا حاجة بنا الى تكرار هذا التبيين .

الاتفاق بين داروين ولامارك

اما القسم الثاني من القائلين بالتطور والارتقاء (والذين على رأسهم العالم داروين) فهم يتفقون مع هيكل ولامارك وانصارهما من دعاة الالحاد ، من حيث القول بالتطور والتحول والارتقاء .

ولكن (لامارك) يمدّ سابقا لهم في مضمار القول بنظرية التطور والارتقاء ، الا انه لم يتوسع في دعم هذه النظرية حيث لم يضع لها تفسيرا علميا ، كما فعل (داروين) الذي تبنى هذه النظرية وأوقف حياته على دعمها وتأييدها ، وأعطى لها تفسيرات علمية مختلفة ، أقتنع بهذه التفسيرات الكثير من الناس بان هذه النظرية حقيقة واقعة .

موضع الاختلاف بين الفريقين

كما ان القسم الثاني من انصار القول بالتطور والارتقاء يختلفون مع القسم الاول من القائلين بها في امرين اثنين :
اولهما .. مصدر الحياة ومعطيها .
ثانيهما .. معرفة الطريقة التي وجدت بها الحياة .

فدعاة الالحاد من القسم الاول (وعلى رأسهم أرنست هيكل) يزعمون ، ان الحياة ليست من صنع الخالق ، وانه لا ضرورة للقول بوجود اله خالق .
لان الحياة (يزعمهم) كامنة طبيعيا في المادة ، وأنها لذلك قد تكونت (في عهدها الاول) تلقائيا بعد مزج عناصر مخصوصة من المادة وفي ظروف خاصة ، وعلى سبيل المصادفة كما جاء مفصلا في مزاعم (لامارك) فيما مضى .
اما القائلون بنظرية التطور والارتقاء من القسم الثاني (وعلى رأسهم فارسيها المعلم داروين) فانهم لم يتطرقوا الى السؤال ، من اين نشأت الحياة ، او كيف نشأت ، ولم يجزئ احد منهم على القول بان الحياة هي حصيلة تفاعل بين مواد غير ذات حياة (كما يزعم دعاة الالحاد) .

فنظرية داروين انطلقت من كون الحياة وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، ثم تدرجت على مر الاجيال الى حياة نباتية حول المستنقعات التي ظهرت فيها .. وبعدئذ تدرجت ارتقاء الى حياة حيوانية بدائية ، فالى حيوانات اكبر فأكبر ريشية ومجنحة .. فحيوانات اعلى ذات فقرات ، فانسان اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، فالانسان الحاضر بعقله وادراكه وتفكيره وهو المرحلة الاخيرة .

عجز داروين عن معرفة سر الحياة

هذا يعني ان العالم (داروين) لم يستطع معرفة شيء عن نشأة الحياة الاولى وكيف نشأت ، فلم يقل أنها نتيجة تفاعل بين مواد غير ذات حياة (كما زعم هيكمل ومن على مذهبه المادي) بل صرح داروين في آخر كتابه (اصل الانواع) بأن هذه الحياة قد نفعها الخالق .

وعجز داروين عن معرفة شيء عن نشأة الحياة الاولى (بالرغم من الجهود الجبارة التي بذلها طيلة حياته كزعيم لنظرية التطور والارتقاء) قد جاء صريحا في ندائه الشهير الذي اهاب فيه بعلماء الطبيعة ان يبحثوا عن نشأة الحياة الاولى .

ولكن هيهات هيهات أن يظفروا في (بحثهم) بما يتوقون الى معرفته ويسألون عنه بشأن النشأة الاولى للحياة ، لان ذلك من العلم الذي لا يمكن ان يطلع عليه غير فاطر السماوات والارض الذي يقول في محكم كتابه العزيز (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتهم من العلم الا قليلا) . (١٤)

عمدة الالحاد يجهل كيفية التولد الذاتي

ولقد اعترف العالم (بخنر) - وهو عمدة الالحاد في العصر الاخير - اعترف بهذه الحقيقة حيث قال :

ان البت في امر التولد الذاتي للكريئة الاولى التي نشأ عنها الاصل الاول ، امر غير متميز ، لان الاحوال المناسبة لتولد الكريئات الاولى تولدا ذاتيا غير معروفة ، والكريئة ذاتها - على بساطتها - ذات بناء وتركيب يمتنع معه صدورها من الجماد مباشرة ، بل ان ظهورها (اي الحياة) من الجماد - في نظر العلم - معجزة ليست اقل بعدا عن العقل من ظهور الاحياء العليا من الجماد راسا . (١٥)

(١٤) الاسراء : ٨٥ .

(١٥) قصة الايمان ، ص ١٨٦ ط ١

ثم قلت له :

أن بختر وأشباعه من ملاحدة العصر الاخير يعترفون بمعجزهم عمن
الاهتداء الى معرفة سر الحياة هكذا ، وفي الوقت نفسه يشئون حربا على
تشارلز (داروين) ويتهمونهم بالنفاق ومضاعة رجال الدين لانه أعلن أن أحدا
لم يهتد الى معرفة سر الحياة ، وأن التفسير الحقيقي الذي تطمئن اليه
النفس ، لنشأة الحياة الاولى هو أن هذه الحياة قد نفخها الله (في الاصل
بقدرته سبحانه وتعالى .

والخلاصة أن الماديين الملاحدة لم ولن يهتدوا الى معرفة سر الحياة ،
والبت في امر نشأتها الاولى وأن كل ما زعموه ويزعمونه عن معرفة تكوين
الحياة مما يهرفون به من قصة الخلية الاولى والكرثة البسيطة ذات الخلية
الواحدة (١٦) والتولد الذاتي عن طريق التفاعل المادي الى غير ذلك انما هو
أوهام وافتراسات وخيالات حيث لم ولن يستطيع أحد من هؤلاء الماديين
اثبات هذه الزامهم بالطرق العلمية او العملية الحسية ، كما اعترف بذلك
(صراحة) عمدة الاحاد (بختر) كما تقدم .

القواعد الاربع لنظرية داروين

فقال أحد الشباب من حاضري المناقشة :

لقد شرحت لنا جانبا لا بأس به من نظرية التطور والارتقاء ، وأقوالهم
عن قصة وجود الحياة الاولى ، ولكننا نريد شرحا أوفى ، فما هي القواعد
العلمية التي بنى عليها داروين (نظرية التطور والارتقاء) بعد أن أصبح
اسم هذه النظرية مقرونا باسمه ؟؟ .

فقلت له .. أن داروين قد بنى مذهبه (في التطور والنشوء والارتقاء)
على أربع قواعد :

- ١ - ناموس تنازع البقاء .
- ٢ - ناموس الانتخاب الطبيعي .
- ٣ - ناموس المطابقة .
- ٤ - ناموس الوراثة .
- ٦ - اما ناموس تنازع البقاء ، فمعناه (كما يراه داروين) هو أن كل

(١٦) ذكر الاستاذ الكبير نديم الجسر في كتابه (قصة الايمان) أن فرق أخرى من الملحدين
يزعمون أن أصل الحياة كربة بسيطة ذات خلية واحدة ، وزعم آخرون أن الحياة عبارة عن
كتل زلالية حبة صغيرة هي أدنى من ذات الخلية الواحدة وأبسط ، لذلك سموها (مونيرا
Monere أي الوحدة البسيطة في اليونانية ، وزعموا ، أنها تتكون من الجماد (بالتولد
الذاتي) ومن أشهر القائلين بذلك العالم البيولوجي الألماني (أرنست هيكل) أ هـ

الكائنات الحية في تنازع مستمر ، وأن البقاء انما يكون للأكمل والافوى من المتنازعين ، أما الاضعف فانه يتلاشى لانه غير صالح للحياة .
ويضرب داروين لذلك مثلا بما معناه :

اذا فرضنا وجود سرب من الابقار الوحشية تسير في غابة متحدة كعادتها لطلب الغذاء ، فاذا رأت مرعى تراحمت عليه ، فالقوي منها يفوز بأطيب هذا المرعى ، فتزداد قوة على قوتها ، اما اضعفها فانه يزداد ضعفا على ضعفه .

فبإدامتها على هذا العمل، يزداد القوي قوة واكتمالا ، اما اضعفها فانه يزداد ضعفا الى ضعفه ، فلا يزال يتناقص حتى يتلاشى ، فهذا ما يسمونه بناموس تنازع البقاء .

ب - اما ناموس الانتخاب الطبيعي فيشرحه داروين بما معناه مقبلا على ما تقدم :

فاذا انتقل هذا السرب (من الابقار) الى مسافة بعيدة ومرّ بطريق وعرة ، لا يقوى على اختراقها الا الممتازون منها بالقوة ، فلا يصل الى مأمته الا الممتازون بالقوة ، وهذا يعني ان نتيجة هذا التنازع كله ، بقاء الاصلح للبقاء وهلاك غير الاصلح او زيادة ضعفه ، كان الطبيعة (في نظر داروين) تنتخب الافوى والاكمل فتبقى وتلاشى الاضعف والانتقص وتبيده ليكون نتيجة ذلك ، الارتقاء بمعناه الاعم .

ج - اما ناموس المطابقة فمعناه (كما يرى داروين) :
ان لنوع الاغذية وطرق الوصول اليها دخلا كبيرا في احداث الاختلافات بين الانواع .

فمثلا .. المعروف عن الاسد الآن انه حيوان من اكلة اللحوم ، مفترس له انياب حادة ، وبرائن قوية لاضطاراه لتمزيق فريسته بأنيابه واطفاره ، فلو اوجدت نوع الاسد آلافا من السنين متوالية في وسط لا يمكنه من الافتراس ويجبره على تعاطي الاغذية النباتية ، لاضطر (بحكم الضرورة) لتعاطيها .

فتبطل وظيفة انيابه الحادة واطفاره الماضية ، فتضعف (لاهمالها) على توالي الاحقاب وتضمحل وتوجد فيه آلات اخرى اصلح لمعيشته الجديدة ظاهرا وباطنا ، كان يتغير تدريجيا شكل اسنانه وتطول امعاؤه لتحاكي امعاء اكلة الحشائش من الحيوانات ، الى غير ذلك من التنوعات .

ولو فرض ان تلك النباتات لا تتسنى للاسد الا بخوض نهر او بالنسلق على الاشجار ، تخلقت فيه على توالي الاحقاب أعضاء تناسبه احسن

والتسلق الخ .. فهذا هو ناموس المطابقة ، او ناموس التحول كما يسميه البعض .

د - اما ناموس الوراثة فمعناه (كما يراه داروين) :

ان الصفات العرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الاحوال والاوساط المعيشية تنتقل الى الابناء ، فننشأ تلك الابناء مختلفة فيما بينها ، ولا يزال هذا الاختلاف يقوى على مر الاجيال والقرون ، حتى تستحيل تلك الاختلافات العرضية الى اختلافات جوهرية توهم الرائي لها انها اختلافات نوعية من اصل الخلقة ، وهي في الحقيقة اختلافات بسيطة في مبدئها ، توالت عليها الحقب حتى ازدادت تاصلا في الكائن الحي ونمت فيه قادته الى مباينة الاصل الذي نشأ منه تمام المباينة .

حتى ان الرائي لهما يظنهما من نوعين مستقلين ، وهما من نوع واحد، كما نرى ذلك بين الحمار والحصان ، فانهما (على مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد ، وانما اختلف الحمار عن الحصان هذا الاختلاف تبعاً لمقتضيات الوسط الذي عاش فيه الحمار والجهاد المعيشي الشديد الذي يلي به (١٧) .. هذه هي خلاصة القواعد الاربع التي بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء والارتقاء .

ويعلق السلطان صالح بن غالب القميطي (١٨) (سلطان حضرموت)

(١٧) انظر كتاب دائرة المعارف للاستاذ محمد فريد وجدي ج ٤ ص ٢٠ - ٢١ ، وكتاب الايات البينات للسلطان صالح بن غالب القميطي ص ٦٩ ط حيدر اباد .

(١٨) ترجمة السلطان القميطي

هو السلطان صالح بن غالب بن عوض بن عمر بن عوض القميطي ، كان مولده في حيدر اباد الدكن حوالي عام ١٢٨٨ هـ ، وقد تربى كما يتربى اولاد الامراء على ممارسة الامسال العسكرية والرياضية فاجاد هذه الفنون ونال شهرة واسعة ، وكان محل عنابة جده السلطان عوض بن عمر ، وقد لاحظ جده ميوله الشديدة الى طلب العلم فاشبع نفسه ، ويسر له طلب العلم ، فاخذ من كبار العلماء ، وكان من ابرز الذين اخذ عنهم السيد ابو بكر بن شهاب الحضرمي ، وقد برع في العلوم الدينية والعربية والفلسفة ومنها علم الكلام ، ولم يكتف بهذا بل مكف على العلوم الرياضية والميكانيكية والهندسة والعلوم البحرية ، فاخذ منها بنصيب وافر ، وكان يجيد اللغة الانكليزية والافرنسية والانانية والفارسية والاوردية ، جلاوة على اللغة العربية ، وكان على جانب كبير من المعرفة بالحديث والفقه والتفسير مما مكنه من اصدار مؤلفات قيمة في هذه الفنون ، وكان - مع ابنة السلطنة وجاء الملك - محبا للعلماء والصلحاء والمفكرين فكان مجلسه دائما عامرا بهذه الطيقة المتيزة (سواء كان في حيدر اباد او في حضرموت) ، وكانت مجالسه غالبا مسرحا للمناظرة والمناقشة والبحث في مختلف العلوم المفيدة ، وقد زوره في قصره (بالكللا) مرارا ، فوجدته على غاية من التواضع في مناقشته ومناظرته بحيث لا يشعر الناظر له انه امام اكبر راس في السلطنة ، وكان مع جاه السلطان مشهورا بالاستقامة واداء الفرائض المكتوبة في اوقاتها .. تولى مرش السلطنة -

على هذه القواعد الأربع في كتابه (الآيات البيّنات الدالة على وجود خالق الكائنات) بقوله :

ان داروين لم يبحث في اصل الحياة ، بل قال :

ان الانواع كلها مشتقة من اصل واحد او اصول محدودة نفخ فيها الخالق (سبحانه وتعالى) روح الحياة ، وان الخلية الاولى التي تكونت منها كل الاحياء تكاثرت اولا بحكم طبيعتها فصارت نباتات دنيئة او حيوانات دنيئة ، فتولتها النواميس الاربعة المذكورة آنفا قرونا فلبثت تتنازع ، فلم يبق منها الا الاصلح ، ثم تتغير عليها البيئة فتكتسب صفات جديدة تورثها ذرياتها وهلم جئرا حتى تتكون من هذه الجرثومة جميع المخلوقات .

هذه هي نظرية داروين قال بها كعالم طبيعي تخصص في علم الاحياء ومراحل تكوينها ، وقد تضمنت هذه النظرية كتابان لداروين الاول اسمه (اصل الانسان بطريق الانتخاب الطبيعي) اصدره عام ١٨٥٩ م ، والثاني اسمه (تسلسل الانسان) اصدره عام ١٨٧١ م . والثالث ، اسمه (اصل الانواع) .

فقال الشاب المسلم .. بعد الانتهاء من القائنا هذا التفصيل عن نظرية داروين :

= بخضرموت سنة ١٢٥٧ هـ ، وكان حريصا على نشر الامن والعلم في ربوع البلاد ، ففي ابامه استتب الامن في حضرموت التي كانت الى ما قبل توليه السلطة مسرحا للغوص والاضطراب في كثير من نواحيها ، وفي عهده انتشرت المدارس التي كانت قبل عهده شبه معدومة ، وكان من مؤلفاته القيمة :

١ - مضاد الاحكام الشرعية ، طبع في ثلاثة اجزاء ، وقد افه على طريقة اهل الحديث ، غير متقيد بمذهب .

٢ - الآيات البيّنات الدالة على وجود خالق الكائنات ، افه للرد على الملحدين .. طبع في حيدر اباد وهو الآن تحت الطبع في مصر . وهذا الكتاب مع فائدته المعنى فيه اتجاهات غير صحيحة فيما يتعلق بتحضير الارواح .

٣ - مبحث التمسيد بأحاديث الاحاد ، مطبوع .

٤ - رحلته الى دوعن .

٥ - رسالة في الهندسة .. مخطوطة لم تطبع .

٦ - الملاحه البحرية ، يقع في جزأين .. مخطوط لم يطبع .

٧ - تفسير مفردات القرآن ، افه باللغة العربية والاوردية .. مخطوط لم يطبع .

وقد اثنى عليه وعلى جهوده العلمية كثير من كبار المسلمين ، منهم الامير عبد الكريم الخطابي الذي اشاد بكتابه الآيات البيّنات ، توفي السلطان صالح عام ١٢٧٥ هـ . وكان سلفي العقيدة لا يقر الخرافات والبدع ظهر ذلك واضحا في مؤلفاته وخاصة مصابر الاحكام الشرعية .

اني ارى الشيوعي مصفيا لا يتكلم طيلة هذا الحديث الطويل عن نظرية التطور والارتقاء ، فهل يعني هذا ، انه موافق على كل ما جاء في هذا الشرح والتفصيل ؟

فقال الشيوعي :

لم يعد هناك مكان لمناقشة صاحبكم فيما يتعلق بشرح نظرية التطور والارتقاء ، لان كل ما قاله بشأن هذه النظرية مما تنسب الى داروين ولامارك وهيكل (دع الانتقاد) هو واقع لا يحتاج الى معارضة او جدل .

ما هي ادلة داروين العلمية ؟

فقال شاب آخر :

لقد سمعنا في الجلسة الماضية ما اشبعنا فهمنا عن نظرية التطور والتحول والارتقاء .

ولكن اذا كانت هذه هي اقوال (داروين) وتفريعاته وفلسفاته بشأن نظرية التطور والارتقاء ، فهل لديه من الادلة العلمية القاطعة ، او الشواهد الحسية المسكنة ، ما يجعل نظريته في التطور والارتقاء حقيقة واقعة لا ريب فيها ؟؟

فقلت له .. ان هذا السؤال له اهميته القصوى ، ويجب ان تكون الاجابة عليه على جانب كبير من الدقة والانصاف والتجرد .

لان الناس قد اختلفوا في هذه النظرية اختلافا كبيرا ، كما افتتن آخرون بها افتتانا شديدا .

ففرق يتعصب لهذه النظرية تعصبا اعمى ويؤمن بها وكأنها حقيقة واقعة محسوسة لا تقبل الجدل والنقاش ويتهم من يحاول نقد هذه النظرية او انكار شيء منها بالرجعية والجمود والتزمّت ، كما ان هذا الفريق المتعصب لنظرية داروين قد جعل منها نقطة ارتكاز للهجوم على الاديان وسندا لانكار وجود الله تعالى .

وفريق يعتبر مجرّد التحدث عن هذه النظرية (كنظرية قابلة للاخذ والرد) والتصديق (ولو ببعض ما جاء فيها) خروجاً على الدين وكفراً برب العالمين .

والحقيقة ان كلا الفريقين قد غالى فيما ذهب اليه ، وخاصة ابواق الاحلاد الذين جعلوا من نظرية داروين مستندا علميا لهم في الكفر بالاديان وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، كما سترى ذلك بالتفصيل فيما ياتي من مناقشة ان شاء الله .

ثم قلت له .. ولنبدأ الآن بالاجابة على سؤالك فنقول :

ليس لداروين دليل قاطع على صحة نظريته

إن نظرية التطور والارتقاء التي قال بها داروين نظرية غير ثابتة ثبوتاً قاطعاً (لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الحسية) .
وإذا كان داروين ، قد اعترف (صراحة) بأن الطريقة التي وجدت بها الحياة الأولى على وجه الأرض ، لا تزال مجهولة حتى يومنا هذا ، فإن جهله بالطريقة التي تسلسلت بها الكائنات الحية وتنوعت (كما يزعم) لا يقل عن جهله بالطريقة التي وجدت بها الحياة الأولى على وجه الأرض وكيف ومتى وجدت .

فالتبجح لما كتبه ونشره (داروين) عن نظرية التطور والارتقاء يجد أن داروين لم يبين هذه النظرية على أسس علمية قاطعة ثابتة لا يمكن الرجوع عنها ، وإنما بناها على افتراضات وتقديرات وتخمينات تحتمل الخطأ والصواب .

فجميع الذين قالوا بنظرية التطور والارتقاء (وعلى رأسهم داروين) يعترفون بأن هذه النظرية هي فرض علمي يعوزه الدليل الحسي ، بل أن جوهر بحوث علماء التطور والارتقاء جميعاً تشير كلها إلى أن أصول هذه النظرية وفروعها هي من باب الافتراض لا القطع ، والتقدير لا التأكيد .

قال الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (عقائد المفكرين) :

وإذا رجعنا إلى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علماً قاطعاً مفروغاً منه من أصوله وفروعه ، وأكبر أنصاره لا يدعي له أكثر من أنه صحيح في بعض ملاحظاته ومقارناته .

العلم يرفض الوقوف بجانب داروين

ثم قلت للاخ المستفسر :

وهكذا فأننا إذا عدلنا عن مناقشة نظرية التطور والارتقاء من ناحية الدين ، وناقشناها من الناحية العلمية فقط لوجدنا أن العلم يرفض الوقوف بجانب أصحاب هذه النظرية ، ويرفض إعطاؤها صفة القطع والثبوت . (١٩)

(١٩) قال الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (الفلسفة القرآنية ص ١١ - ١٢) تتجدد العلوم الإنسانية مع الزمن على سنة التقدم ، فلا تزال بين ناقص يتم وغامض يتضح وموزع يتجمع وخطأ يقترب من الصواب ، ويستأنف الباحثون (في القواعد العلمية) تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون ، ثم قال .. أن مذهب التطور والارتقاء لا يزال بعد ذلك عرضة لكثير من الشكوك والتصحيحات ، بل عرضة لسنة التطور والارتقاء التي تنتقل به من تفسير إلى تفسير .

ذلك أن كل ما استند عليه لامارك وداروين لاثبات هذه النظرية هو تفسيرات وتقديرات مصدرها الافتراض والتخمين الذي لا يسنده أي واقع شهد به العلم ، أو عضده الحس في أي عصر من العصور والأزمان .

فمنذ أن خلق الله الدنيا حتى يومنا هذا لم يشهد أحد ولم يشعر بحادثة واحدة من حوادث التطور والارتقاء الذي يزعمون .

فلم يثبت (بأية وسيلة من الوسائل ولم تخط كلمة واحدة في أي سفر من الأسفار) تشير إلى أن شيئاً من هذا قد حدث فعلاً .

فلم يثبت في أي عصر من العصور أن عصفورا قد تحوّل إلى ديك أو أن حماما قد تطور إلى حصان ، أو أن قردا قد تحوّل (كما يزعمون) إلى إنسان .

فلو حدث شيء من هذا (في أي عصر من العصور) لظلّ مدى الدهر من الأخبار المتواترة ، ولتكرر حدوثه في عدة عصور وفي مناسبات مختلفة ، ما دام أن ناموس التطور والارتقاء حقيقة واقعة كما يزعمون .

ولكن الواقع المشاهد (بالتواتر منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها) هو أن جميع أنواع الأحياء باقية على ما هي عليه (من ناحية البنية والتركيب والطبيعة) منذ أن ظهرت على وجه الأرض .

فالإنسان هو الإنسان بكل هيئته وكامل طبيعته منذ أن نفخ الله فيه الروح ، وكذلك الحيوانات (بكامل أنواعها) هي باقية على ما هي عليه في تكوينها العضوي وحالتها الطبيعية منذ نشأتها الأولى ، وهذا واقع لا يستطيع أحد أن يثبت سواه أبداً (لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الواقعية) .

أهم الاعتراضات على مذهب داروين

قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) ج ٤ ص ٣١ . . أن أكبر الاعتراضات على مذهب داروين تنحصر في ثلاثة أمور، هي :

١ - عدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع كان في الأحياء الأرضية من عهد الفلّو الستين .

٢ - عدم وجود الصورة المتوسطة بين الأنواع اللازمة للمذهب للتسلل، كان يوجد (مثلا) حيوان أرقى من القرد رتبة واحدة وأدنى من الإنسان رتبة واحدة أيضا .

٣ - طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الاحياء ، فان عمر الارض كما قالوا لا يكفي لاحداث كل ما يرى من هذه الاشكال المختلفة غايّة الاختلاف .

راي الاستاذ نديم الجسر

وقال الاستاذ نديم الجسر في كتابه قصة الايمان - في معرض الحديث عن نظرية داروين - .. اما الردود العلمية فهي كثيرة أهمها .. أن الحيوانات البحرية الدنيا هي باقية ، حتى اليوم على الحالة التي كانت عليها في ابتداء العالم ، ولم نجد أنها تأثرت بناموس الارتقاء ، وأن طوائف الاحياء الكبرى ، الدنيا منها والعليا ، وجدت منها آثار في اسفل طبقات الارض ، فلو كان ناموس الارتقاء اكيدا لوجب أن يكون الاعلى منها كذوات الفقرات ، في أعلى الطبقات ، واننا نجد كثيرا من الاجناس والطوائف قد كانت في المصور القديمة الاولى اكمل منها اليوم ، ونجد في الطبقات الارضية. بعض حيوانات دنيئة فوق حيوانات عالية جدا ، اه .

علماء أوربا المعارضون لمذهب داروين

فقال الاخ المستفسر .. وهل قام احد من فلاسفة أوروبا بالرد (علميا) على مذهب داروين ؟

فقلت له نعم .. انهم كثيرون ، وكلهم ناقش مذهب داروين نقاشا علميا مركزا ، نفى به أن يكون مذهب التطور والنشوء والارتقاء مذهبا صحيحا ثابتا .

فهذا العلامة (دوفري) قد اثبت خطأ اصول اللاماركية والداروينية، ورفض نواميسهم الاربعة التي بنوا عليها نظرية التطور والارتقاء ، فقد قال ان التجارب العلمية الحسية اثبتت بطلان هذه النظرية ، فاعلن مشاهدات (فيما سماه بالظهور الفجائي) لانواع نباتية جديدة طفرة بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من اسلافها الاولى .

كذلك الدكتور جوستاف جوليه يابى نظرية التطور والارتقاء ولا يسلم بنواميسها الاربعة التي بنيت عليها ، بل يثبت أن تجارب العلم الطبيعي تقف ضد نظرية داروين .

واذا كانت قاعدة التطور والارتقاء التي يقول بها الداروينيون هي مجرد افتراض وتقدير فحسب ، فان الدكتور (جوستاف جوليه) يبطل هذه النظرية على اساس من الواقع العلمي المشاهد للموس الذي لا يستطيع احد انكاره .

فانه يقول .. ان التحولات الفجائية هي القاعدة في عالم الحيوانات والنباتات ، فاذا درس الانسان جميع التاريخ الطبيعى (بدقة) رأى نظرية التحول بالطفرة تصادفه في كل مكان .

واقع دودة القز ينقض مذهب داروين

ويقول .. ان حياة الحشرات تنقض مذهب داروين ولامارك ونظرية التحول البطيء المستمر ، ويضرب (جوستاف جوليه) لذلك مثلا بدودة القز فيقول :

ان دودة القز تولد دودة تحيا اياما حياتها المعروفة ، ثم تنسج لنفسها شرنقة فتدخل فيها ، وهناك لا تموت فقط ، بل يسيل جسمها ويستحيل الى مادة اولية لا شكل لها ، ثم تتركب هذه المادة فتكون جسما لا نسبة بين شكله وشكل الدودة ، يكون فراشة ذات اجنحة وغرائز اخرى غير غرائز الدودة .

فهذا المثال وحده يبطل كل نظريات الداروينيين واللاماركيين المؤسسة على ان اختلاف الاعضاء وتطورها وارتقاء الانواع واشتقاق بعضها من بعض لا يكون الا على مقتضى نواميس سموها بأسماء متنوعة ، ثم يكر الاستاذ (جوستاف جوليه) على الجناح الالحادي في نظرية التطور والارتقاء فيقول .. والحقيقة .. ان كل نوع نشأ بفعل قوى ليست من القوى الطبيعية المعروفة ، واي شاهد اصدق من هذا الشاهد الحسوس ؟؟

فقال الشاب المسلم المستفسر .. اليس ما يحدث لدودة القز هو تحول في الانواع يثبت نظرية داروين ؟

فقلت له كلا .. انه تحول (فعلا) ولكنه يناقض النواميس الاربعة التي بنيت عليها النظرية ..

فنظرية التطور والارتقاء تقول :

ان احط الحشرات (كالدودة مثلا) تتطور الى حيوانات اعلى منها (تدريجيا) حتى تصل الى حيوانات اكبر فاكبر (ريشية ومجنحة) فحيوانات اعلى ذات فقرات النخ .

ولكن واقع دودة القز (او الحرير) ينسف هذه النظرية من اساسها تماما .

فمثلا : بيض دود الحرير تكون في حجم بزر التين ، فاذا جاء فصل الربيع خرج من كل بيضة دودة ، فاذا خرج اطعم ورق التوت الابيض

فيكبر تدريجيا حتى يصير في حجم الاصبع ، ثم ينتقل من اللون الاسود الى الابيض زويدا رويدا في مدة ستين يوما ، ثم يأخذ (هذا الدود) في النسج على نفسه ، وما الخيوط التي يخرجها من فيه الامادة لزجة متى لامست الهواء جفت .

فلا يزال (هذا الدود) يخرج تلك الامادة ويحلبها الى خيوط ويلفها حول نفسه حتى يصير كهيئة الجوزة ، فينجس فيها نحو من عشرة ايام لا يموت انتاءها . فحسب بل (كما قال الدكتور جولييه) : يستحيل الى امادة اولية ، بتركيبها من جديد تتكون جسما جديدا لا نسبة بين شكله وبين شكل الدودة ، ثم يثقب هذا الجسم الجديد تلك الجوزة ويخرج منها فراشا ايضا له جناحان لا يسكنان من الاضطراب .

وعند خروجه يميل للتزاوج فيلصق الذكر ذنبه بذنب الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان فتبيض الانثى البيض الذي تقدم ذكره على خرق بيضاء تفرش قصدا ثم يموتان (٢٠)

فمنذ عرف الناس القز والحريز ، ومنذ وجدت هذه الدودة على وجه الارض (ومنذ الاف السنين) وطريقتها في التحول والانتاج هي هي ، لم يلاحظ عليها اي تغير او تبدل يوحي بانها تطورت وارتقت من الحالة التي كانت عليها .

فالتحول الذي يحدث لدودة القز والحريز لا يتم لتترقى هذه الدودة وتتطور الى انواع ارقى منها واعلى (كما هي نظرية الداروينيين واللاماركيين) وانما هو عامل ضروري ثابت لانتاج القز والحريز اذ بدون هذا التحول يستحيل على الانسان الحصول على شيء من هذه الامادة الثمينة (القز والحريز) .

وهكذا .. ففي كل شيء له آية تدل على انه الواحد .

نبات دودة القز والحريز (شكلا وتحولا وانتاجا) على ما هي عليه ، منذ ان عرف الانسان القز والحريز (وقد عرفه قبل عشرات آلاف السنين) هو اكبر دليل على بطلان نظرية التطور والارتقاء .

فلو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان - طيلة هذه الالاف من السنين - شيئا من التطور والارتقاء على هذه الدودة ، لا سيما وان هذه الدودة تواتر امرها بين بني الانسان منذ اقدم العصور لارتباط وجودها بوجود الحريز والقز الذي لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذه الدودة وحسب

النظام الالهي الذي تسير عليه هذه الدودة لتوفير هذا الانتاج .
ولو حدث شيء من التطور والارتقاء على هذه الدودة (وحسب
النواميس التي وضعها الداروينيون لنظرية التطور والارتقاء) لانتقد
الانسان مادة القز والحريز الى الابد ، لان هذه الدودة ستكون قد تطورت
وارتقت الى أي نوع من الاحياء لا يسمح لها تركيبها وشكلها بانتاج هذه المادة ،
لأنها تكون قد تحولت الى ديك أو نسر أو ظبي أو ما شابه ذلك من الكائنات .
وهكذا فان واقع دودة القز والحريز - سواء كان من ناحية التحول
الفجائي أو من ناحية بقائها على ما هي عليه منذ ان ظهرت على وجه الارض -
لمن أقوى الأدلة على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء .

اما العلامة والاس - فبالرغم من مناصرته داروين في مذهبه - فانه
انكر على استاذ داروين القول بأن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة
التطور والارتقاء حيث قال .. ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على
الانسان ، ولا بد من القول بخلقه راسا .

وقال الاستاذ (فرخو) انه يتبين لنا من الواقع ان بين الانسان والقرد
فرقا بعيدا ، فلا يمكننا ان نحكم بأن الانسان سلالة قرد أو غيره من
البهائم ، ولا يحسن ان نتفوه بذلك .

وقال (هيفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه رأي من
آراء الصيبيان .

اما العلامة (اغاسيز) (٢١) فقد حكم على مذهب داروين بالبطلان ،

(٢١) ترجمة (اغاسيز)

هو ليس جون اغاسيز عالم سويسري شهير ، ومن اشهر علماء الطبيعة في اوروبا ، ولد
في قرية موتيه من منطقة الالب عام ١٨٠٧ م وتوفي عام ١٨٧٣ ، كان جده الاول فرنسي لجأ
الى سويسرا في عهد لويس الرابع عشر هربا من تصفئه واضطهاده .. تلقى اغاسيز علوم
الطب في جامعات « زيوريخ » و « مونيخ » و « هايدلبرغ » وقد ذهب الى امريكا وعلم في
جامعتي « هارفارد » و « كورنيل » فيها ، كان اغاسيز - وهو ابن اسقف موابيه - بروتستانتي
المذهب ، وكان شديد التمسك بدينه ، وهو من الانذاد المتدينين الذين برعوا في العلوم مع
التمسك بدينهم ، يعتبر اغاسيز حجة في علم الاسماك وطبائعا ، وكان من اشد المعارضين
لنظرية التطور والارتقاء ، وتعتبر اقواله حجة في معارضته نظرية داروين ، بصفته أحد العلماء
الانذاد في علم الطبيعة ، فقد رفض اغاسيز الاعتراف بنظرية التطور والارتقاء كما وضعها داروين
ولامارك . وصرح بأن الشبهة لا يتم الا وفقا لخطة الهية حكيمة دون القوى النظامية فيها ،
ويقول (كما في كتاب مقارن العلم) ان الاسطفاء الطبيعي (الذي يلهم به دعاة نظرية التطور
والارتقاء) اذا ما حل محل الخلق الالهي فان الانسان يكون قد جرد من روحه وغدا آلة
صماء ، ويقول اغاسيز .. ان التفسير الحرفي لنظرية « داروين » يفسح المجال لتأليه
« سوبرمان - نيتشه » وتمجيد القوى البدنية على انه الأساس الوحيد للسلوك بين الناس ، =

وذلك في رسالة أصدرها تحت عنوان (أصل الانسان) وتلاها في ندوة العلم
الفكرية ، فقال فيها ما خلاصته .. ان مذهب داروين خطأ علمي باطل
في الواقع ، واسلوبه ليس من اساليب العلم بشيء ، ولا طائل تحته .

هكسلي يرد على صديقه داروين

اما العلامة (هكسلي) فبالرغم من أنه على مذهب (اللادرية)
وصديق حميم لداروين ، فقد أبى أن يسلم بصحة مذهب التطور والارتقاء ،
فقد صح عنه أنه قال .. انه بموجب ما لنا من البيانات لم تبرهن قط أن
نوعا من النباتات او الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعي أو الانتخاب الصناعي .

ودعا العلامة (تندل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين ، فقال .. انه لا
ريب في أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون انه نتيجة مقدمات لم يسلم
بها .. ومن المحقق عندي انه لا بد من تغيير مذهب داروين .

وقال العالم الايطالي (روزا) ان الاختبار الاصطناعي الذي جربه
بنو الانسان في خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين .

علماء الشرق الذين عارضوا مذهب داروين

فقال شاب آخر .. وهل احد من فلاسفة الشرق عارض مذهب
داروين وناقشه على الصعيد العلمي مناقشة دقيقة ؟.

فقلت له .. نعم ، لقد ناقش فلاسفة الشرق وجهابذة الفكر من
المسلمين والمسيحيين ، نظرية داروين مناقشة واعية مركزة عارضوا بها
مذهب داروين وبرهنوا على اهتزاز هذا المذهب وعدم صحته وأنه قد
نال من الاهتمام أكثر مما يستحق .

ولعل أقوى هؤلاء العلماء حجة في نقض نظرية داروين هم :

« وقد كان افاسيز - في مجال الرد على داروين - يصرح بأن ثمة فرقا واضحا بين تناسل الانواع
وبين خلق الانواع ، فالحيوانات تناسل فتنجح نوعها ، اما الله وحده قادر على خلق نوع
جديد ، وقال .. ان الفكرة التي يعتقدونها الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع
سابق ليست الا افتراضا اعتباطيا يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة ، وانه هو ،
لا يصدق بأن الظاهر البيولوجي الذي كان ولا يزال سائدا على وجه الارض يعود لعمل القوى
البدنية دون تدخل القوة الخالقة مباشرة . قال الاستاذ جورج سلسني في كتابه (عبقارة العلم
ص ٢٢١) لقد كان افاسيز أعظم معلم في جيله ، ومكانه ما يزال شافرا حتى اليوم لم يلاه
احد ، كان شخصا نبیلا غاية الإنبل ، وهو احدى دعائم التقدم والمدنية في العالم .

فيلسوف الاسلام (جمال الدين الافغاني) (٢٢) وعلامة الشيعة
الكبير الشيخ (محمد رضا آل العلامة التقي الاصفهاني) من علماء كربلاء ..
والاستاذ ابراهيم الحوراني ، والاب (جرجس فرج صفيح الماروني) والاسقف
خير الله اسطفان والدكتور حليم عطية سوريال ،

وزيادة في الايضاح فانا هنا سنذكر لكم بعضا من ردود هؤلاء العلماء
(مسلمين ومسيحيين) على مذهب داروين ، لان هذه الردود من المثانة
والعمق والتركيز بحيث لا يستغني عن الاطلاع عليها من يرغب في معرفة
مذهب التطور والارتقاء على حقيقته .

رد الافغاني على داروين

قال الامام جمال الدين الافغاني في كتابه (الرد على الدهريين) أثناء
مناقشته للمذهب التطور والارتقاء قال :

(٢٢) ترجمة جمال الدين الافغاني

قال الزركلي في الاعلام : هو محمد بن صفيح الحسيني ، جمال الدين .. فيلسوف
الاسلام في عصره واحد الرجال الانداز الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق العاصرة ..
ولد في اسمد اباد (بافغانستان) ونشأ بكابل . وتلقى العلوم العقلية والنقلية ، وبرع في
الرياضيات وسافر الى الهند ، وحج سنة ١٢٧٢ هـ ، وعاد الى وطنه ، فاقام بكابل .
وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد (دوست محمد خان) ثم رحل مارا بالهند ومصر ، الى
الاستانة سنة ١٢٨٥ هـ وجعل فيها من اعضاء مجلس المعارف . ونفي منها (سنة ١٢٨٨)
لفقد مصر ، فنفع فيها روح النهضة الإصلاحية ، في الدين والسياسة ، وتسلط له نابضة
مصر الشيخ محمد عبيد . وكثيرون . واصدر اديب اسحاق ، وهو من مريديه ، جريدة
« مصر » فكان جمال الدين يكتب فيها بتوقيع (مظهر بن وضاح) اما منشوراته بعد ذلك فكان
توقيعه على بعضها « السيد الحسيني » او « السيد » ونفته الحكومة المصرية عام ١٢٩٦ هـ .
فرحل الى حيدر اباد ، ثم الى باريس . وانشأ فيها مع الشيخ محمد عبيد جريدة (العروة
الوثقى) ورحل رحلات طويلة فاقام في العاصمة الروسية « بطرسبرج » كما كانت تسمى ،
اربعة سنوات ، ومكث قليلا في ميونيخ (بالمانيا) حيث التقى بشاه ايران « ناصر الدين »
ودعاه هذا الى بلاده ، فسافر الى ايران . ثم شقيق عليه ، فاعتكف في أحد المساجد سبعة
اشهر ، كان خلالها يكتب الى الصحف ميينا مساويده الشاه ، محرزا على خلمه . وخرج
الى اوروبا ، ونزل بلندن ، فدعاه السلطان عبد الحميد الى الاستانة ، فذهب وقابله ،
وطلب منه السلطان ان يكف عن التعرض للشاه ، فأطاع . وعلم السلطان بعد ذلك انه
قابل « عباس حلمي » الخديوي ، فماتيه قاتلا .. اريد ان تجعلها عباسية ؟ ومرض بعد
هذا بالسرطان ، في تكة ، ويقال بسر له السم . وتوفي بالاستانة سنة ١٣١٥ هـ وكان ميلاده
في اسمد اباد (بافغانستان) سنة ١٢٥٤ هـ ، وقد نقل رفاته الى بلاد الافغان سنة ١٣٦٣ هـ ،
وكان عارفا باللغات العربية والافغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية ، واذا تكلم
بالعربية فلفته الفصحى ، واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة ، كريم الاخلاق كبير
العقل ، لم يكثر من التصنيف اعتمادا على ما كان يبينه في نفوس الماملين وانصرافا الى
الدعوة بالنور والعدل . له (تاريخ الافغان) و (رسالة الرد على الدهريين) ترجمتها الى
العربية لتلميذه الشيخ محمد عبيد .

راس القائلين بهذا القول داروين ، وقد ألف كتابا في بيان ان الانسان كان قردا (٢٣) ثم عرض له التنقيح والتهديب في صورته بالتدرج على تنالي القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ اوران اوتان ، ثم ارتقى من تلك الصورة الى اول مراتب الانسان فكان صنف (النيميم) وسائر الزنوج ، ومن هناك عرج افراده الى افق أعلى وارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي .

وعلى زعم داروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور ، وان ينقلب الفيل برغوثا كذلك .

ثم يناقش الافغاني (داروين) في ناموس التحول والتباين الذي يزعمه (ضمن نظريته) فيقول :

فان سئل داروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة من ازمان بعيدة لا يحدها التاريخ (الاظنا) واصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد ، فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيتها واشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره ، فاي فاعل خارجي اثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ .. اظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه .

ثم يستمر العلامة الافغاني في الرد على داروين قائلا :
وان قيل له هذه اسماك بحيرة اورال وبحر كسبين تشاركها في المأكلة والمشرط وتسايقها في ميدان واحد ، ترى فيها اختلافا نوعيا وتباينا بعيدا في الالوان والاشكال والاعمال - فما السبب في هذا التباين والتفاوت ؟ فلا اراه يلجا في الجواب الا الى الحصر .

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البني والصور والقوى والخواص ، وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق من الحشرات المتباينة في الخلقة ، المتباعدة في التركيب ، المتولدة في بقعة واحدة ، ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة .. فماذا تكون حجة في علة اختلافها ؟ .. بل اذا قيل له اي هاد هدى تلك الجرائم في نقصها وخداجها ؟ .. واي مرشد ارشدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء انظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وابداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة في عضو اداء وظيفته وإبقاء عمل حيوي مما عجز

(٢٣) لم يثبت عن داروين القول بأن الانسان تحدر من القرد وانما الثابت عنه (كما في مؤلفاته) انه قال انه من المحتمل ان يكون الانسان والقرد قد تحدرا من اصل واحد .

ابدؤا آراءهم واخذوا طريقا جديدة . . فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام التقني والهيئة البديعة والاشكال المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر اثره ، ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية . . والموجب لاختلاف الصور والمقدر لاشكالها واطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء . . متبير ، وفورس ، وانتليجانس ، أي مادة وقوة وادراك ، وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلامسها من الادراك تجلت وتجلت بهذه الاشكال والهيئات ، وعندما تظهر بصور الاجساد ، نباتية كانت او حيوانية تراعي بما يلابسها من الشعور وما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتشبه لها . من الاعضاء والالات ما يفي باداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفاف الى الازمنة والامكنة والفصول السنوية . . هذا انفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعدما دخلوا الف جحر وخرجوا من الف نفق ، وما هو اقرب الى العقل من سائر اوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر اصولهم ، فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجسام مركبة من الاجزاء الديمقراطية نسبة الى ديمقريطس . ولا ينطبق رأيهم الجديد في هذا النظام الكوني على رأيهم في تركيب الاجسام ، وذلك لانه يلزم عن القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء ديمقراطي شعور خاص ، كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بها عن سائر الاجزاء ، اذ لا يمكن قياس العرض الواحد وحدة شخصية بمحطين ، فلا يقوم علم واحد بجزاين ولا بأجزاء .

ثم يختم الافغاني هذا الفصل من الرد على داروين بقوله :

وبعد ذلك فاني سألهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء ؟ . وبأية آلة أفهم كل منها باقيةا بما ينويه من مطلبه ؟ واي برلمان او اي سنات - مجلس شيوخ - عقدت للتشاور في ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف ؟ واني لهذه الاجزاء ان تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب ، فمن الواجب ان يكون له متقار وحوصلة لحاجته في حياته اليها ؟ . . ا . هـ

عالم شيعي يناقش مذهب داروين

أما علامة الشيعة الشيخ محمد رضا التقي الاصفهانى ، فقد تقد مذهب داروين ، الا انه - مع عدم تسليمه بصحة هذا المذهب - كان اخف وطأة في هجومه على داروين من الفيلسوف الافغاني ، وكان مع ذلك اكثر تعمقا في المناقشة ، واكثر دقة في البحث والمقارنة .

ولقد كان العلامة الشيعي - مع رفضه لمذهب داروين - لا يرى في

القول بالنشوء والتطور والارتقاء أي الحاد أو انكار للخالق سبحانه وتعالى ، وقد تضمن كل مناقشاته لمذهب النشوء والارتقاء كتاب اسمه (نقد فلسفة داروين) .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد (رحمه الله) في كتابه (الانسان) ص ١٠٥ .. وبعد كتابة (الرد على الدهريين) بنحو من ثلاثين سنة ، ظهر كتاب نقد (فلسفة داروين) لمؤلفه الشيخ (محمد رضا آل العلامة التقي الاصفهاني) وهو باحث فاضل من علماء الشيعة بكرلاء المعلى تحرى فيه النظر في مجموعة وافية من مراجع مذهب النشوء العربية والافرنجية .

وقال في وضع آخر .. وانصف المؤلف مذهب النشوء ، فلم يحسبه من مذاهب الالحاد والتعطيل لان القول بالنشوء لا يقتضي انكار الخالق وانما يتسرب اليه الالحاد من تفسيرات الماديين لقدماته على الوجه الذي يوافق نتائجهم المقررة عندهم قبل ظهوره ، فيقول المؤلف عن فلسفة النشوء والارتقاء انها ليست مما ينافي الدين ، اذ الذي يجب علينا اعتقاده هو ان جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات من نباتاتها وحيواناتها ، والبشر على صنوفها واختلاف لغاتها ، صنع اله واحد قادر حكيم قد وسع كل شيء علما واتقنه صنعا .. خلق جميع الاصناف من جميع الانواع عن قصد واختيار .

وهذا امر متفق عليه في جميع الاديان .
واما كيفية الخلق وان هذه الانواع كلها خلقت خلقا مستقلا ، وانها لم تتغير عما وجدت عليه في اوائل الخلق ، فهذا امر لم يرد به نص صريح من الكتاب والسنة ولا متواتر من السنة .

وسواء كانت آباء الجمل جمالا أو كانت ضفادع تنق في الماء ، والجهد الاعلى للفيل فيلا أو (ستونوا) يطير في الهواء ، فان أدلة الصنع عليهما في الحالين ظاهرة ، وفيها على وجود الصانع الحكيم آيات باهرة ، ففرحة الملاحدة بهذه الاراء وجعلها أساسا للالحاد من أغرب الاشياء .

ثم يقول المؤلف : ان هذه الاراء « ليس فيها الا بيان ترتيب المخلوقات وكيفية الصنع فيها ، ومتى كان أهل الدين ينكرون ذلك ويدعون ان الله تعالى خلق جميع الاشياء في وقت واحد خلقا مستقلا عن الآخر ؟؟ وهم يرون الله تعالى بلطيف حكمته وبديع صنعته يخلق الثمر من الشجر ، والشجر من النواة ولا يجعل العنب حلوا الا بعد ما يجعله حامضا ، ولا يجعله حامضا الا بعد ما يجعله مرا » .

وينتقد المؤلف حجة المشابهة بين الانسان وبعض انواع الحيوان (في مذهب داروين) فيقول :

بل لعل في الحيوانات الدنيا من شبه الانسان اقساما لا توجد في العليا ، فلا يصح الاعتماد على مجرد المشابهة .. وهذا الاستاذ الشهير (كوفيه) يقول ان ادراك القرد ليس ارقى من ادراك الكلب الا قليلا .. واذا سلمنا ان من لوازم المشابهة التحول ، فكيف يتعين تحول الانسان عن حيوان نشأ عنه القرد ؟ فلعل الانسان تحول قردا ... وهذا ما نص عليه الذكر الحكيم .

وبعد مناقشة العالم الشيعي قرينة الشبه بين الانسان والقرد التي هي احدى حجج التشويين ، مضى يناقش القرائن الاخرى التي يستند اليها الداروينيون للقول بتحول الانواع وتحول النوع الانساني من بينها ، عن اصله المشترك بينه وبين الفقاريات العليا ، فنهج في مناقشته على هذا المنهج الذي يستمد الدليل من اصول الجدل المنطقي تارة ومن تجارب الواقع تارة اخرى ..

وافادته مطالعته المتفرقة لمراجع المذهب .. فلم يخطيء مواضع الحجة الواقعية احيانا ، مع اعتماده الغالب على منهج النقائض الجدلية . ومن قبيل ذلك انه عمد الى دليل من اقوى ادلة التشويين وهو بقاء الاعضاء الاثرية (٢٥) - كالثدوة - في ذكور الانسان ، فتساءل .. قائلا « لا ادري لماذا بقي اثر عار الخنثة ظاهرا في الانسان ، ولم يبق فيما هو ادون منه في سلم الارتقاء كذوات الحافر » ولم ينس ان يستدرك على هذا الاعتراض بما استنده الى ما قال الرئيس (اي ابن سينا) في الشفاء « ان الفيل الذكر له ندي كما للانسان ، وذكور ذوات الحافر لا ندي لها الا ما يشبه امهاتها وينزع اليها كما يعرض مرارا في الخيل » .

وجملة رأي المؤلف ان ما يسمى بالاعضاء الاثرية يدخل في باب « الشذوذات » التي تعرض لتكوين بعض الاحياء ، وهي اجنة في بطون امهاتها ، او تعرض لها خلال نموها ، وعدد من ذلك ما يولد وله اربع ايد او ما يولد وله جوف واحد ورأسان واربع اقدام ، او ما يولد وقلبه فسي غير موضعه ، ثم قال متسائلا :

« فهل يمكن تعليل هذه الشواذ المتنوعة بحيوانات كانت كذلك في العصور الجيولوجية فانقلت الى هؤلاء النعساء بناموس «الاتافيسيم»؟ . فان لم يكن ذلك فلتكن الشواذ التي فيها بعض الشبه بالحيوان من هذا القبيل ؟ » .

(٢٥) انظر بحثنا المستفيض المفصل في مناقشة احتجاج الداروينيين بوجود الاعضاء الاثرية في سلب هذا الكتاب تحت عنوان (اقوى حجة للملحدين في النظرية) .

ومنهج المؤلف في نقد الانتخاب الجنسي - وهو سبب هام من أسباب التطور - كمنهجه فيما تقدم ، فهو يبدأ بالانتخاب الجنسي في النباتات .. ويسأل .. كيف يقع الانتخاب الجنسي بين النباتات التي لا يتوقف تلقيحها على الحشرات والطيور ؟ وكيف تميز الحشرات والطيور ما هو جميل وما هو أجمل ؟ ثم يقول .. « ان العجماوات قليلة الإدراك لما في المصنوعات الجميلة من الجمال حتى ان بعضهم جعل ذلك أعظم فارق بين الانسان وبينها ، وكان الاستاذ هكسلي (٢٦) ممن يذهب هذا المذهب » .

قال .. (ثم هب ان هذه الحيوانات الملقحة عذرية الهوى والغرام ، وهائمة بالجمال كعورة بن خزام .. ولكنها لا تريد مغاللتها بل تطلب رزقها المقسوم لها ، وعند أي نبات وجدته لتحقته حسنا كان أو قبيحا فلا ادري بم يعلل هذا الحسن والانتظام في الفواكه والثمار وما فيها من الطعم المحبوب والنكهة الطيبة ونحوهما مما لا يوجد الا بعد التلقيح ؟)

ثم انحنى المؤلف (الاصفهانى) على أساس مذهب التحول (في نظرية التطور والارتقاء) لانه قائم على افتراض تعدد الانواع بعد انفرادها أو قلتها ، وليس هذا الافتراض باللائم بضرورة من قياس العقل ولا من نتائج الواقع :

« ومن الطريف في هذا الرأي انه يعلل به القول باتحاد أصول الانواع أو قلتها ، كذلك يمكن القول بعكس ذلك والتعليل له ايضا ، فيقال ان أصول الاحياء كانت في بدء الخلق متباينة بأقصى ما يكون من التباين وعدم التشابه (٢٧) فلم يزل كل حي يخلف نسلا يشبهه بناموس الوراثة ويباينه بناموس المباينة

(٢٦) ترجمة هكسلي

هو ، توماس هنري هكسلي ، عالم انكليزي ، ولد عام ١٨٢٥ م وتوفي عام ١٨٩٥ م ، كان من اكبر اساتذة علم: الاحياء في القرن التاسع عشر ، كان قد تخرج في الطب من جامعة لندن ، وكان من اكبر الجراحين في البحرية البريطانية .. الا انه بعد ذلك عين استاذاً للتاريخ الطبي في « كلية التمدين » ، وهكسلي هو الذي وضع مصطلح « اللادارية » في اللغة ، وهو يعني التوقف في مسئلة وجود الباربي سبحانه وتعالى ، وعدم البت فيها لا بنفي ولا اثبات ، وهو من أشهر القائلين بنظرية التطور والارتقاء ، وكان شديد المهارة في مناقشة الخصوم ، وكان هكسلي على مذهب « اللادارية » فقد قال في أحد اجتماعات نادي الجمعية البريطانية ، لقد ذكر أحد أعضاء هذا النادي بأن الاغلبية منا تكفر بالله وتكر وجوده ، أما أنا ردا على ذلك باني « لا ادري » وحسب .. أي ان عقلي قاصر عن ادراك معنى الوحي الالهي فانا حقا لا اعرف .. قال الاستاذ جورج سلسي الذي نقل عنه هذا القول في كتابه (عياقة العلم ص ١١٧) .. ويتضح لنا من كلمته تلك انه مسلم غير مؤمن اكثر منه جاحدا ينكر وجود الله ، فهو خارج على المعتقد الكنسي وليس مارقا يثيراً من الدين .

(٢٧) وهذا القول عكس مذهب داروين في التطور والارتقاء .

لكن بما يقربه الى فرد آخر ، فلم تزل تلك الميائيات مع الاجداد تزيد المشابهات مع سائر الافراد ، وتنازع البقاء يلاشي الضعيف ، والطبيعة (كما يزعمون) تنتخب القوي حتى صارت التباينات التي قلنا انها مع غير المشابهات ثابتة ، فتألفت منه الانواع الموجودة .. وله شواهد على مذهب هؤلاء ، فالحية مثلا تعد الآن من جنس الدبابات ولا تجتمع معها في الاصل بل اصلها من ذوات الارجل ، وقل مثله في الحيوانات المنحطة التي يذكرها بخنر وغيره فانها الان تؤلف جنس المنحطات وهي بعيدة في الاصل منها .. »

أصل لغات البشر

ثم قال .. « وهذا الاحتمال .. وان لم أجد احدا قال به في اصول الانواع ، ولكنه أحد القولين المشهورين في أصل اللغات .. وعند العلماء مذهبان شهيران .. »

الأول أن لغات البشر متشابهة ، وهي كلها من أصل واحد .. وهذا الأصل قد تفرع وتنوع فتولدت منه لغات البشر المختلفة ، فما اللغات سوى لهجات من لغة واحدة ولكنها بعدت عن الأصل كثيرا وتغيرت بالزيادات والنقصان والنحت والحذف حتى بعدت بعضها عن بعض هذا البعد الشاسع وتعذر رد بعضها الى بعض لفقد الحلقات الكثيرة من بينها ..

والمذهب الثاني أنه كانت للغات البشر أصول مختلفة بحسب عدد طوائفها ، وأنه مع الزمان اقتربت هذه اللغات بعضها من بعض فتمازجت وتشابهت الخ .. وعند الكاتب أن المذهب الثاني أقرب الى الصحة وأقدر على حل المشكلة من الأول .. »

وتابع العلامة الشيعي بحثه في النشوء ونقده للنظرية التطورية ، فاستطرد منه الى البحث في الارتقاء وسأل :

« اي معنى لارتقاء ذوات الاربع عن الطيور ، وارتقاء الانسان عن ذوات الاربع ، مع اشتراك الكل في حصول التغير ؟ » .

ثم ينتهي المؤلف في بحثه الى أن مذهب داروين مذهب ناقص لا توجد فيه حجة قاطعة يعتمد عليها غير قرائن الترجيح والتقليب .. ثم له عن المزيد من البحث والتنقيب ، كما قال بعد أكثر من خمسمائة صفحة على هذا المنهج مستندا الى قول (فيرسو) العالم الألماني .. « انه في بعض طوائف الناس صفات يشاركونهم القرد فيها ، كما في بروز الفك وفطس الانف مما يجعل العلاقة قريبة بين تلك الطوائف والقروء حتى يحتمل ارتقاؤها

من القرد ، ولكن بين الاحتمال والقطع بونا شامعا ، لان الصفات المشار اليها لا تقوم نوع القرد بل المقوم له خواص اخرى ، وكل قدة من جلده كافية لتمييز نوعه من غيره من الانواع .

ولا اظن ان واحدا من المشرحين المشهورين يرتاب في ذلك ، والفرق بين الانسان والقرد واضح جدا حتى ان كل قطعة من الواحد كافية ليستدل منها على النوع المقطوعة منه .. فالادلة على النشوء الفعلي قاصرة جدا لا يبنى عليها حكم ، ولا بد من ان يزيدنا البحث والتنقيب للوقوف على ادلة اخرى قوية .. « اهـ .

علماء مسيحيون يناقشون مذهب داروين

اما العلماء المسيحيون الشرقيون الذين ناقشوا مذهب التطور والارتقاء وأثبتوا عدم صحته فهم كثيرون ، ولعل اقوى هؤلاء حجة (فيما وصل الينا) هم اربعة من مشاهيرهم ، ناقشوا مذهب داروين على الصعيد العلمي والديني .

الاب جرجس فرج يناقش النظرية

واحسن ما رايت من مناقشة هؤلاء المسيحيين الشرقيين لنظرية التطور والارتقاء مناقشة الاب جرجس فرج صفيار الماروني مدرس الفلسفة بالدرسة اللبنانية في قرنة شوان .

فقد اصدر هذا العالم الماروني سنة ١٨٩٠ م كتابا ناقش فيه انصار مذهب التطور والارتقاء مناقشة اثبت بها ان هؤلاء ليسوا على شيء وأن مذهبهم انما بني على الوهم والتخيل .

وقد نهج نقاشه نهج الحوار بين خصمين سمى أحدهما بالانسان القردي وسمى الآخر بالانسان الادمي ، وادار الحجاج بينهما على هذا المثال الذي نسمعكم اياه منقولا من كتاب (الانسان في القرآن الكريم) ص ١١٤ :

الادمي - ابن تجدون اشكال الانتقال من يد قرد الى رجل انسان ؟ ،
افهل عثر على ذلك احد علمائكم ؟ فان لم تعثروا على شيء من ذلك فالانسان القردي لا يكون له وجود ..

القردي - ان الباحث بالونتولوجية « الحفرية » والحق يقال لم تات بما يعرب عن تسلسل بين الانسان والقرد او احد انواع الحيوانات .. على ان اسألتنا قد اجمعوا على أنه من المحتمل ان من الحيوانات التي على شكل حصان البحر ما يتحول الى حيوان قوائمه على شكل قوائم الخنزير ،

وان منها ما قد يتحول الى الماعز ومنها الى الخرفان ... الخ .

الادمي - فان كان ذلك من طوابع المحتمل لا من امارات اليقين ، فابن العلم الحقيقي الذي تعولون عليه ؟

القردي - نعم .. اننا لم نجد الى الان اثرا الى الانسان القردي ، غير ان العلم لم يته قضاؤه .

الادمي - ولكن ماذا يكون هذا العلم الذي يقضي بخلاف الواقع ؟ فاننا نرى الانواع لا تتغير عن ذاتها وان كثرت فيها الانسال ، فان قلت لا فارق بين النوع والنسل استكتك العلام الفزيولوجية ونحن نحصرها في امر وهو النتاج .

القردي - ومن يمكنه ان يرسم تخوم النوع ، والعلماء لا يكادون يتفقون على شيء منه ؟

الادمي - او يكون الجهل في اصل شيء او في علته حجة في انكار وجوده ؟ افنتقه ما للعلام الجوية والارضية من الاسباب والعلائق ؟ ونحن مع ذلك لا ننكر وجودها .. انا نعلم ان المولود من قران الفرس والحمار لا يكون الا عاقرا ، فنقول .. لا بد من فرق نوعي في مولده .. افجعلنا في رسم حدوده يمكننا من انكار وجوده ؟ ..

القردي - الا اني اعرف من اصحابكم من يقول بامكانية مذهب التحول .
الادمي - لا نجهل ان البعض من اصحاب الايمان يحبون ان يوفقوا بين التحول والايمان ، فيقولون .. ان الله سبحانه قد جبل آدم من تراب ، قد عركه كثير من المولدين من الخازباز الى آخر حيوان ذي اربع قوائم ، فاخذ الله هذا الحيوان الاخير من السلسلة المتحولة وهو القرد ونفخ فيه النفس البشرية ، وعليه فيكون آدم نتاج عمل محول وخالق معا .. وابين لك في غير مفاوضة كيف يعمه هؤلاء في الضلال .. ومن العجيب كيف لا يفقهون ان هذا المذهب انما تنفيه الفلسفة نفسها كما سبق بيانه .

القردي - او هل تنفيه الفلسفة لو افترضنا تدخل الله عند انتقال كل من الانواع كما تدخل عند خلق الانسان ؟

الادمي - اذا افترضت تدخل الله سبحانه كان لا بد من تعويض نفس بنفس .. اما هذا التعويض فيتم اما بوجود القرد الاول الذي تكون او في بداية الانتشار ، وكلا الافتراضين لا يتحقق .. اما الاول فلانه يفترض قتل الحي ثم اقامته او ملاشاته ثم اقامة آخر بدله .

القردي - قرأت في كتب بعض اصحاب مذهب التحول ان التمايز

انما ينتج من عمل صدفة يدور عليها الانتخاب الطبيعي فما قولك فيه ؟
الادمي - قد سبقهم الى مثل هذا القول غيرهم من الملحدين الذين
يؤيدون المادة .. ونحن نوقفك على ادلة تذكر ما يعولون عليه من فعل
الصدفة في تمايز الكائنات .

ان الصدفة لا تقع الا في الاشياء التي يمكن لها ان تكون على خلاف
ما هي .. فقد يمكن للطاولة التي يصنعها التجار ان تكون مربعة او مدورة ،
اما الاشياء التي هي من الضرورة ، ودائما ، فلا يمكن لها ان تحدث بطريق
الاتفاق .. ولكن من الاشياء ما لا يمكن له ان يكون على خلاف ما هو ، مثل
الجواهر البسيطة وذوات الاشياء وحقاتها ومثل الاعمال التي تصدر عن
فاعل لا يصادمه في فعله شيء ، كالجاذبية مع قطع النظر عن كل مانع
يصادمها في فعلها ، وعليه فان هذه الاشياء لا تقع عليها الصدفة .

انتظر ان للصدفة ان تجعل الكلب حمارا والحمار كلبا .. ونحن
نشاهد ان الحركات والافعال انما تلي تمايز الاشياء ولا تسبقها .. او لا
تري ان السفينة لا تتحرك ولا تجري قبل ان يجعل كل من آلتها في موضعه
على هيئة من التمايز لا ينبغي ان يشوبه ادنى خلل ؟

ويقضي هذا الحوار الى عجز الانسان القردي عن الجواب .

الاسقف خير الله اسطفان

اما الاسقف خير الله اسطفان وهو عالم مسيحي عربي ، فقد اصدر
كتابا اسمه (صفة علم اليقين في حقيقة مذهب داروين) سنة ١٩٢٩ م
تناول فيه مذهب داروين بالبحث ، وذكر الادوار التي مرت بهذا المذهب
وما لاقاه من مقاومة عنيفة ابان ظهوره ، وما بدا عليه من تصدع وتهدم بعد
ان تعرض للبحث والتحميص في العقد الاول من القرن العشرين .

فقد نقل عن العالم الالماني ادوارد فون هراتمان كلاما قال فيه : « انه
في سنة ١٨٦٠ م كانت مقاومة الافذاذ من العلماء الشيوخ لنظرية داروين
شديدة ، الا انه في سنة السبعين اخذت هذه النظرية تنتشر في كل صقع
تقريبا ، وفي سنة الثمانين كان نفوذ المذهب الدارويني عاما ومطلقا حتى
كاد يبلغ بسموه سمت الراس ، وفي سنة التسعين بدأت بعض الشكوك تغطي
وبعض المقاومات تظهر ، وعلامة التصدع والانهدام تبينت واتضحت .

وفي العقد الاول من الجيل العشرين بدأت ايام المذهب ان تكون معدودة
وقال ان من بين مضاديه وداحضي حججه من اعلام العلماء ايمر ، وغوستاف
وولف ، ودي فريز وفون والشتين ، وفليشمان ، ووينك وغيرهم كثيرون .

وقد رفض الاسقف اسطفان مذهب داروين ، ولم يسلم بأن الانسان تحول عن غيره من الحيوان ، لأن هذا لم يثبت علمياً ولم يشهده أحد ، وطالب انصار المذهب بالحلقة التي يعترف الداروينيون بأنها مفقودة ، والتي لم ير لها اثر او عين بين الاحياء ولا بين الاموات ، لا في الاحاسير ولا في المتحجرات .

الا أن الاسقف المذكور مع رفضه مذهب داروين ، لا يرى فيه (اذا ثبت) اية مناقضة للدين .

وقد جاء هذا صريحا في قوله متاثلا : « اذا ثبت مذهب النشوء هل يناقض الدين ؟ » والذي اجاب عليه قائلا « اننا نجيب مع العلماء الزبنيين المجريين من الاغراض والهواء بالنفي ، وانه لا يضاد مقاصد الخالق وغاياته » .

واستشهد ببحث للدكتور مكوشي الذي يقول فيه « ان النشوء بجميع مذهبيه لا ينفي مقاصد وغايات الباربي عز وجل ، فالاستاذ هكسلي التشوئي الكبير والمادي المعروف بين الناس النهاء سلم يكون النشوء لا يلزم منه نفي مقاصد الله ، وان ترتب او توقف مخلوق على آخر او عملهما معا لاتمام مقصد جيد او اكمال غاية حسنة كالحياة للنبات وطيب العيش للانسان فهو دليل واضح عند كبار العلماء على مقاصد الله .. فالذي يصنع آلة تعمل هي آلة مثله ، هو احدث واقدر واحكم من الذي يصنع آلة تقتصر على العمل المقصود منها ولا تتمدها » .

نقضي الدكتور حلیم عطية لمذهب داروين

اما الدكتور حلیم عطية سوريال الطبيب الاول لسجن اسبوط ، فقد نسف مذهب داروين بأدلة علمية وعقلية لا تقاوم ، وذلك في كتاب أصدره عام ١٩٣٧ م بعنوان (تصدع مذهب داروين والاثبات العلمي لعقيدة الخلق) وقد لفت الانتظار فيه الى أنه من الخطأ الاعتقاد الشائع أن انكار مذهب التطور والارتقاء مقصور على رجال الدين ، ذلك أن من كبار العلماء الطبيعيين من يرفض هذا المذهب ولا يسلم به ، وذكر في كتابه أن من بين هؤلاء العلماء ، عميد كلية الطب بجامعة مونبليه واستاذ علم الاجنة فيها ، والاستاذ كاترفاج مدير متحف التاريخ الطبي ببباريس الذي كان ينفي مذهب داروين بقوله « اننا لا نعلم كيف تكونت الانواع الحية .. اننا نعلم فقط انها غير قابلة للتحويل واننا على يقين بأن داروين ولامارك لم يكتشفا التاموس لطريقة تكوينها » .

وقد سرد الدكتور سوريال في كتابه المذكور أسماء كثير من اساطين

علماء الطبيعة المعارضين لمذهب التحول والتطور ، وذكر ان رأيهم في الاختلاف بين الانواع يتلخص في « ان جميع تلك العوامل لا يمكنها ان تغير انواعا من الانواع الحية الى نوع آخر ، وكل التغيرات التي يمكنها ان تحدثها سطحية لا تمس التركيب الجوهري للحيوان او النبات وبعضها باثولوجية - مرضية - (٢٨) تقود الى انتراض النوع ، ولقد قال العالم الإيطالي روزا .. ان الاختبار الاصطناعي الذي جربه بنو الانسان في خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين » .

ويقول الدكتور سوربال في كتابه ان الحلقة المفقودة ناقصة بين طبقات الاحياء ، وليست بالناقصة بين الانسان وما دونه فحسب « فلا توجد حلقات بين الحيوانات الاولى ذات الخلية الوحيدة والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة ، ولا بين الحيوانات الرخوة ولا بين المفصليات ، ولا بين الحيوانات اللاقارية والفقرية ، ولا بين الاسماك والحيوانات البرمائية ، ولا بين الاخيرة والزحافات والطيور ، ولا بين الزحافات والحيوانات الثديية ، وقد ذكرتها على ترتيب ظهورها في العصور الجيولوجية » .

ثم ينفي الدكتور سوربال الزعم القائل (في مذهب داروين) ان الانسان كان (اثناء بعض فترات تطوره) ضعيف الجسم غير مكتمل البنية ، وناقصا في عقله وادراكه وتفكيره .. ينفي الدكتور سوربال هذا الزعم الدارويني بقوله :

كيف يمكن لمخلوق ضعيف الجسم وضعيف العقل ان يعيش وحوله الاسد والفيل والذئب والتمر وغيرها من الحيوانات المفترسة ؟

ويؤكد الدكتور سوربال اهتزاز مذهب داروين ، بقوله : « ان مشكلة الحلقة المفقودة بين الانواع هي مشكلة المشاكل في تمحيص مذهب داروين ، وانها - اي المشكلة - لا تزال على قوتها بعد انقضاء مائة سنة على ظهور كتاب اصل الانواع (لداروين) واستئناف التعليق عليه بين خصوم المذهب وأنصاره الذين استجمعوا غاية ما استطاعوا لحل هذه المشكلة عند الاحتفال بالذكرى مرور القرن على ظهور ذلك الكتاب ا ه . »

الاستاذ الحوراثي ومذهب داروين

اما الاستاذ ابراهيم حوراثي - وهو من علماء اللغة ومن ذوي الاطلاع الواسع على المباحث العلمية ، فقد ناقش مذهب داروين مناقشة علمية

(٢٨) انظر في هذا الكتاب تحت عنوان (مشاهدات تنقض حجة داروين) قصة واقعية يرويها المؤلف تقيم الدليل على اهتزاز ادلة النشويين في القول بالتطور والارتقاء .

وعقلية ، ردّ بها على هذا المذهب في رسالتين الفهما ، أحدهما (مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء) والاخرى « الحق اليقين في الرد على بطل داروين » قام بطبعها في بيروت سنة ١٨٨٦ ، وقد كان هجومه مركزا على نواحي الضعف في مذهب داروين ، وهو اهتزاز أدلته وعدم ثبوتها واعتماد هذا المذهب على الشواهد التي لا تعطي اليقين ومذهب بالشكوك ، أو تسكت المعترض بدليل قاطع لا يقبل الجدل ، وإنما تفسح المجال للافتراض والتخمين الذي هو أساس المذهب .

وقد أشار الاستاذ حوراني في ردوده الى العلماء الراسخين المختصين الذين لم يثبتوا مذهب داروين ، بل لقد نفوه وطعنوا فيه مع علمهم ان داروين قضى عشرين سنة في بحثه وتدعيمه .

وقد اورد الاستاذ حوراني (ضمن ردوده) احصاء لبعض علماء الحفريات عن الانواع التي وجدت في بطن الارض ، فقال .. ان ثمانية وعشرين في المائة منها انواع لم تنفّر ، وسبعة في المائة انواع مهاجرة ، وخمسة وستين في المائة لا سلف لها ، وأما الانواع التي نشأت بالتفجير او الانواع الجديدة ، فلا وجود لها في شيء من بقايا الحفريات .

ويرد الاستاذ حوراني على استدلال النشويين بتشابه الاجنة بين الانسان وبعض الحيوان ، فيقول ان علة هذا التشابه « بساطة التكوين وقصر النظر .. بدليل ان التباين يعظم على توالي اقترابهما من كمال التكوين ، فلا ينشأ من بيوض الانسان أو أجنته سوى اناس ، ولا ينشأ من بذرة اللوز الا لوزة » .

ثم يرد على احتجاج النشويين بالاعضاء الاثرية ، ويثبت لهم ان هذه الاعضاء (اذا وجدت) فانه لا علاقة لها بالتطور والنشوء والارتقاء الذي يزعمون وإنما هي شواذ لا حجة لمذهبهم فيها ، وليثبت لهم ذلك فانه يحيلهم الى بحث التيرانولوجيا - أي المشوهات - لتفسير الاعضاء الاثرية التي تثبت بعد ولادة الجنين ، والتي من أمثلتها « الاعنث » أي من له ست أصابع وهو من أبسط الأمثلة ، والأشوه المزدوج كهليل وجوديت وهما الاختان العنقاريثان المشهورتان ، كانتا ملتصقتين بالمتنين والافخاذ والأحشاء ، ولدتا سنة ١٧٠١ م وعاشتا اثنتين وعشرين سنة وكانتا مختلفتي السجايا والأخلاق .

وينفي الاستاذ حوراني ان يكون الانتخاب الطبيعي اس الارتقاء الدارويني لان الطبيعة (كما يقول) إنما تؤثر في الموجود ، وليس لها ان توجد المعلوم ، فيمكنها (يزعمه) ان تعمي العيون .. ولكنها لا تستطيع ان توجد البصر » ويقتضي مذهب داروين ان لا تجتمع الانواع الدنيا والعليا

بل تتعاقب وتسبق الاولى الثانية ابدا ، ولكن ذلك الاجتماع الذي نفاه داروين ، ثبت في المقرضات والاحياء .

وإثناء مناقشة الاستاذ حوراني مذهب داروين ، قسم أنصار مذهب التطور والنشوء والارتقاء الى ثلاث فرق .. معطلة ولادرية والهية .. « اما المعطلة فهي التي نفت الخالق سبحانه وتعالى وقالت بقدم المادة .. واما اللا ادرية فهي التي لم تتعرض لنفسى الخالق ولا لثباته .. واما الالهية فهي التي اعترفت بالواجب تعالى وقالت بأنه خلق المادة والحياة .. ويعتبر الاستاذ حوراني (تشارلز داروين) من هذه الفرقة الالهية حيث يقول .. وانقسمت هذه الفرقة (اي الالهية) الى اثنتين ، ظنت احدهما الانسان ابن القرد او صنوه ، ومنها (داروين) وقالت الاخرى .. بأن الله تعالى خلق الانسان من البدء انسانا ومنها العلامة (ولاس) .. ويقول الاستاذ حوراني ان علماء هذه الفرقة - اصحاب النشوء الالهى - هم الذين قالوا بإمكان التطور والارتقاء ، ولكنهم قالوا بعدم البرهان على وقوعه ، وبأن عليه اعتراضات لم تدفع دفعا مقنعا » . (٢٩)

علماء الشرق الذين نصرُوا مذهب داروين

وبعد ان انتهينا من ذكر ردود علماء الشرق المسلمين والمسيحيين على نظرية داروين ، قال أحد الحاضرين .. وهل قام أحد من مفكري الشرق بمناصرة مذهب داروين وتأييد صحته ؟؟

فقلت له .. ان الذي وصل الى علمي (حتى الآن) هو ان الذي ناصر هذا المذهب من العلماء (على ضعيد النشر والتأليف) رجلان (الدكتور شبلي شميل (٣٠) و (الدكتور جورج حنا) .

(٢٩) انظر كتاب (الانسان في القرآن) للاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله من ص ١٠٢ - ١١٤ فيه مزيد من التفاصيل عن ردود هؤلاء العلماء الشرقيين على مذهب داروين .

(٣٠) ترجمة الدكتور شبلي شميل

هو الدكتور شبلي ابراهيم شميل (بنشديد البياض) طبيب لبناني ، ولد في قرية كفرشيبا (بلبنان) سنة ١٨٥٢ م وتوفي في القاهرة سنة ١٩١٤ م ، قال الزركلي في الاعلام .. كان ينحدر منحنى الفلاسفة في عيشته وآرائه وتعلم في الجامعة الامريكية ببيروت ، وقضى سنة في اورنوبا . وسكن مصر ، فأقام في الاسكندرية ثم في طنطا ، ثم في القاهرة ، وتوفي فيها . اصدر مجلة « النشوء » سنة ١٨٨٦ م - ١٨٩١ م وألف فلسفة النشوء والارتقاء ، وله رسالة « المعاطس - ط » متخيرة على نسق رسالة القرآن المعري ، و « شكوى وآمال - ط » رسالة ، و « آراء الدكتور شميل - ط » رسالة ، و « سوريا ومستقبلها - ط » و « شرح بختر على مذهب داروين - » وكتب شروحا وتعليقات على كتب طبية قديمة تولى نشرها ، كفضول ابقراط ، وارجوزة ابن سينا .

والذي ظهر لي أن أقوى الرجلين وأشدّهما عنادا في مناصرة مذهب داروين بل ومناصرة الجناح الالحادي في هذا المذهب ، هو الدكتور شبلي شميل ، الذي لم يكتف بمناصرة نظرية داروين كنظرية علمية ، بل أعلن خصومته الشديدة لجميع الأديان ونفى وجود الخالق سبحانه وتعالى .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الإنسان في القرآن الكريم ص ١٢١) .. أما أنصار مذهب النشوء في الشرق العربي وأفصحهم بياناً الدكتور شبلي شميل ، وقد كاد أن يسبق داروين وأصحابه إلى الأخذ بالنظريات النشوئية على علاقتها ، وقد سبق الماديين الغربيين إلى نفي كل صفة روحية ، أو غيبية في الإنسان ، إذ قال في مقدمة ترجمته لشرح بختر (٣١) على مذهب داروين « أن الإنسان على رأي هذا المذهب طبيعي هو وكل ما فيه مكتسب من الطبيعة . وهذه الحقيقة لم يبق سبيل للريب فيها اليوم ، ولو أصر على إنكارها من لا يزال مفعول التعاليم القديمة راسخا في ذهنه رسوخ النقش في الحجر .. فالإنسان يتصل اتصالا شديدا بعالم الحس والشهادة ، وليس في تركيبه شيء من المواد والقوى يدل على اتصاله بعالم الروح والغيب ، فإن جميع العناصر المؤلفة منها موجودة في الطبيعة وجميع القوى التي فيه تعمل على حكم قوى الطبيعة .. فهو كالحيوان فزيولوجيا ، وكالجماد كيمائيا ، والفرق بينه وبينها فقط بالكمية لا الكيفية ، والصورة لا الماهية ، والعرض لا الجوهر ، ونواميس التقليد واحدة فيهما .. غير أن الإنسان يدرك أكثر من الحيوان لأنه أكمل تركيباً من الحيوان » .

وكانت ردود الدكتور شبلي شميل على مناقشته تكرارا لردود داروين وبختر وغيرهما من القائلين بتحول الأنواع ، وفحواها :

١ - أن التباينات بين الأنواع لا تزيد على التباينات بين أفراد النوع الواحد إلا بالوراثة ، وهذه أثر ثابت لا يحكم عليه بالفترة المعلومة من تاريخ الإنسان لأنها ثبتت بعد انقضاء مئات الملايين من السنين (٣٢) .

٢ - وأن انصاف الأنواع ليس من شأنها أن تعيش وتنقل ميراثها إلى زمن طويل ، لأن التوريث مرتبط بتمام الجهاز المميز للنوع وهو لا يتم في انصاف الأنواع ، ولكن قد يدل عليه التناسل بين بعض الحيوانات كالخيل

(٣١) انظر ترجمة هذا العالم الملحد في هذا الكتاب .

(٣٢) لست أدري كيف تثبت هذه الأمور المزعومة لدى هؤلاء الناس وكيف قطعوا بها مع أنه (كما يزعمون) قد انقضى عليها مئات الملايين من السنين ، بل بأية وسيلة علمية قاطعة يستطيعون اثبات مضي هذه المئات من ملايين السنين ؟! أنه الوهم والتخيل ، بل والعناد ليس إلا .

والحمير والكلاب والذئاب ، وقد يدل عليه « اكتشاف الطير العجيب - الاركوپتركوس - الذي وصل بين طائفتين من الحيوان منفصل بعضهما عن بعض انفصالا تاما وهما الطيور والحشرات » .

٣ - ان العلماء يخطئون في وضع حدود الانواع ، وقد ذكر داروين « ان النباتي الانجليزي وستن يذكر ١٨٢ نباتا انجليزيا عدها غيره انواعا مع انها تباينات ، وقد قال هوكر في هذا المعنى ما نصه .. ان النباتين يعدون الآن من ٨٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ نوع من النبات ، فالنوع اذن غير محدود » .

٤ - ان التحولات لا ينبغي ان يبحث عنها في الانواع الحاضرة (٣٣) لان كلا منها تطور عن انواع سابقة له في سلسلة هي التي كان يمكن ان يجري بينها التحول في اوانه ، ولكن الانواع الحاضرة تباعدت عن اصولها فابتعدت الاشباه المتحولة فيما بينها (٣٤) .

ثم يعلق الاستاذ العقاد على كلام الدكتور شبلي شميل بقوله .. « ولا ننسى - عند تقدير عوامل العناد بين الطرفين - ان الدكتور شبلي شميل انما يواجه بهذه الخصومة اللدود سلطان رجال الدين ، فانساق من هذه الخصومة الى خصومة الاديان (٣٥) ، وراى كما قال في مقدمة الترجمة ان « الملل والديانات اسهلها واحد ، وقيامها في الدنيا انما هو لعاملين ، حب الرئاسة في الرؤساء ، وارتياح الرؤوس الى حب البقاء ، وكلاهما لما في الانسان من محبة الذات .. فسقط دهاء الناس على ساذجي العقول منهم ، فساد البعض وسيد على البعض الآخر ، وتم بذلك غرض الفريقين » .

وخاطب رؤساء الدين قبل ختام المقدمة قائلا « سوف يتولى ما بقي ،

(٣٣) ان الداروينيين يقولون هذا عجزا منهم عن مواجهة اقوى حجة يحتج بها المعارضون على بطلان مذهب التطور والتحول والارتقاء ، وهي انه منذ فجر التاريخ لم يشاهد احد ان نوعا تحول الى آخر ، فلم يقل احد (بل حتى انصار اللدب نفسه) لم يجرؤ احد منهم على القول بانه قد تم فلا (وبصورة قطعية) ان ديكاً قد تحول الى نعام الخ .

(٣٤) كل هذا الكلام اذا ما وضعه النصف تحت مجهر البحث الحر التريه يجد ان اساسه الوهم ومصدره التخيل والافتراض ، اذ ليس له اي سند من علم معتبر او واقع مشهود ، يمنحه صفة الحقيقة الواثقة ، فهو ليس اكثر من كلام مكرور انتجه الوهم والتخيل ، يرويه دعاة التشو والارتقاء بعضهم عن بعض ، ويحتجون به وكأنه كلمات كتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(٣٥) وهذا تصف سافر يرتكبه كثير من المفكرين الجاهلين بحقيقة الاديان ، فهم اذا ما راوا انحرافا او فسادا من بعض التشييين الى الاديان او نشبت بينهم وبين هؤلاء خصومة شخصية سبوا جام غضبهم على الاديان ذاتها ونسبوا اليها (زورا وبهتانا) كل نقيصة ، كما فعل الدكتور شبلي شميل ، وهذا منتهى الشطط والظلم والاعتداء .

ولربما كان حظكم من ذلك في الشرق اطول جدا لولا أن الغرب باسط يده فوقه .. ولا تعلموا النفس بما في التاريخ من سقوط بعض الامم .. القت اليكم مقاليد احكامها وسلمتكم زمام امورها فانه - وان حصل ذلك - الا انكم لن تبلفوا امانيتكم لتوفر معدات التقدم في العلوم والصنائع وانتشار ذلك بواسطة الطباعة » ١ هـ .

الرد على اتهام الشيوعية للاديان

ان هذا الاتهام الموجه الى الاديان الذي اورده الاستاذ العقاد عن الدكتور شبلي شميل ، ليس من بنات افكار هذا الدكتور ، وانما هو ترديد لما قاله مؤسس الشيوعية العالمية كارل ماركس ، الذي كان يعلم (منذ اللحظة الاولى التي قاده فيها حقه اليهودي الاسود الى التفكير في ابتداع هذا المذهب الالحدادي) ان اول خصم قوي سيصمد في وجه مذهبه الالحدادي هو الاديان السماوية .

رمتني بدائها وانسلت

ولما كان كارل ماركس يعلم (قبل غيره) ان نفمة الاشتراكية الحلوة التي يضرب الشيوعيون على وترها عند تحسين الشيوعية للناس والدعوة الى اعتناقها ، ليست الا مخدرا يخدرون به الفاشلين في الحياة من الكسالى والعاقدن وقصار النظر من العاطفيين والباحثين عن النعيم والمنصب من اقرب الطرق ، فقد سارع هذا الزعيم الشيوعي الى توجيه هذا الاتهام الكاذب الى الاديان .. هذا الاتهام الذي ينطبق (حقيقة) على المذهب الشيوعي ومخترعيه ، وبهذا ينطبق على دعاة المذهب الشيوعي (تماما) ذلك المثل السائر ، - رمتني بدائها وانسلت .

ذلك ان المنصف المتجرد من الهوى اذالقى نظرة فاحصة واعية على اصول المذهب الشيوعي وفلسفته وما هيأ هذا المذهب لزعمائهم من مناصب وسلطات مطلقة جعلتهم في مصاف الآلهة ، لوجد ان هذا الاتهام الذي يوجهه الشيوعيون للاديان انما ينطبق (كحقيقة واقعة مشهودة) على النحلة الشيوعية التي لم يتدعها اقطابها الا لتتسلط هذه الحفنة من الزعماء - باسم تحقيق النعيم الكاذب المزيف - على مئات الملايين من البشر وتتصرف فيهم تصرف الوحوش الضارية في قطعان الغنم الضعيفة الوداعة ، كما هو الواقع المشهود .

والا فان لدينا سؤالا يصعب على دعاة الشيوعية وفلاسفتها ان يجيبوا عليه وهو :

إذا كانت الأديان السماوية ليست إلا من صنع الأشخاص الطامعين في التسلط اخترعوها ليتحكموا (باسمها) في سواهم ويسودوا على غيرهم ، وأنه لذلك يجب أن تزول هذه الأديان ويخلصها الناس من قلوبهم ، لتحل محلها النحلة الشيوعية العالمية لأن فيها (بزعمهم) الشفقة والرحمة بالفرد وناقذه من تسلط الأديان وامتثالها لكرامته ؟ .. فهل يعطي نظام الشيوعية القائم اليوم للفرد من الحرية الشخصية والشعور بالكرامة والتعبير عن الرأي أكثر مما تعطيه الأديان السماوية (وخاصة الإسلام) للأفراد التابعين لهذه الأديان عندما كان حكمها سائدا على الشعوب ؟ .

وهل استطاعت النحلة الشيوعية أن تضع حدودا لسلطة الحاكم لا يتعداها في معاملته للفرد المحكوم كما فعل دين الإسلام (مثلا) الذي قال أول خليفة من خلفائه .. لقد وليتكم ولست بخيركم ، أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ؟ .

هل هل أعطت النحلة الشيوعية الفرد من الحرية مثلما أعطى الإسلام ذلك الأعرابي الذي قاطع أكبر رأس في الدولة وأقوى خليفة في الإسلام (عمر بن الخطاب) وهو يخطب ، وقال له - عندما سمعه يقول أيها الناس اسمعوا وأطيعوا - لا سمعوا ولا طاعة حتى نخبرنا لماذا الثوب الذي عليك أكبر من الأنواب التي علينا نحن أفراد الشعب ؟

وهل في فلسفات الشيوعية وتعاليمها وتشريعاتها التي ما جاءت (كما تقولون) إلا لتحمي الفرد من تسلط الزعماء وتحكم الحاكمين باسم الدين .. هل في هذه التعاليم والفلسفات والتشريعات ما يجبر حاكما من حكامكم على قطع خطبة يلقيها على شعبه ليستمع (وبصدر رحب) إلى انتقاد يوجهه إليه شخصيا فرد عادي بسيط من أبناء البادية ، ثم يناقشه (من على المنبر) مناقشة الند للند كما فعل الأعرابي مع الخليفة عمر الذي لم يستأنف خطابه إلا بعد أن أثبت للأعرابي أن الزيادة التي رآها في ثوبه لم يأخذها من مال الشعب ليمتاز بها عليهم ، وإنما هي ثوب إحد أبناءه تكرم به عليه ليضيفه إلى ثوبه الذي أخذه من مال الأمة كأحد أفراد الشعب ، والذي جاء قصيرا عليه عند ما أراد لبسه لأنه كان طوالا من الرجال ، حتى اقتنع الأعرابي وسحب اعتراضه قائلا ، أما الأمر هكذا فسمعنا وطاعة يا أمير المؤمنين ؟ .

نعم هل استطاعت الشيوعية العالمية - التي يريد الشيوعيون إحلالها محل الدين العالمي - أن توفر للفرد العادي من الضمان والطمانينة ما يجعله يجبر (خروثوف أو ماوتسي تنج) على قطع خطبته ليدخل في نقاش حر نزيه مع فرد عادي يوجه إليه نقدا شخصيا ، كما فعل الإسلام الذي

اعطى ذلك الاعرابي من الضمان ما جعله يجبر الحاكم الاعلى في الدولة على قطع خطبته (دونما أي خوف او وجل) ليدخل معه في ذلك النقاش الذي اثاره الانتقاد الشخصي الموجه الى عمر بن الخطاب من ذلك الاعرابي ٤.

نعم هل استطاعت الشيوعية العالمية التي ما جاءت الا لتنقذ الشعوب من تسلط الاديان وجيروت الحكامين باسمها وتقدم لهم حكاما رحماء لا يمتازون عليهم بشيء .. هل استطاعت هذه الشيوعية التي تدعي هذا ، ان تصنع مثلما صنع الاسلام حاكما مثل عمر بن الخطاب الذي كان على ذلك المستوى من المثالية الحق والعدالة البعيدة كل البعد عن النفاق والرياء ٤.

لقد كان عمر بن الخطاب (قبل ان يدين بالاسلام) اقرب الى الوحشية الضارية منه الى الانسانية المهذبة ، فقد كان (قبل اعتناقه لدين الاسلام) يضرب به المثل في الطفيان والتوحش والهمجية ، ولكنه لما دان بالاسلام وتقيّد بتعاليمه جعل منه هذا الدين انسانا آخر حيث استل بتعاليمه السمحة من نفسه كل ما كان فيها من تقائص الجاهلية وعيوب الوحشية والهمجية ، حتى جعل منه مثلاً أعلى للحاكم العادل الذي جعل من نفسه خادماً أميناً للشعب الذي ارتضى ان يكون حاكماً عليه ، حتى صار يضرب به المثل في العدل والانصاف .. وكما صنع الاسلام (وهو من الاديان السماوية التي تهاجمها الشيوعية) رجالاً من نوع عمر بن الخطاب ، كان ولا يزال ذكرهم الطيب في مجال العدل وتوفير الخير والامن والاستقرار والمساواة للشعوب يعطر أرجاء الدنيا ، وما هذا المجد الباذخ الذي بناه العرب ثم الشعوب الاخرى التي دخلت في الاسلام ، والذي لا يزال (بالرغم من توالي الدهور) انشودة التاريخ الخالدة يرددونها جذلاً (رغم انف الشيوعية والشيوعيين) الا حصيلة تعاليم الاسلام الذي تزعم الشيوعية انه (مع غيره من الاديان السماوية) مصدر اذلال واستعباد للشعوب والامم .

انني اعتقد (جازماً) ان زعماء الشيوعية العالمية الذين يهتمون الاديان ذلك الاتهام ، لو انصفوا فقارنوا مقارنة صحيحة بين ما اعطته الاديان - وخاصة الاسلام - للحكامين باسمها من سلطات وبين ما منحتة الشيوعية من سلطات وصلاحيات لزعمائها ، لاتضح لهم ان اي دين سماوي لم يعط حاكماً باسمه عشر معشار ما اعطته الشيوعية للملحدة لهؤلاء الزعماء من سلطات مطلقة ، جعلت منهم - لا حكاماً مطلقاً التصرف فحسب - بل آلهة مخيفة سفاح ، يكون الموت والفناء مصير من يفكر في معارضتهم او رد كلمة يريدون تنفيذها ، حتى صار الفرد في ظل النظام الشيوعي يكاد يضع قفلاً على فمه خوفاً من ان تفلت منه كلمة يشم منها رائحة المعارضة لزعيم من زعماء الشيوعية ، فتذهب به الى العالم الاخر فوراً .

وهذا (في محيط الحكم الشيوعي) شيء امره معلوم وخبره متواتر

مشهود ، وهو بلاء لم يتعرض لمثله أي فرد في ظل حكم أي دين من الأديان السماوية التي يقول الشيوعيون أن حكمها كان شرا ووبالا على البشرية .

وحتى رجال الكنيسة الحاكمون باسمها في الغرب ، والذين قال عنهم التاريخ الغربي أنهم كانوا على غاية من القسوة في معاملة المخالفين لهم ، لم يروا التاريخ أن شعوبهم كانت تعاني من الذل والغاء الشخصية والأفناء بالجملة مثلما تعانيه الشعوب الواقعة تحت ظل الحكم الشيوعي اليوم ، اللهم إلا ما كان من الملك فرديناند والملكة إيزابلا عند سقوط الأندلس المسلمة في أيديهما ، على أن ما ارتكبه فرديناند وإيزابلا من وحشية وهمجية ضد المسلمين لم يكن نتيجة تعاليم الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام ، وأما كان نتيجة حقد شخصي كان كامنا في نفوس أولئك الحكام المتوحشين .

بل لقد عرف الباحثون المطلعون على دقائق الأخبار كيف أن رجال الكنيسة هؤلاء لم يسمحوا لأنفسهم (وهم في أوج سلطانهم) بأن ينزلوا العقاب بأكبر خصومهم ومعارضهم ، أمثال لامارك ونيوتن وبختر وأرنست هيكل وداروين ، هؤلاء العلماء الذين سقته أكثرهم الدين المسيحي وسخر من رجال الكنيسة ودعا إلى هدم سلطانهم ، فبالرغم من غضب رجال الكنيسة على هؤلاء العلماء الماديين وحكمهم عليهم بالكفر والإلحاد، فإن رجال الكنيسة هؤلاء - مع نفوذهم المطلق - لم ينفذوا في أحد من معارضهم هؤلاء حكم الموت ، كما يفعل الشيوعيون - لا في من يجاهر بمعارضة النحلة الشيوعية - بل فيمن يشكون في أنه معارض للمذهب الشيوعي، وغير مخلص للمبادئ الماركسية .

فهل بعد هذا يصح للشيوعيين أن يزعموا بأن النحلة الشيوعية خير للبشرية وأحفظ لكرامة الفرد وأضمن لحريته من الأديان السماوية ، وأن هذه الأديان إنما هي من صنع أشخاص اخترعوها حبا منهم في التسلط والسيطرة باسمها على الشعوب ؟.

انني كلما تذكرت مزاعم أقطاب الشيوعية القائلة أن الأديان من صنع أشخاص ابتدعوها للتسلط والتحكم باسمها ، وكلما تذكرت قول كبير مجرميها كارل ماركس « الدين آفيون الشعوب » تذكرت ذلك المثل العربي الساخر (رمتني بدائها وانسلت) ، لأنه لم يبق شيء اسمه تخدير وتحكم وتسلط ووحشية بل ونذالة ، لم يرتكبه أقطاب الشيوعية باسم هذه الشيوعية ضد الواقعين تحت نير حكمهم البغيض الرهيب ، وخاصة الذين يفكرون - مجرد تفكير - في انتقاد أو معارضة هؤلاء الأقطاب ، وأسألوا مجاهل سيبيريا الموحشة عن عشرات الملايين من الضحايا الذين دفنوا فيها جزاء تفكيرهم في معارضة القائمين على النظام الشيوعي في روسيا .

فامتهان الفرد العادي (شيوعيا كان أو غير شيوعي) ومصادرة حريته
والغاء شخصيته واجباره على تأليه الزعماء الشيوعيين وعبادتهم ، وانزال
العقاب الساحق المميت بمن يفكر في معارضة اقطاب الحزب الشيوعي الحاكم
هو العمود الفقري للنظام الشيوعي والحارس القوي المخيف الذي يكفل
البقاء لاقطاب الشيوعية في كراسي الحكم ، ولهذا صارت اليوم أعلى أمنية
لل فرد العادي في دائرة الحكم الشيوعي أن يجد السبيل الذي يستطيع
بواسطته الافلات من قبضة النظام الشيوعي الرهيب .

ومن لديه أدنى شك في صحة ما نقول فما عليه إلا أن يذهب الى دائرة
النعيم الشيوعي المزعوم ليعيش في ظله كأي فرد عادي ، وهناك سيتجسد
له الواقع الرهيب ، وستذهب السكرة لتحل محلها الفكرة .

بل على الذين يشكون في صحة ما نقول - اذا ما ارادوا معرفة حقيقة
الجحيم الشيوعي دون أن يعرضوا انفسهم للفتح لهبه - أن يذهبوا الى
برلين الغربية ويلقوا عند الحائط ويلقوا نظرة فاحصة على القطاع الشرقي
من برلين الواقع تحت الحكم الشيوعي التقدمي الاشتراكي الديموقراطي
الشعبي ، ثم يلقوا نظرة أخرى على القطاع الغربي من المدينة الواقع تحت
الحكم الرجعي الرأسمالي ، وبالمقارنة الصحيحة المجردة ستتجسد ملامح
المأساة الرهيبة التي يعيشها الفرد العادي داخل الجنة الاشتراكية
الشيوعية الحمراء المزعومة التي جاء بها كارل ماركس لينقل البشرية من
تسلط الأديان ، والتي لكي يفسح الطريق لها ويخدر الفاشلين والكسالى
والعاقلين بمخدر دعاواها المريضة الطويلة الخلافة البراقة الخادعة ،
هاجم الأديان وقال كلمته تلك (الدين افیون الشعوب) .

نعم هناك عند حائط الموت - الحائط الذي يفصل برلين الغربية عن
برلين الشرقية - سیری هناك كيف أن الافراد - ليتخلصوا من جنة ماركس
الحمراء - يفرون من القطاع الشرقي سباحة في الأنهر غير مبالين بالرصاص
الشيوعي الذي ينهمر عليهم لاجبارهم على البقاء في الجنة الشيوعية الحمراء
وكيف أن هؤلاء الافراد - لينجو من جنة الشيوعية الكريهة التي خلبت
معزوفتها الساحرة لب المغفلين وخدرت مشاعرهم يعملون في نخب الانفاق
سرا تحت الأرض ليهربوا عبرها الى القطاع الغربي من برلين ، مفضلين
تعرض حياتهم للخطر على العيش في ظل نظام الشيوعية الذي كثيرا ما بلغت
به القسوة وشدة امتهان كرامة الانسان الى أن فضل الكثير من الناس الموت
على العيش في ظله ، وهذه حقيقة واقعة تشهد بها الاخبار المتواترة عن
الضحايا الذين يفقدون ارواحهم برصاص الشيوعيين وهم يعبرون الانهار
سباحة الى القطاع الغربي أو يحاولون اقتحام جدار الموت هربا ، أو يقدفون
بانفسهم من الطوابق العليا في البيوت الواقعة في القطاع الشرقي ، والواقعة

مشارفها على الشوارع الواقعة في القطاع الغربي ، ولقد شاهدت بعيني عندما كنت في زيارة لبرلين الغربية - عند مروري في أحد الشوارع - نوافذ بيوت كثيرة مسدودة كلها بالأجر الأحمر ، كما شاهدت رجلا في القطاع الشيوعي رايقين وراء مدافعهم الرشاشة التي سدّت فوهاتنا على حيطان البيوت المنخفضة التي تقع على حدود القطاعين ، فلما سألت عن ذلك - مستغربا - اتضح لي أن سبب سد منافذ تلك البيوت ، هو أن كثيرا من سكان القطاع الشيوعي في برلين كانوا يقدفون بأنفسهم من تلك النوافذ الى الشوارع الواقعة في القطاع الغربي لينجوا بأنفسهم من الحجم الشيوعي وأن كثيرا من هؤلاء فقد حياته نتيجة لبعث المسافة التي قذف بنفسه منها ، أما المدافع الرشاشة المصوبة على الحيطان المنخفضة فقد نصب لقتل من يحاول الفرار من القطاع الشيوعي عن طريق تسلق هذه الحيطان ، وأن كثيرا من الناس قد لقوا حتفهم برصاص هذه الرشاشات لمحاولتهم الهرب الى القطاع الغربي .

هذه هي الشيوعية التي ما جاء بها ماركس الا ليمنح الفرد الحرية والكرامة ويوفر له الرخاء والطمأنينة والامن وينقذه من جبروت سلطان الدين ، وتلك هي الحرية والكرامة والطمأنينة والرخاء التي حققها الشيوعية العالمية للفرد الذي يكون مصيره الموت اذا ما حاول الخروج من نعيمها !! .

واي رخاء وطمأنينة وحرية وكرامة تلك التي يجبر الفرد على العيش في ظلها تحت فوهات المدافع الرشاشة ؟ .

حقا انها اكذوبة الدهر الكبرى وفرية التاريخ العظمى .

فهل سيفهم الذين لا يزالون - تحت تأثير آفيون معزوفات الدعواوي الشيوعية الساحرة البراقة الكاذبة - يتهمون الاديان بأنها سبب شقاء البشرية واستعباد الانسان للانسان ، ويرددون - كالبيغاء مع كارل ماركس - تلك الكلمة الفاجرة المفتراة (الدين آفيون الشعوب) ؟؟

هل سيفهم هؤلاء المسحورون حقيقة هذه الشيوعية الرهيبة التي توفر في ظل نظامها المربع (من الغاء لشخصية الفرد وهلم لكرامته وذبح لحريته وقتل لارادته ونزول به الى منزلة اخط من منزلة الحيوان) ، ما لم يتوفر في ظل أي نظام عرفته الدنيا حتى يومنا هذا ؟ . أم انهم سيظلون يرددون (دونما ادراك او تفكير) تلك المفرية التي تعتبر اعظم فرية في عالم الى استقراره ورخائه وحماية حرية الفرد وضمان سعادته الا بسيادة الكذب والدجل والتزوير والمغالطة ، القائلة (انه لانجاة للعالم ولا سبيل النظام الشيوعي على العالم وتمكين أقطابه من قيادة البشرية ؟؟ . »

وبعد ان وصلنا الى هذا الحد من تغنيذ مزاعم الشيوعية قلت للاخ

المستفسر .. معذرة لقد خرج بنا الحديث عن صلب الموضوع ، فقال ..
لا عليك ، فالحديث - كما يقولون - ذو شجون ، وفيما تطرقت اليه من
الرد على مفتريات الشيوعية ليس خروجاً عن الموضوع بل هو من صميمه .

نظرية داروين ليست حقيقة واقعة

نقال شباب آخر من شهود جلسات المناقشة :

فإذا كانت نظرية التطور والارتقاء من الاهتزاز وعدم الثبوت بهذه
الدرجة فما هي (إذن) الأدلة العلمية التي اقتنع بها الداروينيون على صحة
هذه النظرية التي (بها) أقاموا الدنيا وأقعدوها ؟؟ .

فقلت له ... لم أر فيما كتبه أقطاب نظرية التطور والارتقاء شيئاً
يمكن تسميته دليلاً قاطعاً أو برهاناً مقنعاً يجعل الإنسان يؤمن بأن هذه
النظرية تعني حقيقة واقعة لا تقبل الجدل .

فكل ما يتفلسفون به من أوصاف عجيبة لمراحل تطور الأحياء وارتقاؤها
إنما بنوه على احتمالات وافتراضات جاءت نتيجة لدراسات فحصوا فيها
أنواعاً من الأحياء وأشكالا مختلفة من عظام الجماجم والكواهل والأضراس
لبقايا أنواع من الإنسان وما شابه ذلك .

مستند لامارك في النظرية

فمثلاً .. الفيلسوف (لامارك) مؤسس نظرية التطور والارتقاء ..
يستند في تدعيم هذه النظرية إلى دراسات لمجموعة من الكائنات الحية
المختلفة ، على أثر هذه الدراسات تخيل وجود سُلَّم لجميع الكائنات الحية
يرتبط بعضها ببعض وتطور خياله إلى ما يشبه اليقين ، فافترض وجود
هذا السلم وقال به كنظرية علمية لا بد من التسليم بها .

وقد وضع في رأس هذا السلم الإنسان والقردة العليا والخيول والكلاب
لأنها (كما يقول) أذكى الكائنات ، ولها دم حار ، ثم تلاها بالطيور لأنها ذكية
أيضاً ، ثم جاء بالزواحف ثم الأسماك ثم الحيوانات غير ذوات الفقار ، ثم
أخذ في التدرج الهابط بين تلك الحيوانات التي أسماها بالافقريات حيث
جعل في قمتهما الرخويات والقواقع (وهي تنفس بالخياشيم كالأسماك) .

ثم تلا ذلك بالحلقيات ، وهو اسم أطلقه (لامارك) على مجموعة معينة من
الديدان البحرية ، وهذه أيضاً تنفس بالخياشيم التي قد تختفي أحياناً
تحت الجلد .

واستمر (لامارك) يختبر مجموعة الحيوان ويرتبها واحدة وراء

الآخري من القشريات الى العناكب ، ثم الى الحشرات ثم الى الديدان التي تنقر الى اللسنة واعضاء السمع أو الإبصار ، ثم انتقل الى التشععات مثل نجوم البحر وانتهى عند قاعدة سلمه بأبسط الكائنات جميعا (البوليبيات) وهي كائنات حية ليس لها أعضاء خاصة للحس أو التنفس أو الدوران أو التكاثر ، ولا شيء فيها إلا قناة بسيطة منفردة للاغتذاء ، وهي تستطيع أن تمتص غذاءها من خلال أي جزء من أجزاء أجسامها ، وهذه (البوليبيات) تكاد (لحقاتها) تكون غير ذات شكل معين كأنها كريات من الهلام أو الجلوتين .

وقد زعم (لامارك) أن هذه (البوليبيات) هي الأصل الأول التي نشأت عنه جميع صور الحياة الأخرى بما في ذلك الإنسان .

مناقشة لامارك

غير أن جميع الأقوال التي أدلى بها لامارك لجعل منها حجة الكبرى لصحة نظرية التطور والارتقاء يعثرها الاهتزاز الشديد عندما يأتي دور اختبارها لتأخذ طريقها الى مكانها بين الحقائق العلمية الثابتة التي لا تقبل الجدل أو النقاش .

وذلك أنك عندما تسأل (لامارك) الذي قال مرة وهو يخاطب الفرنسيين مخاطبة الواثق من نفسه :

أيها المواطنون تقدموا من البسيط الى الأكبر تعقيدا حتى تمسكوا بالخيط الحقيقي الذي يربط بين كل ما أنتجته الطبيعة ، وحتى تدركوا صورة دقيقة لسير موكب الترقى ، وسوف تقتنعون بأن أبسط الكائنات الحية هو الذي أدى الى نشأة كل ما عداه من الأحياء . (٣٦) .

هذا لامارك .. عندما تسأله أو تسأل من يعتنق نظريته ، كيف وبأية طريقة (علمية أو حسية) عرف أن الكائنات الحية قد تكونت وترقت وتطورت بموجب السلم السحري العجيب الذي تخيله هذا الفيلسوف ، فأنك لن تجد سوى الافتراض والحدس والتخمين .

لأنه ، لا (لامارك) ولا غيره من أقطاب هذه النظرية استطاع أو يستطيع أن يتقدم ببرهان علمي أو عملي قاطع واحد يجعل الناس يقتنعون بأن هذه النظرية حقيقة واقعة .

(٣٦) انظر كتاب (رجال ومجاهد) ص ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ للكتابة (كارلوس ب. شيبين) ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد ، أستاذ علم الحيوان المساعد بكلية العلوم جامعة عين شمس .

ولقد سئل لامارك مرة .. كيف ولماذا حدث التطور الذي ذكره
فاجاب قائلا :

لان هذا قد حدث لان الحيوان قد تغيرَ بمرور الزمن كي يلائم
بين نفسه وبين بيئته .

وهذا الجواب ، مصدره التخيل والافتراض ، فهو لا يشفي غليلا .
ومن السهل على كل من يريد نصر نظرية التطور والارتقاء ان يتفوه به .

ولكن ليس من السهل اثبات ما جاء في هذا الجواب بطريقة تجعل
الانسان ملزما بالتسليم بصحة النظرية التي ذكروا .

لان التغير والتحول الذي زعموا انه يطرأ على الحيوان ليتطور ويترقى
من الأدنى الى الأعلى لم يستطع احد (منذ ان خلق الله الدنيا) ان يقول انه
شاهده قد حدث بين أي نوع من انواع الكائنات الحية .

ولهذا فانت لا تسمع دائما من هؤلاء الناس (عندما يأتي دور مطالبته
بالدليل المقتنع) سوى كلمة (لا بد من أن يكون قد حدث كذا) و (من المحتمل
ان يكون قد صار كذا وكذا) و (من المفروض انه قد كان كذا وكذا) .
افتراضات وتخمينات وتخييلات ليس الا .

مستند داروين في نظريته

ثم قلت له .. وداروين أيضا (مثلا) عندما رست به السفينة
(بيغل) في جزر الجالا كانت تراوده (كما قالت الكاتبة كاترين ب. شيبين)
الافكار الغريبة افكار البحث عن معرفة كيف وجدت الحياة الاولى وكيف
كان انتشار الاحياء وطريقة تنوعها .

فاخذ لذلك يفحص انواعا من حيوانات هذه الجزيرة (الجالا) التي
تبعد عن ساحل امريكا الجنوبية خمسمائة ميل ، فوجد ان هذه الحيوانات
هي عين الاجناس التي تتبعها الحيوانات في قارة امريكا الجنوبية ، الا انها
لم تكن تماثلها ، بل بدا له ان انواعها تختلف في الجزيرة عنها في ارض
القارة الرئيسية .

كما لاحظ ايضا (وهو يزور الجزر الاخرى المجاورة) ان حيوانات
ونباتات كل جزيرة تختلف عن الجزيرة الاخرى وخاصة في الطيور ذات
المناقير المتباينة .

ثم اخذ (كباحث جيولوجي ويدافع من الافكار التي راودته عن معرفة
سر الحياة وتنوع الاحياء) يتساءل لماذا وجد نوع خاص من الحيوانات

لكل جزيرة صغيرة بذاتها ، ولماذا كل هذا التعدد في الانواع ، ولماذا كان هناك آلاف من الانواع المتباينة في تلك الجزر ، بل ولماذا كانت هذه الانواع تتبع عين الاجناس التي تتبعها الكائنات الموجودة في أمريكا الجنوبية التي تبعد عنها مئات الأميال ؟؟

ثم اخذ يفترض ويتخيل . . لعل الرياح قد حملت البذور من ارض القارة الرئيسية الى تلك الجزر ، ولعل الحيوانات قد سبحت عابرة البحر اليها (افتراضات وتخمينات وظنون) .

ولكن اذا كان هذا صحيحا ، لماذا كل نوع في هذه الجزيرة يختلف قليلا عن مثيله في القارة ؟؟

هكذا كان داروين (كما يقولون) يتساءل وهو يتجول في جزيرة الجالا وما جاورها .

وانتابه القلق الشديد مع الرغبة الملحة في مواصلة البحث ، واخذ يدون (في مفكرته) ملاحظاته على الحيوانات والنباتات المختلفة ويسجل ما يصل اليه من استنتاج .

واخيرا اخذ يرجح لديه أن سبب هذا التنوع في الكائنات الحية ، هو أن هذه الكائنات جميعها كانت تتغير وتحول من أنواعها الأصلية وتتطور (حسب تقلبات الظروف والبيئات) الى أنواع أخرى تغايرها ، وأن أصلها جميعها إنما كان نوعا واحدا . (٣٧)

وهذا ، أول خيط يمسك به داروين (وهو في رحلته البحرية) ليسير خلفه في طريق القول بنظرية التطور والارتقاء ، فقد كتب (داروين) عند عودته من رحلته (كتب الى عالم النبات (جوزيف دالتون هوكر) ما يلي :

— واخيرا بدأت ارى بصيصا من النور واكاد اجزم الآن (بعكس عقيدتي السابقة) ان الانواع ليست « وهذا يشبه اعترافا مني بجريمة قتل » ثابتة او غير قابلة للتغير .

فهكذا فانت ترى أن أول مصدر (عند داروين) لفكرة التطور والارتقاء هي افتراضات وظنون ، منبعها ملاحظاته مناقير الطيور المتباينة وادراكه التغيرات التي تعانها الكائنات فيما بينها .

فقد استنتج داروين (او قل تخيل) أنه ما دامت التغيرات في صفات الكائن توجد بين أفراد النوع الواحد ، فلا بد أن تكون عملية الارتقاء لبعض

(٣٧) انظر رد الامام جمال الدين الانفثاني على ملهع داروين فيما مضى من هذا الكتاب .

هؤلاء الافراد مع اندثار البعض الآخر ، هي المفتاح الرئيسي للتغيرات العضوية .

وباندفاع (داروين) في طريق نظرية التطور والارتقاء نفّض يده من عقيدته السابقة القائلة بالخلق الخاص .

وكان (داروين) قد سمع (قبل رحلته) عن بحوث لامارك ولكنه لم يتم لها وزنا ، بحكم العقيدة التي كان عليها وهي عقيدة الخلق الخاص ، بل اعتبر بحوث لامارك (آن ذاك من الخرافات التي يجب أن تهمل) كما أن فكرة (كوفيه) عن الكوارث الطبيعية كان ينظر اليها كما ينظر الى الحماقات الجوفاء .

ثم واصل داروين بحثه في سبيل الوصول الى غايته ، فشرع يربى بنفسه سلالات مختلفة من الحمام فوجد أن الانسان يستطيع أن يغير (بالفعل) من خصائص سلالات الحمام والكلاب والابقار بالتربية والتدريب ، فافترض وتخيل ثم قاس على ذلك انه لا بد أن هناك في الطبيعة بعض القوى التي تستطيع أن تفعل ما يفعل الانسان ، مما يجعل تحول الانواع الى غيرها امرا ممكنا ، فزاده ذلك تمسكا بنظريته .

ولكنه مع هذا القياس والافتراض ، اخذ يتساءل :

ما هي (يا ترى) تلك القوى التي تستطيع أن تفعل ما يفعله الانسان ؟؟

وظل داروين يخوض بحار التخمين والحدس والافتراض حائرا قلقا باحثا عن ادلة جديدة تصل به الى شاطئ يطمئن فيه الى سلامة افكاره حول التطور والارتقاء .

داروين وكتاب القس توماس

وصادف أن ازداد تمسكا بهذه الافكار عندما وقع في يده (ذات يوم) كتاب الفه القس الانكليزي (توماس مالتوس) واسم هذا الكتاب (مبحث في

(٢٨) نظرية الكوارث الطبيعية على نقيض نظرية التطور والارتقاء ، وخلصنا ان هناك زلازل وطفوفات هائلة تضرب الارض على اثرها ينقرض جميع الاحياء وعلى اثر هذا الانقراض تخلق حياة جديدة وهكذا كلما حلت نكبة بالاحياء فابادتهم عن آخرهم ، أعقبها خلق جديد ، وهذا ما يسمونه بمذهب تعاقب الخلق ، الذي قال به كثير من علماء الطبيعة في أوروبا وعلى رأسهم العالم الفرنسي (كوفيه) والسويسري (اغاسيز) ، وقد ذكرنا فيما يأتي من هذا الكتاب أن هذا المذهب قد نسبته الامام الفخر الرازي في تفسيره الى بعض أئمة أهل البيت نقلا عن مصادر الشيعة ، الذين نسبوا الى الامام محمد الباقر أن الله تعالى قد خلق قبل آدم مليون آدم .

نظرية السكان) فقد وجد فيه داروين حل مشكلته الخاصة ، كما يقول البعض .

ذلك ان هذا القس ذكر في كتابه المذكور انه على اثر الدراسة التي قام بها عام ١٧٩٨ م تبين له ان سكان الارض يزيد عددهم تزايداً مستمراً (في متتالية هندسية) وانه لولا الحرب والمجاعات والامراض التي تقضي على بعض من الناس في كل جيل لضاعت بهم الارض ولم يبق موضع لقدم ولقصرت موارد الغذاء عن كفايتهم جميعاً .

وعلى اثر النظر في هذا الكتاب حدث داروين نفسه بانه لا بد ان شيئاً كهذا يحدث في نواحي الطبيعة .. لا بد ان عدد السكان يزداد بمعدلات هائلة ، فالتباعد في ذهنه فكرة تنازع البقاء وخلص الى القول بان امر تزايد السكان الهائل الذي ذكره (القس) يؤدي حتما الى حدوث صراع من اجل البقاء ، وهذا هو الذي جعله يضع قانون تنازع البقاء الذي هو احدى القواعد الاربعة التي بنى عليها نظرية التطور والارتقاء .

وزاده اقتناعاً بهذا الرأي انه تذكر ان (لينوس) قال - في بعض كتبه - حول هذا الموضوع :

انه لو ان نباتاً (ما) انتج بذرتين كل عام ، ولو ان كلا من هاتين البذرتين انتجت بذرتين فقط بالطريقة عينها ، لاصبح نسل النبات الاول مليوناً كاملاً بعد مضي عشرين سنة فقط ، وكانت هذه الصورة لا تبرح ذهن داروين ابداً ... وقال لو اننا تحولنا الى ناحية الحيوانات واخذنا واحداً من ابطأ انواعها تكاثراً ، وهو الفيل ، وافترضنا ان زوجين من الافيال ينجبان في حياتهما ستة صغار فقط ، وهكذا دواليك ، لبلغ عدد الافيال على ظهر الارض تسعة عشر مليوناً بعد سبعمائة سنة وخمسين ، ثم قال (ليؤكد ناموس تنازع البقاء) فلا بد ان تصطرع هذه الافيال وتتنازع فيما بينها كي تستطيع الحياة .

ثم يستمر داروين في حديثه وتخمينه وافتراضاته (وهل لديهم الا الحدس والتخمين والافتراض) فيقول :

لو افترضنا - وهذا ما اراه بوضوح - ان كل فرد لا يماثل سائر افراد نوعه تمام المماثلة ، فما الذي يحدد ايها الذي يبقى ؟؟

ما الذي يحدد اي النباتات او اي الطيور او اي الحيوانات يعيش وايها يموت ويبنى ؟. كيف ينتهي هذا الاثران البدع الذي يحفظ الارض

من أن تمتلئ بالافئال أو تكتظ بأشجار البلوط ٤٤ (٣٩) .
ثم يتوغل في لجج الافتراض والتقدير حتى يصل به الخيال الى ما
اسماه بتغير الانواع الذي يؤدي الى تحول هذه الانواع وتطورها الى انواع
جديدة (وهذا لب نظرية التطور والارتقاء) فيقول ، محدثاً نفسه :

ان هذه الاختلافات الطفيفة بين الانواع تهيبء لنا مجالاً من البحث
والدراسة لم يطرق من قبل .

فلا شك ان بعض الخنافس الخضراء أزهى لونا من بقية قريناتها ،
وبعض الخطاطيف أقوى جناحاً من سائر أفراد نوعها ، وبعض الظباء أسرع
انتباهاً للندى الخطر من عامة بنات جنسها ، وطبيعي أن الافراد التي تفضل
غيرها في تهيؤها للمائة يبتثها هي التي تحبى وتنجب أمثالها بينما يموت ما
عداها ويختفي ، فاذا تراكمت على مر الازمان الطويلة التغيرات التي تتجه
وجهة معينة ، أدى ذلك الى نشأة انواع جديدة . الخ . (٤٠) .

وهذا التخيل والتقدير والافتراض من داروين ، هو أحد مصادر
القوية التي يستند عليها لتدعيم نظريته التي بها اشغل العالم .

اهتزاز ادلة داروين

هذه هي بعض ملاحظات (داروين) فيما يتعلق بالكائنات الحية من
الحيوان والنبات .

وهذه الملاحظات والاستنتاجات وأمثالها (التي لا تخرج عن حيز
الافتراض والتقدير) هي كل حجج القائلين بنظرية التطور والارتقاء ، وهي
حجج (كما ترى) موضع شك عظيم ، حيث يعترها الاهتزاز وعدم الثبوت،
وتفصل بينها وبين مرتبة اليقين مسافات شاسعة ، لأنها (بالرغم من
التهافت والتصفيق الذي حظيت به من قبل انصار التطور والارتقاء) لا
تعدو أن تكون افتراضات وتكهنات وظنون وتقديرات أحسن أحوالها أنها
من الممكنات التي لا يستحيل وقوعها ، فليس من المستحيل أن تكون قد

(٣٩) ان داروين لو فكر بعقل المؤمن الصادق لقاده هذا التفكير الى أن هذا كله من أبرز
الادلة على الحكمة والرماية والعناية الالهية التي بدونها يفسد الكون ، فلو لم يكتب الله
الفناء على كل المخلوقات كل حسب المدة المقررة له في علم الله ، لما صلح هذا الكون اذ لاضطرب
نظامه واختل شأنه ، ولكن من نعمة الله أن قدر أن يكون لكل كائن حي أجل محدود ، ينفى
بعده (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

(٤٠) انظر كتاب (رجال عاشوا للعلم) لمجموعة من المؤلفين الاوروبيين ، ترجمة الدكتور
أحمد شكري ص ٢٢٨ - ٢٢٤ - ٢٢٥ وكتاب (رجال ومجاهر) ص ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ .

حدثت ، وليس من المقطوع به انها قد حدثت ، فهي تحتمل الخطأ والصواب ، وما تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال .

فنظرة هذا شان ادلتها وهذه هي مصادر حججها ، فانه لا لوم على من شك فيها او انكر صحتها ، لانه عندما يشك ، لا يشك في واقع ملموس ، وعندما ينكر ، لا ينكر حقائق واقعة ثابتة .

اهم ادلة داروين

فقال شاب آخر :

والآن وقد عرفنا ما فيه الكفاية عن ملاحظات داروين واستنتاجاته فيما يختص بالحيوان والنبات مما جعله مصدرا لحججه في تأييد نظريته ، فانا نريد ان نعرف ما هي مستندات الداروينيين لتأييد نظريتهم في مجال الحفريات والآثار ، وخاصة فيما يتعلق بزعمهم تطور الانسان وترقيته من حيوان الى انسان .

قلقت له .. الداروينيون يقولون (مثلا) انهم وجدوا في بعض الحفريات بقايا هيكل انسان يختلف عن انسان اليوم ، وجدوه (كما قالوا) ذا جبهة ضيقة وفك نائي وعنق لا يلتوي ورأس كبيرة الحجم من الوراثة وصغيرته من الامام مما يدل على عدم اكتمال تطوره الدماغي .

فاستدلوا بذلك على ان الانسان كان فيما قبل مئات آلاف السنين ناقصا في تركيبه العقلي والادراكي والجسمي ، وانه (حسب ناموس التطور الذي ذكروا) تطور وارتقى (على مر آلاف العصور) من الأدنى الى الأعلى حتى وصل الى ما هو عليه الآن من كمال واكتمال .

كيف بدأ خلق الانسان

وهم (على أساس هذه النظرة) يزعمون ان النوع الانساني بدأ وجوده بحيوان بسيط جدا (كالبوليب الذي ذكر لامارك) (١) تطور وتحول وارتقى الى ما هو أعلى منه ، وهكذا صار يترقى في مدارج التطور والارتقاء حتى صارت أولى مراحل الإنسانية انسانا أول (أشبه بالحيوان) لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، ثم تطور وترقى شيئا فشيئا حتى صار الى ما هو عليه الآن من كمال .

هذه هي بعض أدلة مذهب داروين ، وان شئت قل أهمها .. والأدلة

(١) انظر مناقشتنا نظرية لامارك فيما مضى من هذا الكتاب .

الآخري لا تختلف عن هذه الأدلة من حيث الجوهر .. افتراضات وتقديرات وتخمينات وظنون ، فهي نظرية قابلة للتعديل (بل واللغاء) في كل لحظة .

وهكذا فانت ترى أنه ليس لمذهب داروين أي نصيب من الأدلة العلمية الثابتة التي تجعله في مرتبة اليقين الذي لا يتطرق إليه الشك .. أو البرهان الحسي الذي لا يجدي معه نقاش أو جدل .

وانما هي ظنون مصدرها عظام نخرة وجدوها في بعض طبقات الأرض .. وتخيلات وافتراضات وتقديرات أساسها دراسات لتباينات الأحياء وتفاضل بعضها وغير ذلك مما لا يسمن ولا يفني من جوع ، من الاستنتاجات التي لم يستطع حتى أصحابها القول بأنها صالحة لأن تكون أدلة لا يمكن رفضها .

والنظريات التي مصدرها الظن والافتراض .. لا القطع واليقين ، تكون دائما متأرجحة وغير ثابتة ، بل قابلة للتغيير والتبديل رأسا على عقب ، أمام أية استنتاجات ودراسات جديدة .

ومن هذا النوع (بالطبع) نظرية داروين .
فهي نظرية غير مقطوع بصحتها عند أصحابها أنفسهم .

مناقشة داروين

وإذا كان الداروينيون يستدلون على ترجيح صحة مذهبهم بما أشار إليه داروين ولا مارك فيما فصلنا فيما مضى من هذا الكتاب ، مما قاما به من فحوص ومقارنات وتصنيفات بين الكائنات الحية والنباتات ، كالذي لاحظته داروين في جزر الجالا على النباتات والحيوانات ، أو ما لاحظته في كتاب القس (توماس) مما أشار إليه من تزايد عدد السكان باستمرار (في متتالية هندسية) استخرج منه ناموس تنازع البقاء ، أو السلم الخيالي الرائع الذي صنّف بموجبه لامارك الكائنات الحية وربط بعضها ببعض زاعما تفرع وترقى بعضها عن بعض من (البوليب) حتى الإنسان ، فانه لا (لامارك) ولا (داروين) ولا غيرهما يستطيع التحدث حديث الواثق من أن الذي أشاروا إليه أو بعضه يمكن التمسك به كدليل قاطع على صحة نظرية التطور والارتقاء التي يزعمون .

وانما هي (كما قلنا) احتمالات وتكهنات وتقديرات ، أحسن أحوالها أنها محتملة الوقوع ، وما تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال (كما يقول الأصوليون) .

فقال .. ولكن ما حجتكم في رفض استدلالهم بما وجدوا من البقايا

البشرية كعظام الجمجمة التي استدلوها بها على عدم اكتمال تكوين صاحبها العقلي والجسمي مما زادهم تمسكا بهذه النظرية ؟ .

قلت له . . حجتنا في الرفض، هي انه اذا كان الداروينيون يستدلون على صحة مذهب التطور والارتقاء بعظام الجماجم وما شابهها من الهياكل العظمية التي قالوا انها تدل على عدم اكتمال اصحابها في التركيب الجسمي والتكوين العقلي ، فانا نستدل نحن على بطلان هذه النظرية بان الحفريات ايضا دلت ان هناك (من طوائف الاحياء واجناسها) انواعا كانت في الماضي السحيق اكمل في التكوين واقوى في التركيب مما جاء بعدها من (انواعها) . (٤٢)

فقد وجد الباحثون (اثناء حفرياتهم في طبقات سفلى من الارض) جماجم وهياكل عظمية لانواع مختلفة من الكائنات الحية تدل على أنها اكمل وارقى مما اتى بعدها من انواعها حيث وجدوا لنفس هذه الانواع في الطبقات العليا من الارض جماجم وهياكل ، دلت على ان هذه الانواع ادنى من التي وجدوها في الطبقات السفلى .

فلو كان ما زعمه الداروينيون صحيحا واستدلهم (بما وجدوا من الهياكل العظمية التي اشاروا اليها) معقولا ، لوجب ان يكون الأدنى من آثار هذه الاحياء المختلفة في طبقات الارض فوق الأعلى منها دائما وهذا ما اثبتت الحفريات خلافه . (٤٣) .

فصح بهذا يقينا ان الاستدلال على صحة نظرية التطور بتلك الجماجم والهياكل العظمية التي ذكر الداروينيون ، استدلال غير مقبول وغير صالح لجعل هذه النظرية في مرتبة النظريات العلمية الراسخة المقبولة بداهة .

فقال . . فيماذا (اذن) تفسر تلك الظاهرة في الهياكل العظمية التي وجدوا ، والتي تدل (كما قالوا) على عدم اكتمال تكوين الانسان في ذلك الزمان ؟؟

مشاهدات تنقض حجة داروين .

قلت له . . اذا صح ان الداروينيين قد وجدوا في الحفريات من العظام والجماجم ما يدل على عدم اكتمال اصحابها (جسميا وبالتالي عقليا) فان ذلك لا يعني بالتاكيد ان انسان ذلك الزمان ، كان (بصفة عامة) ناقص التكوين كاصحاب تلك الهياكل التي وجدوا ، وانما من

(٤٢) ولن نذهب بعيدا ، فلإجماع يكاد ينمقد على ان انسان ما قبل مئات السنين اقوى واكمل في التركيب من انسان اليوم ، وانه كان اطول عمرا منه ايضا .

(٤٣) انظر قصة الايمان ص ١٨٧ ط ١

المحتمل (بل قد يكون من المقطوع به) أن النقص في التكوين والتركيب الذي ذكروا يرجع الى عاهة أو مرض رافق صاحب هذه العظام التي وجدوا فصار سببا في عدم اكتمال تكوينه ، ومثل هذه الأمور الشاذة تحدث حتى هذا اليوم .

فقد رايت مرة في احد اقطار افريقيا الشرقية (اريتريا) انسانا ذا شكل غريب ، رايت شابا قد اجتمع الناس عليه (وبدافع الفضول) التحقت بهم لأعرف سبب تجمعهم ، وإذا بي امام شاب طويل القامة ، غير أن الغريب فيه (والذي كان سبب التجمع) هو أن رأسه كانت من الصفر بحيث لا تتناسب مع جسمه ، فقد كان حجم رأسه صغيرا جدا ، فبالرغم من تجاوزه العشرين من العمر فإن رأسه تكاد تحويها كفا الانسان العادي ، وقد تبين لي أنه لا يستطيع النطق ولا يكاد يعقل أو يدرك ، وكأنت له عينان ضيقتان جدا . . رايت هذا في مدينة تسني عندما كنت في اريتريا .

فلا شك أن ما وجده الداروينيون من عظام الجمجمة والهيكل التي استدلوا بها على عدم اكتمال تكوين صاحبها واستدلوا بها على صحة نظرية التطور والارتقاء ، هو من الانواع الشاذة التي يصاحبها النقص في التكوين (الجسمي والعقلي) لعاهة أو مرض يصاحب الانسان منذ وجوده ، كحالة الشاب الافريقي الذي ذكرت قصته آنفا .

فوجود أنصار نظرية التطور والارتقاء جمجمة وكاهل ، دل فحوصهما على أن صاحبهما كان ناقص التكوين لا يمكن (من الناحية العلمية) اعتباره دليلا قاطعا (او حتى راجحا) على صحة نظرية التطور والارتقاء ، فعدم اكتمال التكوين الجسمي والعقلي لا يزال يحدث حتى هذه اللحظة ، وانما لأسباب غير طبيعية عارضة ونادرة .

الفصل الثاني

- * تثبيت الشبوعيين بنظرية داروين .
- * مناقضة اصول النظرية للمذهب الشبوعي .
- * افلاس الشبوعيين في التمسك بالنظرية .
- * داروين بين الايمان والاكحاد

دفاع عن داروين

وبوصلنا الى هذا الحد من المناقشة قال الشبوعي الملحد :

ان لي ملاحظات هامة على الحجج التي استند عليها البعض في بطلان نظرية التطور والارتقاء وارغب في الادلاء بها قبل اختتام هذه الجلسة ، فهل تسمح ؟؟

فقلت .. لك ذلك .

فقال .. لقد كانت اهم الاعتراضات (كما قلت) ثلاثة وهي :

١ - عدم مشاهدة اي ارتقاء من اي نوع كان في الاحياء الارضية من عهد الالف السنين .

٢ - عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع اللازمة لمذهب التسلسل .

٣ - طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الاحياء الخ .

فقلت له .. نعم . ، وهل يستطيع احد ان يثبت انه قد حدثت (في اي عصر من العصور) مشاهدة اي ارتقاء بين اي نوع من انواع الكائنات الحية ؟؟

فقال .. طبعاً ، لا .. لا يستطيع احد ان يثبت شيئاً من هذا حيث لم يقل به احد حتى اليوم .

ولكن عدم مشاهدة اي ارتقاء في الاحياء المرئية لا يصح دليلاً على عدم الارتقاء عموماً ، لانه من المحتمل جداً ان يكون قد حدث هذا التطور والارتقاء في ازمان سحيقة لم يصلنا خبرها ، لا سيما وأن الحفريات أثبتت انهم وجدوا بقايا هيكل انسان يدل على عدم اكتمال تكوينه (عقلياً

وجسميا) .

فقلت له .. انك لم تات بجديد في مجال تأييد النظرية .
فقولك هذا لم يخرج نظرية التطور والارتقاء عن كونها مجرد افتراض
وتخمين .

فهي (اذن) دعوى أحسن احوالها انها محتملة الصحة والبطالان .
وكل دعوى - في نظر العلم والواقع - يجب ان تظل مجردة عن صفة
الحقائق المسلّم بها حتى يقوم الدليل القاطع على صحتها .. ثم قال :

وأما عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع ، اللازمة للذهب
التسلسل ، فلا يمكن (أيضا) اعتباره دليلا على عدم صحة نظرية التطور
والارتقاء ، لأن فقدان هذه الصورة المتوسطة سببه شدة تنازع البقاء على
حسب اختلاف الاوساط والاحوال ، ولذلك لم تكن صورة متوسطة بين
الصفوف التي هي في حالة الانقراض او الوقوف كالنعام والفيل ، فانها لا
تولد تباينات جديدة ، ولذلك فهي تؤلف أنواعا مستقلة ، بخلاف طوائف
الحيوان التي هي في حالة النمو فانها تنحل الى عدة أنواع جديدة بالتباينات
التي تنشأ منها ، ولذلك يوجد فيها صور متوسطة كثيرة يحار فيها
المراقبون .

ثم يسترسل الشيعوي فيقول :

وأما عن اعتراض طول الزمان اللازم لصحة التسلسل فانه من العبث
الاعتماد على قول من يزعم امكان تحديد عمر الارض ، لأن هذا التحديد
مجرد تخمين ليس له دليل يستنده ، وقد حسب الاستاذ طمسن الانكليزي
الزمن الذي لزم لبس القشرة الارضية فوجده لا يقل عن عشرين مليونا من
السنين ولا يزيد عن اربعين مليون سنة ، وأنه يقتضي ان يكون بين ثمان
وتسعين مليون سنة ومائة مليون سنة كما ان غيره يرى غير هذا الرأي ،
فيما يتعلق بعمر الارض .

مناقشة المدافع عن داروين

فقلت له .. وهذا قولك ايضا مجرد دعوى ينقصها الدليل الذي
يرفعها الى مرتبة الحقائق ، فكل ما تحدثت عنه الآن عن قصة الفيل والنعام
والاصناف التي في حالة الانقراض والتي في حالة النمو وقصة تحولها الى
أنواع جديدة ، كله ليس له اي ظل من الحقيقة وانما هو من الظنون المبنية
على التخيل والحدس والتخمين ، اذ ان احدا لا يستطيع اخراج شيء (مما
تتمحكون به لنصر نظرية التطور والارتقاء) من دائرة الظن والحدس
والتخمين الى حيز الحقائق الواقعة الثابتة .

فهي (كما يعترف الداروينيون انفسهم) فروض افتراضوها واستساغتها عقولهم لأنها (يزعمهم) تفسر لهم من غوامض الخليفة ما لا يفسره غيرها .

فالمذكرون (اذن) لنظرية التطور والارتقاء (من الناحية العلمية والوجدانية) لا غبار على سلامة موقفهم ، فهم انما انكروا شيئا ليس له من البراهين المقنعة ما يجعل منكروه في مرتبة المتعصبين الجاحدين للحقائق الواقعة .

فلا يمكن (اذن) توجيه اي لوم او اتهام بالرجعية والجمود والتزمت لمن لا يؤمنون بنظرية التطور والارتقاء ، لأنها ليست من الحقائق العلمية الثابتة التي لا يرقى اليها الشك ، وليست من الوقائع المشاهدة المحسوسة التي لا تقبل النقاش أو الجدل ، وانما هي (باعتراف انصارها) تقديرات وافتراسات وظنون ، احسن احوالها ، انها (في جملتها) مجرد دعوى محتملة الصحة والبطلان ، وما كان شأنه هكذا فلا لوم على من انكره ولم يؤمن به .

نظرية داروين مناقضة للمذهب المادي

ثم قلت للشيعوي :
والحقيقة ان اول من يجب عليه رفض نظرية التطور والارتقاء (حسب قواعد مذهبه) هو انتم معشر الملحدين ،

فقال .. ولم ؟؟

فقلت له .. لانكم حسيون ماديون لا تؤمنون الا بما كان وجوده في درجة المحسوسات المشهودة وعلى (اساس هذا المبدأ) انكرتم ان يكون للكون خالق مدبر بالرغم من قيام الادلة العلمية والعقلية والوجدانية الدالة على وجوده والصارخة بضرورة الاعتراف بوجوده ، وحجتكم انكم لم تشاهدوه ولم تحسوا بوجوده كما تحسون بوجود الماديات المحسوسة ، ومع هذا وفي الوقت نفسه تؤمنون بنظرية التطور والارتقاء وتتحميون لها وتتمهمون من لا يؤمن بها بضيق الافق والجهل ومحاربة العلم ، مع انها مبنية على الحُدْس والظن والتخمين ولم تبلغ (في اية ناحية من نواحيها) درجة الحقائق المسلم بها بداهة .

الماديون يتناقضون

كيف تبيحون لانفسكم هذا التناقض ، بل هذا التلاعب ؟؟
كفر بالله واتكار لوجوده وتُسفيه لمن يؤمن به ، بحجة ان مسألة القول

بوجوده مبنية على الفرض والتقدير لا الحس والملاحظة .
ثم ايمان في الوقت نفسه وتعصب لنظرية التطور والارتقاء التي لم
تبين ولم تقم الا على اساس الفرض والحدس والظن والتخمين .

فهل هناك عناد ومكابرة وتلاعب ومغالطة اكثر من الذي انتم فيه
معشر الماديين ؟؟

يضاف الى هذا ان نظرية التطور والارتقاء التي تعصبون لها هكذا
هي مناقضة (تماما) لنظرية الديالكتيك في المذهب الشيوعي ، ومع هذا
فانتم (لهوى) في انفسكم تعصبون لنظرية داروين .
فقال ... وكيف ...؟

اصول الداروينية مناقضة لاصول الشيوعية

نقلت له .. نظرية داروين (مثلا) تفسر تطور نوع الى نوع آخر على
اساس ما يظفر به بعض افراد النوع القديم من ميزات وخصائص من طريق
صدفة ميكانيكية ، او اسباب خارجية محددة ، كالبئة والمحيط .

وكل ميزة يحصل عليها الفرد تظل ثابتة فيه وتنتقل (بالوراثة) الى
ابنائه ، وبذلك ينشا جيل جديد قوي بفضل هذه الميزات المكتسبة .

وفي خضم الصراع في سبيل القوت والبقاء بين الاقوياء من هذا الجيل
وبين الضعفاء من افراد النوع الذين لم يظفروا بمثل تلك الميزات ، يعمل
قانون تنازع البقاء (كما يقول داروين) فيفني الضعيف ويبقي الافراد
الاقوياء ، وتتجمع المزايا عن طريق توريث كل جيل مزاياه التي حصل عليها
بسبب ظروفه وبيئته التي عاشها للجيل الذي يتلوه ، وهكذا حتى ينشا
نوع جديد يتمتع بمجموع المزايا التي اكتسبها اسلافه على مر الزمن .

ونقطة التناقض بين النظرة الديالكتيكية الشيوعية في موضوع التطور
والارتقاء ، وبين نظرية داروين هو ان التطور الذي ينال الحيوان (حسب
نظرية داروين) مصدره اسباب خارجية وفي الديالكتيكية ، اسباب
داخلية .

فالميزات والفروق الفردية التي يحصل عليها الجيل القوي من افراد
النوع ليست نتيجة لعملية تطورية ولا ثمرة لتناقض داخلي (كما هو مذهب
الديالكتيكية الشيوعية) وانما هي (كما تقول نظرية داروين) وليدة
مصادفة ميكانيكية او عوامل خارجية من البئة والمحيط ، فالظروف
الموضوعية التي عاشها الافراد الاقوياء هي التي امدتهم بعناصر قوتهم
وميزتهم عن الآخرين .. لا الصراع الداخلي في الاعماق كما يفترض
الديالكتيك .

كما ان الميزة التي يحصل عليها الفرد بطريقة ميكانيكية - اي باسباب خارجية من الظروف التي يعيشها - لا تتطور وتنمو بتناقض داخلي (٤٤) (كما هي نظرية الديالكتيك) حتى تحول الحيوان الى نوع جديد .

وانما تظل ثابتة وتنتقل بالوراثة دون ان تتطور وتبقى بشكل تغير بسيط ساكن ، ثم تضاف الى الميزة السابقة ميزة أخرى تتولد هي الاخرى أيضا ميكانيكيا بسبب الظروف الموضوعية ، فيحصل تغير بسيط آخر .

هكذا تتولد الميزات بطريقة ميكانيكية وتواصل وجودها في الابناء عن طريق الوراثة ، وهي ساكنة ثابتة ، وحين تتجمع يتكون منها اخيرا الشكل الارقى للنوع الجديد ، هكذا يقول داروين .

الاختلاف بين الماركسية والداروينية

ثم قلت للشيعوي الملحد ... وهناك أيضا اختلاف كبير بين قانون تنازع البقاء (في نظرية داروين) وبين فكرة تصارع الاضداد في المحتوى الداخلي عند ديالكتيكم .

فكرة الصراع بين الاضداد (الذي هو مصدر التطور عند الشيوعيين) تعبر عن صراع بين ضدين يسفر في النهاية عن توحيدهما في مركب أعلى وفقا لثالوث الاطروحة والطباق والتركيب (٥) .

ففي صراع الطبقات (وهو وتر الشيوعية الحساس الذي تعزف

(٤٤) الديالكتيكية الشيوعية تقول ان سبب التطور هو صراع دائم في المحتوى الداخلي بين التناقضات ، ينتهي حتما بتألف هذه التناقضات المتصارعة في وحدة مترابطة ، وهذا عكس نظرية التطور والارتقاء في مذهب داروين الذي يقول ان الصراع انما يكون بين القوي والضعيف ، والذي لا ينتهي بتألف المتصارعين (كما تقول الشيوعية) وانما ينتهي بقاء الاضعف حسب ناموس الانتخاب الطبيعي في مذهب داروين .

(٥) الاطروحة والطباق والتركيب ، هي الثالوث الديالكتيكي الشيوعي الذي عليه بنى الشيوعيون نظريتهم التطورية ، التي اساسها (كما يقولون) الصراع الداخلي ، الذي ينتهي بتوحيد المتصارعين نهائيا في مركب أعلى ، وهذا عكس نظرية داروين التي تقول ان الصراع ينشب لاسباب خارجية ، من اجل البقاء ، ثم ينتهي هذا الصراع بتلاشي الاضعف وبقاء الاصلح .. اما تفسير الاطروحة والطباق والتركيب وهو الثالوث في الديالكتيك الشيوعي فهو (عندهم) (الاطروحة) هي العلة (والطباق) هو المعلول ، و (التركيب) هو المجموع المترابط من (الاطروحة والطباق) ، والعلة (هنا) هي (كما يقول صاحب كتاب فلسفتنا) عملية نمو وتكامل عن طريق ولادة المعلول من العلة (أي الطباق من الاطروحة) والمعلول في هذه العملية لا يولد سلبيا بل يولد مزودا بتناقضاته الداخلية التي تنمي وتجعله يحتضن ملته اليه في مركب ارقى واكمل .. هكذا يقول الشيوعيون .

عليه دائما لاغواء المغفلين) تقول الديالكتيكية ان الصراع ينشب في المعركة بين الضدين في المحتوى الداخلي ، وهما الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة ، وينتهي الصراع بامتصاص الطبقة العاملة للطبقة الرأسمالية ، ونتيجة لهذا الامتصاص تتوحد الطبقتين معا في مجتمع لا طبقي كل افراده يملكون ويعملون (٤٦) .

هذا هو تفسير الشيوعيين لاسباب التطور والارتقاء في محيط تصارع الاضداد .

وهذا يتناقض تماما مع فكرة الصراع من أجل البقاء في مذهب داروين .

ذلك ان الصراع بين الاضداد، اذا كان ينتهي في الديالكتيك الشيوعي بتوحد الاضداد المتصارعة في مركب واحد ارقى، فان تنازع البقاء والصراع بين القوي والضعيف يؤدي (كما هي نظرية داروين) الى افناء أحد الضدين والابقاء على الآخر ، ذلك انه يزيل الضعاف من أفراد النوع ازالة نهائية ، ويبقي الاقوياء وهذا هو المعبر عنه في نظرية داروين ، بالاصطفاء النوعي او الانتخاب الطبيعي .

هذا فيما يتعلق بقانون تنازع البقاء وقانون الانتخاب الطبيعي (٤٧) الذي يؤدي تفسير التطور والارتقاء بموجبه في نظرية داروين ، الى عكس نظرية الديالكتيك الشيوعية .

اما فيما يختص بفكرة الصراع بين الحيوان والبيئة (في نظرية داروين)

(٤٦) هكذا تزعم الشيوعية العالمة وما تفرخ منها من مذاهب اقتصادية تحمل اسماء براقة اخرى .. وهذا الزعم من اكبر الاكاذيب المشهودة المضحوة التي تدجل بها الشيوعية وفروخها على الفاشلين في الحياة من الكسالى والخاملين والحافدين والمصابين بامراض الشلوذ ومركب النقص وحقارة الشخصية ، الذين يتخيلون (وهم في غيبوبة حمى امراضهم هذه) بأن في انتشار الشيوعية حلا لمشكلتهم ، ولكنهم هنا متوهمون توهمها لا يقل عن توهم وتخيل المرور الذي انهكته الحمى .. نقول هذا لان واقع الانظمة الشيوعية وما تفرغ عنها من مذاهب اقتصادية يكذب ما يدعيه الشيوعيون وتلاميذهم ، ذلك ان افئذ انواع التفاوت الطبقي انما يوجد في البلدان التي تخضع لنظام الحكم الشيوعي ، ففي روسيا (مثلا) توجد طبقتان فقط ، طبقة تملك كل شيء وتصرف (كما تريد) في كل شيء (دونما حسيب او رقيب) وهي الحزب الشيوعي الحاكم الذي لا يزيد عدد اعضائه على مليونين ، وطبقة لا تملك شيئا ، ولكنها تعمل كل شيء (تحت قوة الحديد والنار) ، وهذه الطبقة التي تعمل كل شيء لا تستطيع ان تقول شيئا او حتى تختار الطعام الذي تأكله (اذا ما وجدته) وانما يقدم لها هذا الطعام (كالبهايم) كما يريد حاكموها ، وهذه الطبقة هي عامة الشعب الروسي الذين لا يقل عددهم عن مائة وثمانية وتسعين مليونا ، ومثل هذا يقال بالنسبة للانفار التي تخضع للنظام المتولد من النظام الشيوعي ، ومع هذا يزعم الجميع انه لا يوجد عندهم تفاوت طبقي .

(٤٧) انظر القواعد الاربعة التي ذكرنا (فيما مضى من هذا الكتاب) ان (داروين بنسى عليها مذهب التطور والارتقاء)

والذي يمجبه يكتف الجهاز العضوي وفقا لشروط البيئة (٤٨) ، فان هذا الصراع لا يؤدي الى توحيد الضدين في مركب جديد ، كما تتربك الطبقة الراسمالية والطبقة العاملة في مركب اجتماعي جديد كما هي نظرية الديالكتيك في المذهب الماركسي ، وانما يؤدي الى خلاف ذلك .

حيث يبطل الجهاز العضوي او يتحول حسب ظروف البيئة التسي تتحكم في الكائن الحي ، كان يفقد الكائن الحي هذا شيئا مما كان حصل عليه من الكمال طبقا للقوانين التي حددتها داروين في نظريته للتفاعل بين الحياة والطبيعة ، كالحوانات التي اضطرت منذ ابعد الامداد الى العيش في الكهوف وترك حياة النور ، ففقدت بصرها (في رأي داروين) بسبب تفاعلها بمحيطها الخاص وعدم استعمالها لعضو الابصار في مجالاتها المعيشية .

وبذلك ادى التطور في التركيب العضوي الى الانحطاط ، خلافا للماركسية التي تعتقد ان العمليات التطورية في الطبيعة المنبثقة عن تناقضات داخلية تستهدف التكامل دائما ، لانها عمليات تقدمية صاعدة (٤٩) .

ثم قلت للشيوعي الملحد .. وهكذا فالشيوعيون لا يتورعون عن نصر وتأييد ما يتناقض مع اصول مذهبهم من النظريات ، ما داموا يطمعون في ان يعينهم ذلك على نشر مذهبهم والترويج له ، كما فعلوا في تسكهم بنظرية داروين التي هي وفلسفتهم الديالكتيكية (حول التطور والارتقاء) على طرفي نقيض .

والغريب ان نظرية داروين (في التطور والارتقاء) لم تتعرض لاي شجب او تجريح من قبل الدعاة الماركسيين بالرغم من انها تناقض اصول الماركسية كل المناقضة ، في هذه الناحية . بل انهم ليمسكون بهذه النظرية (نظرية داروين) ويرفعون من شأنها ويشيدون بقطبها الاعظم (داروين) ويعتبرونه في مقدمة من يقدسون .

سبب تمسك الشيوعيين بمذهب داروين

فقال شاب آخر من حاضري المناقشة :

لقد تعجبت (فعلا) من مناصرة هؤلاء الملاحدة لنظرية التطور والارتقاء

(٤٨) انظر قانون المطابقة منفصلا ضمن قواعد داروين الاربع فيما مضى من هذا الكتاب .

(٤٩) انظر (فلسفتنا) للسيد محمد باقر الصدر ص ١٤٠ و ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ -

٢٨٦ منشورات مويديات بيروت .

مع انها مناقضة لمذهبهم الحسي مناقضة كاملة ، فما هي الاسباب التي جعلتهم يسلكون هذا السبيل ؟؟

قللت له .. سبب واحد ، وهو ان فلسفة التطور والارتقاء يسهل عن طريقها اصطياذ الشباب وايقاعهم في شباك الالحاد ، لان هذه النظرية نظرية مادية بحتة تشجع على قطع الصلة بالله ، لانها تسقط - غالبا - من حسابها وجود القوة الخالقة وتحدث دائما عن الطبيعة وصنع الطبيعة وقوة الطبيعة وقدرة الطبيعة ولانها تفسر الخليقة تفسيرا طالما كان قاعدة لانكار وجود الله سبحانه وتعالى ، وكما رأينا علماء أتوا بعد داروين اعتنقوا نظريته ودرسوها درساً قادم الى مرتبة من الكفر الصراح والالحاد الصريح لم يصل اليها داروين نفسه وجعلوا هذه النظرية قاعدة للالحاد ، كما فعل (ارنست هيكل) الذي حمل (بعد داروين) لواء نظرية التطور والارتقاء ، فهذا هو السبب في تمصّب الملاحدة لنظرية التطور والارتقاء بالرغم من ان قواعدها مبنية على الحدس والافتراض والتخمين ، التي هي وقواعد مذهب الملاحدة الحسينيين على طرفي نقيض .

منطقة الخطر في نظرية داروين

وهكذا فان منطقة الخطر في نظرية التطور والارتقاء ليست في كونها لم تبلغ (من الناحية العلمية) درجة الصحة واليقين ، وانما فيما يتولد عن الايمان بها (في محيط قصار النظر وضعيفي الايمان) من نزعات الحادية وميول تحليلية وجودية تربط الانسان بما على وجه الارض من غرائز حيوانية وميول بهيمية وتقطع صلته بما سواها على اعتبار ان الانسان (كما هي نظرية داروين) انما هو (في الاصل) حيوان .

قال الاستاذ محمد قطب في كتابه (الانسان بين المادية والاسلام) .

ان عيب نظرية داروين ليس في الوقائع العلمية التي يسطها في كتابه وتابعه عليها أعوانه ومريدوه ، وانما هو في ابحاءات تلك النظرية التي خلقت طابعها الخطر ، لا في افكار الجماهير وحدها ، بل في اتجاه العلماء كذلك منذ عهده الى العصر الاخير .

ثم قلت للشباب المسلم :

وهكذا يتضح جليا ان الطابع الخطر في نظرية التطور والارتقاء على الدين والاخلاق والسلوك هو الذي جعل الملاحدة يتشيعون لهذه النظرية ويحرصون على مساندتها والدعوة اليها بالرغم من مخالفتها لقواعد مذهبهم الحسي .

لا حجة للشيوخيين في مذهب داروين

فقال .. ان الملاحدة من شيوعيين وغيرهم يتحكون بمذهب (داروين) ويحاولون (دائما) ان يجعلوا منه قاعدة تنطلق منها دعوتهم الخبيثة .
فهل لهم متمسك علمي في هذه النظرية يمكنهم الاعتماد عليه لمساندة مذهبهم ؟؟

فقلت له .. لقد استغل دعاة الالحاد (فعلا) نظرية داروين لما لها من شهرة عالية وانتشار بين طبقات المثقفين الذين يطلب منهم (غالبا) دراستها باعتبارها من النظريات التي تدخل في نطاق البحث العلمي ، فجعلوا منها (اي الشيوعيين) مطية للترويج للكفر والالحاد .

ولكن التاء نظرة مجردة فاحصة (خالية من العناد والهوى) على هذه النظرية وعلى اتجاه مؤسسها (في محيط بحوثها) تثبت عدم وجود اية حجة علمية او اي متمسك لهؤلاء الملحدين في هذه النظرية .

نظرية داروين لا تدعو الى الالحاد

فداروين (مثلا) قد ورد في كتبه الخاصة مـ فـيد بأنه يعترف صراحة بوجود اله خالق حيث قال في كتابه (اصل الانواع) ، ان انواع الاحياء ترجع الى اصل واحد او عدة اصول اوجدها الخالق ، وان الحياة سر يعجز كل البشر عن معرفته .

وهذه الاقوال من قطب نظرية التطور والارتقاء (داروين) تصفع المتبجحين من الملاحدة بنظرية التطور والارتقاء التي يقول بها داروين .

يضاف الى هذا ان (داروين) مهما قيل فيه (حول كفره او ايمانه شخصيا) فان جميع مؤلفاته حول تطور الكائنات الحية ليس فيها اي شيء يمكن تسميته دعوة الى انكار الخالق او تحريضا على النكر للدين والدعوة الى نبذه .

بل لقد صرح داروين نفسه بأن بحوثه الخاصة بنظرية التطور والارتقاء لا تستهدف الدعوة الى انكار الخالق وليس فيها اي خطر على الدين .

فقد سئل داروين عن عقيدته الدينية فاجاب في خطاب ارسله الى مستر (فور دايس) صاحب كتاب (ملامح من الشكوكية) عام ١٨٧٩ بقوله :

« ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني احدا غيري » (٥٠) .

كما ان (الفرد رسل ولاسن) وهو القطب الثاني من أقطاب نظرية التطور والارتقاء والذي حمل لواءها بعد (داروين) كان ينبغي بشدة أن يكون هناك أية حجة للملحدين في هذه النظرية .

وكان ينبغي أن يكون داروين قد اتخذ من هذه النظرية وسيلة لانكار وجود الله تعالى .

فقد جاء في كتابه THE WORLD OF LIFE (نافيا عن داروين هذه التهمة) قوله :

(ان داروين على ما يظهر قد صار الى نتيجة واحدة ، وهي أن الكون لا يمكن أن يكون قد وجد بغير علة (هي فوق الطبيعة) ولكن ادراك هذه العلة على أي وجه كامل يملو على ادراك العقل البشري) .

ثم عقب (ولاس) على ذلك قائلا . . (وانني لاولي هذه النظرة كل عطفي وشعوري ، ولكنني مع هذا أرى أننا مستطيعون أن نلمح قبسا من القدرة التي تعمل في الطبيعة يساعدنا على تذليل الصعوبة البالغة التي تحول دون العلم بحقيقة الخالق الإبدى الذي لا أول له ولا آخر (٥١) .

والمهم في الموضوع (كما قال الأستاذ عباس محمود العقاد) في كتابه (عقائد المفكرين) أن صاحبي مذهب التطور والارتقاء (داروين وولاس) لم يستندا الى هذا المذهب في انكار العقيدة الدينية ولم يزعموا أنه يفسر سر الحياة أو سر الكون - وأحدهما وهو ولاس - كان مؤمنا بالله وبحكمته في مخلوقاته - والآخر وهو داروين - كان يابى أن يوصف بالالحاد ويؤكد الى آخر أيامه ، أن الاستدلال بمذهب التطور على انكار الاله الخالق خطأ كبير

(٥١) ان الملاحدة (من شيوعيين وغيرهم) الذين يتحكون بنظرية التطور والارتقاء ليجعلوا منها أهم ركائزهم للدعوة الى الانحاد ، لا يمكن أن يكونوا ، أكثر فهما لهذه النظرية وأصدق ادراكا لعقائهم من هذا العالم الكبير (ولاس) الذي اعترف له العالم اجمع بأنه القطب الثاني بالنسبة لهذه النظرية (بعد داروين) ولهذا فان إيمانه بالله الى هذه الدرجة يعتبر أقوى دليل على أن هؤلاء الملحدون إنما يفترون على هذه النظرية وأقطابها عندما يستندون عليها ويجعلون من قواعدها فلسفة لانكار الخالق سبحانه وتعالى ، ذلك أن هذه النظرية لو كانت قد قامت على انكار الخالق جل وعلا ، أو أن القول بها يستلزم انكاره ، لكان أقطابها الذين أرسوا قواعدها (قبل ان يولد هؤلاء الملحدون) أول المنكرين لوجوده سبحانه وتعالى ، ولكن هذا (ولاس) أحد أقطاب هذه النظرية يعتبر من أشد المنكرين إيماناً بوجود الله تعالى ، فنصح بهذا - بقينا - أن هؤلاء الشيوعيين إنما هم متطفلون على نظرية التطور والارتقاء ومفترون على أقطابها حينما يجعلون من هذه النظرية سنداً لهم في نكار وجود الله ونفي قدرته وحكمته .

وادعاء لا سند له من العلم ولا من التفكير الأمين (٥٢) .
 هذا من ناحية موقف اقطاب نظرية (داروين) الشخصي حيال ما
 يفتربه الملحدون من شيوعيين وغيرهم من ادعاء مفاده ، ان بحوث هؤلاء
 الاقطاب (حول التطور والارتقاء) تقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى .
 اما من ناحية جوهر نظرية التطور والارتقاء ، فانه بالرجوع الى قواعد
 هذه النظرية يتضح لكل ذي عقل منزه عن الهوى انه ليس للملحدين في أي
 من هذه القواعد سند علمي أو برهان عقلي يعتمدون عليه لتأييد نزعته
 اللاحادية الداعية الى انكار وجود الله .
 بل ان بعضا من هذه القواعد اذا ما أمعن الانسان فيه النظر يجد انه لا
 يؤدي الى انكار الله تعالى وانما يمد الانسان بروافد من الإيمان بعبادة الله
 ورحمته وحكمته .

افلاس الملحدين في التمسك بنظرية داروين

ولكي نبرهن لكم على افلاس هؤلاء الملحدين في هذا المجال ، فانا
 سنعرض (مرة أخرى باختصار) للقواعد الأربع التي بنى (داروين) عليها
 نظريته لنناقش الملحدين أمام كل قاعدة من هذه القواعد .
 ذكرنا فيما مضى من مناقشة ، ان القواعد التي بنى عليها داروين
 (نظرية التطور والارتقاء) هي أربع قواعد :
 ١ - ناموس المطابقة .
 ٢ - ناموس تنازع البقاء .
 ٣ - ناموس الانتخاب الطبيعي .
 ٤ - ناموس الوراثة .
 وقد شرحنا مقاصد هذه النواميس فيما مضى من مناقشة .

أقوى حجة للملحدين في النظرية

وبرجعنا الى مشاغبات هؤلاء الملحدين على المؤمنين (باسم نظرية
 التطور والارتقاء) نجد ان أقوى ما يستندون عليه في نظرية داروين لانكار
 الخالق سبحانه وتعالى ، هو قانون (المطابقة) الذي يقول ان لنوع الاغذية
 وطرق الوصول اليها ، وللبيئة التي يعيش فيها الحيوان (بصفة عامة) أثرًا
 في تكييف الجهاز العضوي للحيوان لكي يلائم البيئة التي يجبر على العيش
 فيها .

(٥٢) اذا كان قد نقل من (داروين) انه كان آخر أيامه ، يميل الى التردد والشك في
 وجود الله تعالى ، فانه ما زال (حتى موته) ينفي بشدة ان يكون في نظريته أي سند يمكن
 اخلاذه دليلا لى انكار وجود الخالق سبحانه وتعالى .

فنظرية داروين (مثلا) تقول .. ان الكائن الحي اذا اجبر على العيش في بيئة تختلف عن البيئة التي كان يعيش فيها ، فان بعض أعضائه تبطل او تتطور او يزيد عددها لكي يتمكن من مواصلة العيش في هذه البيئة التي لا يحتاج العيش فيها انى بعض هذه الاعضاء او يحتاج الى مزيد منها او تطورها او ايجاد اعضاء جديدة .

وهم يضربون لذلك مثلا بالعيون الاثرية غير المبصرة التي يقول علماء الحيوان انهم وجدوها في بعض الكهوف المظلمة التي لا سبيل للنور اليها او تحت طبقات الارض ، ففرت لهم نظرية داروين ذلك بان سبب فقد هذه العيون حاسة الابصار ، هو :

ان نوع هذا الحيوان (صاحب العيون الاثرية غير المبصرة) كان يعيش في بيئة مشرقة غير مظلمة ، مما جعل العيون المبصرة من ضروريات حياته ، ولكنه لما اجبر على العيش في الكهوف المظلمة (او تحت طبقات الارض آمادا طويلة) فقد حاسة الابصار بالتدريج ، فضمير العضوان اللذان كان بهما يبصر وهما العينان ، لعدم حاجته الى الابصار في تلك البيئة المظلمة .

فبقيت هاتان العينان في ذلك النوع من الحيوان اثريتين ، فاورثهما ما تناسل منه في هذه الكهوف من الحيوان ، ثم اخذ ضمور هذه العيون الاثرية (في نسله) في الازدياد حتى تلاشت هذه العيون كليا بالتدريج ، لعدم الحاجة اليها لان هذا النوع من الحيوان صار يولد ويعيش ثم يموت في بيئة لا يحتاج فيها الى حاسة الابصار .

واصحاب نظرية داروين يقولون مثل هذا في الاعضاء الاثرية الاخرى التي يقولون انهم وجدوها معطلة وغير مستعملة في حيوانات اخرى .كـبعض الافاعي التي قالوا انهم وجدوا فيها زائدتين عظيمتين في القسم الخلفي لا حاجة لنوع هذه الافاعي فيهما ، وانما هما اثران لطرفين كانا موجودين في اجداد هذا النوع من الافاعي كان اولئك الاجداد في حاجة اليهما عندما كانوا يعيشون في بيئة تستلزم وجودهما .. الخ .

هذا مثال يضربه اصحاب نظرية داروين للاعضاء التي تضرر ثم تتلاشى في الحيوان لعدم الحاجة اليها عندما يعيش في وسط لا يستلزم وجودها . اما بشأن ما يزعمونه من ظهور اعضاء جديدة للحيوان ، او تطور هذه الاعضاء بسبب البيئة او المحيط ، فانهم يضربون لذلك مثلا (ضمن ناموس المطابقة) بالحيوان الذي لا ناب له ولا مخلب لعدم الحاجة اليهما في البيئة التي يعيش فيها ، فيقولون ان هذا الحيوان اذا ما اجبر على العيش في بيئة تتطلب هذين العضوين (الناب والمخلب) فانهما تنبتان فيه ليتمكن من العيش وينجو من الهلاك ، وهم يقولون عكس ذلك فيما اذا عاش حيوان من

ذوات الناب والمخلب في بيئة لا تتطلب وجودهما حيث يبطل هذان العضوان بالتدرج حتى يتلاشيا الخ.

هذا هو خلاصة (ناموس المطابقة) الذي في ظله يشغب الملاحدون على المؤمنين ويستدرجون عن طريق هذا الشغب ضعاف العقول ومهزوزي المدارك الى هاوية الالحاد .

فقال احد الاخوان (من حاضري المناقشة) .. ولكن هذا امر بعضه بدمي مشاهد ملموس ، فان اي عضو من الاعضاء اذا ما اهمل استعماله طول العمر ، فانه يتعطل ثم يضر ، ولكن ما حجة الشيعيين في مثل هذا الامر ؟؟

احتجاج الشيعيين بالاعضاء الاثرية في الحيوان

وهنا تكلم الشيوعي المالحد فقال :

نعم .. حجتنا (في هذا) هو انكم معشر التدينين تزعمون ان كل ما في الكون قد وجد بعناية وقصد و ارادة من ذات لها الهيمنة المطلقة على هذا الكون ، وذلك لكي تصلوا الى القول بضرورة الاعتقاد بوجود اله خالق له قوة فوق كل قوى الطبيعة ، ونحن (معشر الشيعيين) ننفي هذا الزعم وننكره ، ونقول :

ان كل ما في الكون جميعا انما وجد بحكم الضرورة ، وان ما فيه من روائع التباينات وبدائع الموجودات انما جاء نتيجة التطور الطبيعي الالي الذي لا دخل فيه للعناية او الارادة او القصد ، فليس هناك عناية الهية او رعاية ربانية ترعى هذا الكون (كما تزعمون) .

فلو كان هناك عناية الهية او رعاية ربانية لهذا الكون لما وجد في هذه الحيوانات أعضاء اثرية لا لزوم لوجودها (كالعيون غير المبصرة في بعض حيوانات الكهوف الظلمة) ولما حدثت تلك التحولات (بحكم الضرورة) في بعض أعضاء الحيوانات أو الزيادة في البعض الآخر كانيات الناب والمخلب في حيوان ليس له (في الاصل) ناب أو مخلب ، أو ابطال هذين العضوين الموجودين تبعا لتغير البيئة والمحيط ، كما هو مفصل في نظرية التطور والارتقاء في قانون (المطابقة) ، ثم اردف قائلا :

فلو كانت هناك (كما تزعمون) عناية من قوة مدبرة ترعى هذا الكون لما وجب ان يكون في هذه الكائنات الحية أعضاء لا فائدة منها ولا ضرورة لها ، ولما تحول ذو الرجلين الى ذي أربع (بحكم الضرورة) فصَحَّ بهذا انه

لا دخل للعناية والغاية ، وإنما الدخول للضرورة فحسب (٥٣) .

نقض اقوال المسيوعيين بشأن الاعضاء الاثرية

فقلت له ... سبحان الله .

انكم لو عقلتم ، لادركتم واقتنعتم ان كل هذا إنما هو من أقوى الأدلة وأوضح البراهين على وجود العناية الالهية والرحمة الربانية .

وهل تريدون دليلاً أقوى على وجود هذا الخالق البر الرحيم من إعطاء كل كائن حي قابلية لأن يلائم البيئة التي يعيش فيها ، بتطوير أعضائه أو تزويده بأعضاء جديدة لا يمكنه العيش في البيئة الجديدة إلا بها ؟ .

فهل هناك أدل على العناية والقصد والحكمة من أن إذا وجد حيوان متمتع بعينين مبصرتين في بيئة خالية من الضوء (تماماً) فأبطل الله حاسة البصر في هاتين العينين اللتين لم يعد الحيوان في حاجة إليهما ، ثم أبدله بحاسة أخرى تمكنه من الوصول إلى ما يجعله يعيش ويحفظ نوعه من الانقراض ؟ .

ليس من آثار العناية الالهية (لا الضرورة العمياء التي بها تهرفون) أن إذا قضى على حيوان لا ناب له ولا مخلب أن يعيش في بيئة (بعد تكوينه) يحتاج فيها إلى ذئب العضوين (الناب والمخلب) فنبتا بالتدريج حتى

(٥٣) قال السلطان صالح بن غالب القميطي (سلطان حضرموت) ، قال في كتابه (الآيات البيّنات الدالة على وجود خالق الكائنات ص ٧٥ ط حيدر آباد .. قال إذا نظرت إلى الكون بعين البصيرة ، يظهر لك بأنه خلق بقصد وحكمة ، وإذا رأيت شيئاً لم تظهر لك حكمته فذلك لقصور علمك وإدراكك ، لا لأنه خار من الحكمة ، فكمن من الحكمة وأسرار في الكائنات غفبت على جهالة العلماء فانكروها ولما ظهرت لهم الحقيقة رجعوا عن غيهم وأنكارهم .. وقال الأستاذ شارل ريشه (المدرس بجامعة الطب الفرنسية) ، أن حواسنا من القصور والنقص على حال يكاد معها يغفل من شهورها كل الانفلات ، ثم قال .. أن كل هذا العلم الذي تفخر به إلى هذا الحد ليس في حقيقته إدراكاً لظواهر الأشياء ، وأما حقائقها فنغفل منها ولا تقع تحت مداركنا ، والطبيعة الصحيحة للنواميس التي تقود المادة الحية والجمادة تتمالي من أن ظم بها عقولنا .. وقال السلطان صالح القميطي في ص ٧١ من كتابه (الآيات البيّنات) يقول الماديون أن الأجرام السماوية والكائنات كلها تخضع للناموس اللازم لها ، ويقولون أن الكون منتظم بحكم الضرورة ، ثم يطلق السلطان على ذلك بقوله .. ولم نعرف ما هي الضرورة التي تقضي بهذا النظام البديع المنزه عن الخبط ، ومن جعل الكواكب تسبح في الفضاء على مداراتها بنظام في غاية الدقة والضبط ، وهل الضرورة قوة مدبرة ؟ أم كلمة ليس لها معنى ، أما الماديون فينكرون وجود قوة مدبرة ، ثم يختم السلطان القميطي رده المفهم على الماديين بقوله .. فاذن ، الضرورة عندهم هي كلمة فارغة ليس لها معنى وإنما وضعوها فقط لتأييد مذاهبهم فيكررون هذه الكلمة عند الضرورة من غير تدليل .

يصير من ذوات الانياب والمخالب لكي ينجو نوعه من الغناء ٢٢.

الاستدلال على نفي الشيء بظليل وجوده

ليس من دليل العناية الربانية ان اذا اضطر حيوان (ذو رجلين) في بيئة لا يمكنه العيش فيها الا اذا كانت له ارجل اربع فنبتت هذه الاربع له ، (كما تقول نظرية داروين) ، ليس هذا من اوضح ادلة القصد والعناية ؟.

ان استدلالكم (معشر الملحدين) بهذه القابلية التي اعطيت للحيوان (اذا صح انها اعطيت) لتتكيف اعضاءه حسب متطلبات البيئة التي يعيش فيها .. ان استدلالكم بهذا على نفي العناية الالهية وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، هو من اسخف الاستدلالات واكثرها تهافتا ، لانه استدلال على نفي الشيء بدليل وجوده .

والا فكيف يمكن الاستدلال على نفي الخالق وعنايته الالهية باعطاء الحيوان قابلية التكيف لتتطور اعضاءه ، او تزيد او تنقص - حسب ظروف البيئة التي يجبر هذا الحيوان على العيش فيها - لينجو نوعه من الانقراض ٢٢.

واذا لم يكن مثل هذا هو دليل العناية والرحمة والحكمة الالهية فلست ادري ماذا يكون مصير الادلة القاطعة والبراهين الناطقة في دنيا العقل والمنطق ؟.

فاذا كنتم (معشر الماديين) تعتبرون امداد الحيوان بالقابلية التي تمكنه من ان يلائم البيئة التي تختلف عن البيئة الاصلية التي كان فيها ، حتى ينجو من الهلاك ، اذا كنتم تعتبرون هذا دليلا على العناية والفوضى وبرهاناً على نفي الغاية والقصد والعناية ، فماذا (اذن تريدون) ٢٢.

فهل تريدون ان يكون دليل وجود الله وعنايته ورحمته ان يترك هذا الحيوان مهملًا دون ان يمدّه بقابلية تتكيف بموجبها اعضاءه لحماية نفسه من الهلاك والانقراض عندما يجد نفسه مجبرا على العيش في بيئة تتطلب هذا التكيف (كما فصل ذلك داروين في ناموس المطابقة ضمن نظريته ٢٢) (٥٤) .

(٥٤) قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف ج ٨ ص ٥١٩) عند رده على الملحدين المستدلين بالانقراض الاثرية والتحول في بعض الحيوان (حسب نظرية داروين) على نفي العناية الالهية ، قال .. يعيل الماديون الى ان يعتبروا هذا التحول دالا على ان الخلق جار على سنة العناية المطلقة والضرورة المحضة ، كأنهم يريدون ان يهلك كل حيوان او نبات يقضي عليه بان يوجد في بيئة غير بيئته الاولى ليسوغ لهم ان يقولوا ان في الكون

لا شك ان منطوق نقاشكم يدل مفهومه على هذا .
ان هذا منكم (دونما جدال) يدل على منتهى التعسف والعناد
ومحاولة قلب الحقائق .

ثم قلت للشيعوي الملحد، ان الانسان عندما يصل (في العناد والمكابرة)
الى درجة الاستدلال على عدم الشيء بما يدل على وجوده (كما فعلتم انتم)
حينما استدللتم على نفي العناية الالهية بما يدل (قطعا) على وجودها ،
انما يعني انه لن يرجع عن قوله حتى ولو احاطته البراهين القاطعة من كل
جانب على بطلان ما يقول .

وهذا لا ينطبق على أحد مثلما ينطبق عليكم (معشر الشيعويين) .

قوة (عاقلة) مدبرة ؟؟ وهذا من غرائب شؤون الماديين .. والا فكيف لا يُعد اعداد الحيوان
بحاجته من الانفساء التي لم تكن له من الرحمة الالهية وبعد عكسه من دلائل الحكمة والغاية
والقصد ؟؟ ثم قال .. ان الذي حدا بالماديين الى هذا الزعم ، توهمهم ان هذا التحول الجزئي
يدل على ان العالم كله خلق على هذه الوتيرة فوجدت الخلية البسيطة الاولى (اولا) ثم
تحولت الى ارقى منها بنظر البيئة ، وهكذا ثم الخلق على ما هو عليه من الابداع ، ثم
قال الاستاذ وجدي :

هب ان الخليقة تكونت على هذا الضرب من التدرج فماذا فيه من نفي القصد الالهي ؟؟
هل مما ينفي القصد الالهي ان توجد خلية بسيطة متمتعة بخاصية مقاومة المؤثرات وقابلية
التدرج نحو الكمال حتى تصل الى ارقى انواع النبات والحيوان ؟؟ اليس اجدر ان يدل ذلك
على قوة خالقة اوجدت هذه الخلية وتمتتها بكل قوة ووسيلة لحفظ حياتها حتى تصل الى
كمالها ؟؟ ايها اذل على ذمة الصنع وغاية الابداع في عمل عامل .. اعلمه الشيء ذمة واحدة
وفكره وشأنه (دونما مناية او رعاية) يبيد ان لم تناسبه الظروف ، ام تكوينه على حال
تمكته من التدرج شيئا فشيئا وتحليلته بالوسائل التي تمكته من مكافحة التغيرات الطارئة في
كل حين ؟؟ ثم يقول الاستاذ فريد وجدي .. خلق الله الارض على ستة تدرجيات (كما تدل
عليه المباحث الجيولوجية) وجعل بيئاتها وقواها دائمة التحول والتغير حتى ان سطح الارض
الذي نعيش فيه كان قاعا للبحر في عصر من العصور ، وما فيه الآن من مدن عامرة كان قبل
عدة اجيال غابات كثيفة ، وما كان غابات كثيفة بظل ويقتب ملايين من الحيوانات ، اصبح
الآن مناخ للفحم الحجري ، وتس على ذلك ما لا يحصى من الانقلابات ، ثم يقول .. فاذا
كان الله خلق الارض على هذه الستة ، افليس من الحكمة ان يخلق الكائنات متمتعة بخامة
مقاومة ، حتى لا تبديد وتلتأى امام هذه التغيرات ؟؟ فاذا لم يخلق الحيوان البصير على
حالة تمكته من ان يعيش في الظلام فتصبح عيناه اثريتين ، وما لا ناب له ولا منسر ، ان يكون
له ذاك العضوان ، اذا اقتضت الاحوال المعاشية ذلك وحلم جرا ، هل بقي (ان لم يتمتع
الخالق الحيوانات والنباتات بهذه الخاصية من التحول التدريجي) على الارض حتى يعمرها
الان ؟؟ ، ثم قال الاستاذ (فريد وجدي) يظهر لي انه لا يرضي الماديين الا ان يكون الخالق
على شكل الحكام المستبدين ، يأمر بخلق الكائنات مستقلة فتكون ، ثم يبنيها لاقبل عارض
من تغيرات الجو فتبديد ، فلا يبردون لها رحيما يحلي مخلوقاته من الوسائل بما تقاوم به
الاعراض الارضية ، ثم يختم الاستاذ (محمد فريد وجدي) كلامه ضد الملحدين قائلا :
والحقيقة ان الماديين يريدون ان يكونوا ماديين ملحدين ولو رآوا الله بأعينهم .

فأنتم تريدون أن تكونوا ماديين ملحدين (فحسب) حتى ولو رأيتم
الله جهرة بأعينكم .. هذه هي حقيقتكم التي عرفناها عنكم في كل عصر
وجيل .

سبب الانحراف بين بعض المثقفين

ولهذا فنحن عندما نناقشكم هذه المناقشة انما نقصد (في الدرجة
الاولى) تنبيه هؤلاء السطحيين الذين طالما غرروا بالكثير منهم وانحرفتم
بهم نحو مزالق الكفر والانحلال .. هؤلاء الذين جعلتهم بهارج اقوالكم
وتزاويق عباراتكم يظنون أن المدنية والتقدمية لا يمكن أن يكون أهلا
للاتصاف بهما الا الذي ينكر كل شيء ويستهزئ بكل عقيدة ويكفر بكل
دين .

ولا شك أن مما ساعدكم على اقتناص هذا النوع من السطحيين
المفغلين ، هو جمود بعض علماء المسلمين القيايين وانعزاليتهم الشديدة
التي نات بهم عن مختلف الاوساط في امتهم ، (وخاصة الثقافية والإعلامية)
مما جعل هؤلاء العلماء لا يعلمون شيئا عما يتوافد من تيارات دخيلة داخل
البيئات الإسلامية (تحت أسماء براقة مختلفة) وخاصة في محيط العلم
والمعرفة ، وبالتالي لا يتخذون أية خطوات فعالة حاسمة مضادة ، تصد
الضار وتقبل النافع .

الشيوعيون والقواعد الداروينية الثلاث

وهنا قال شاب مسلم آخر ... والآن وقد سمعنا ما فيه الكفاية
حول تثبيت الملحدون بقانون المطابقة في نظرية داروين .
وإذا كانت حججهم على هذه الدرجة من الضعف والتهافت في مجال
أهم نقطة يتشبهون بها وهي (قانون المطابقة) فما هو (اذن) متمسكهم في
القواعد الثلاث الباقية من قواعد نظرية داروين التي يزمرون وبطلبون
باسمها ، ويزعمون دائما أنها في جانبهم تنقض الإيمان وتنفي وجود
الخالق ؟؟

فقلت له .. ان أقوى ما يشغبون به لنفي العناية الإلهية هو (كما
قلت لكم) ما جاء في ناموس المطابقة من هذه النظرية ، والذي فصلته لكم ،
وقد بينا لكم أن هذه الحجج هي من أسخف وأتفه ما يحتاج به مناظر أو
يناقش به باحث .

أما بقية القواعد الثلاث ، فليس لهم فيها أي متمسك أو حتى أية شبهة
لان هذه القواعد وهي (تنازع البقاء) و (الاصطفاء النوعي أو الانتخاب

الطبيعي كما يسميه البعض) و (الوراثة) هي أمور معروفة مشهودة قبل أن يُخلق (داروين) بألاف السنين ، فليس في القول بها ما يتنافى مع الاعتقاد بوجود الله تعالى .

تنازع البقاء من سنن الله

فناموس (تنازع البقاء) هو سنة الله الكونية في خلقه ، نكل المخلوقات (دائما) في صراع مستمر من أجل البقاء، وصراعهم هذا واختلافهم وتنافسهم هو الذي يحفظ الله به العالم، ولولا اختلاف الناس وتصارعهم لخرت الدنيا وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الناموس الثابت بقوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، وما قيام الدول وانهارها وصعود الاسر وهبوطها ، وانتصار قوم وانهزام آخرين ، وانتقال الاموال والاملاك من يد الى يد الا نتيجة هذا الناموس الذي لا يستطيع أحد انكاره (ناموس تنازع البقاء) .

حب' السيادة في النفوس أحلّ ناموس التنازع ..
لولا الدماء الحمر ما أضح ضرت بأهلها المراجع .

البقاء للأصلح

اما ناموس الاصطفاء النوعي (أو الانتخاب الطبيعي كما يسميه البعض) فهو ليس الا نتيجة لناموس تنازع البقاء ، حيث قضت سنة الله أن تكون الغلبة والبقاء للأصلح والاقوى ، ولهذا فليس للملحدين في هذا الناموس مجال يشغبون (عن طريقه) على المؤمنين .

واما ناموس (الوراثة) فهو أشد النواميس الداروينية الاربعة استعصاء على الملحدين ، حيث لا يوجد لهم فيه أي متمسك أو شبهة بها يشغبون ، لانه ناموس معترف به في كل عرف ودين ، ولم يكن بدعا من القول طلع على الناس به (داروين) .

فليس في الناس على اختلاف اديانهم، من ينكر على من يقول (مثلا) أن فلانا قد ورث هذا الخلق عن أبيه أو ورث هذا الطول أو القصر عن جده أو أمه ، ولهذا فانه لا مجال (أيضا) للملحدين في ميدان قانون الوراثة الذي هو إحدى القواعد الأربع التي قامت عليها نظرية (داروين) .

ثم قلت له .. وهكذا يتضح لكل ذي عقل صحيح وتفكير سليم انه ليس للملحدين (من شيوعيين وغيرهم) أي سند علمي في نظرية (داروين) سوى المشاغبة والتزوير والمغالطة .

مذهب داروين لا ينقض الإيمان

قال السيد محمد فريد وجدي (٥٥) في كتابه (دائرة المعارف ج ٨ ص ٥٢٠) .

فليحد الماديون ما شاعوا أن يلحدوا ، ولكن حذار من أن يدّعوا أن مذهب (داروين) ينقض الإيمان ، وبزعزع العقائد ، ذلك المذهب الذي أساسه التسليم (بقوة الخالق التي خلقت الخلية أو الخلايا الأولية) حذار من أن يزعموا أن العلوم الطبيعية أقامت الدليل على نفي الخالق (سبحانه وتعالى) .

فهذه العلوم الطبيعية بين أيدينا ، وهؤلاء هم قادتها يصيحون بملء اشتدائهم أن علم الطبيعة يدل على الخالق ويقوي الإيمان به .

داروين بين الكفر والإيمان

فقال شاب آخر .. ولكن هل كان داروين ملحدًا وداعية الحاد ، أم أنه كان مؤمنًا ؟؟

فقلت له .. لقد تفرق العلماء والمفكرون ، حيال مذهب داروين إلى فرق ثلاث :

١ - فرقة حكمت بكفره والحاده دون أن تناقشه على الصعيد العلمي .

(٥٥) ترجمة محمد فريد وجدي

قال الزوكلي في الاعلام .. (هو) محمد فريد بن مصطفى وجدي .. مؤلف « دائرة المعارف » . من الكتاب الفضلاء الباحثين . ولد ونشأ بالإسكندرية . وأقام زمنا « في دمياط » وكان أبوه وكيل محافظ فيها . وانتقل معه إلى السويس ، فأصدر بها مجلة « الحياة » ونشر رسالة سماها « الفلسفة الحقّة في بدائع الاكوان » سنة ١٨٩٩ وكتب (تطبيق الديانة الاسلامية على نواحي المدنية) كتبه أولا باللغة الفرنسية وترجمه الى اللغة العربية بهذا الاسم ، وسماه في طبعه اخرى « مدنية الاسلام » . وسكن القاهرة ، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الاوقاف ، وأنشأ بعدها مطبعة أسد بها جريدة « الدستور » اليومية مدة ثم « الوجدييات » وهي فيه مجلة اسبوعية ونشر كتابه « دائرة معارف القرن الرابع عشر » العشرين في اجزاء متتابعة اكتملت في عشرة مجلدات ، ونشر من كتبه « ما وراء المادة » في جزأين ، و« مسفرة المرفان » وهو تفسير موجز للقرآن ، و« العديفة الفكرية في اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية » و « المرأة المسلمة » في الرد على « المرأة الجديدة » لقاسم أمين ، و « الاسلام في عصر العلم » مجلدان ، و « كنز العلوم واللغة » وهو من انفس الكتب ، و « على اطلال المذهب المادي » و « مجموعة الرسائل الفلسفية » و « نقد كتاب النضر الجاهلي لعنه حسين » وتولى تحرير مجلة (الزهر) نيفا وعشر سنين ، واعتزلها قبل وفاته بنحو عامين ، ولد عام ١٢٩٥ هـ وتوفي عام ١٣٧٢ هـ .

٢ - وفرقة لم ترض عن داروين واتهمته بائتفاق لتظاهره بعدم
الاحساد .

٣ - وفرقة تقول ان داروين لم يكن ملحدًا وانه كان مثبتا لوجود الله
ومعترفا بأن الخلق من صنعه .

✽ اما الفرقة الاولى التي حكمت بكفر داروين من زاوية نظريته فهي
تكون من اكثر القساوسة المسيحيين ، وهؤلاء جاء حكمهم بالكفر على داروين
باعتبار ان نظريته (جملة وتفصيلا) يؤدي الايمان بها الى انكار الاله الخالق،
سبحانه .

ولما كان داروين قد ظهر في اوروبا فان اعنف الحملات قد جاءت من
رجال الكنيسة الذين كانوا (عند ظهوره) في صراع مرير مع العلم .

هجوم الكنيسة على داروين

ومن الذين هاجموا داروين وحكموا بكفره والحاده في اوروبا ، اسقف
اكسفورد (وهو من اكابر علمائهم) فقد اعلن هذا الاسقف - في خطبة القاها
امام مجمع تقدم العلوم البريطانية - (٥٦) ان داروين ارتكب اشنع جريمة
حينما حاول ان يحدد مجد الله في فعل الخلق .

وقال الكاردينال (ماننغ) .. ان مذهب داروين هو فلسفة وحشية
تؤدي - عقلا - الى انكار الاله .

وقال الدكتور (به ري) كبير اساقفة ملبورن (في كتاب وضعه) ان
داروين يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية .

وقال المونسنيور (سه غور) في فرنسا ، عن مذهب داروين ، انه من
المذاهب المزدولة التي لا يؤيدها الا اخط النزعات واسفل المشاعر ، فابوها
الكفر وامها القلادة .

وفي المانيا اعلن بعض العلماء ان مذهب داروين يناقض كل فكرة
موجودة في الكتب المقدسة .

(٥٦) ومرة وثلاث اسقف اكسفورد هذا (في منتدى الجمعية البريطانية) خطيبا يهاجم
نظرية داروين ، وكان توماس هكسلي - الذي يعد اكثر الشباب تحمسا لنظرية داروين -
حاضرا في المنتدى فخطبه الاسقف قائلا (في سخرية) : اود ان اعرف يا سيد هكسلي ،
اين جددك ام جددك تدعى التحدر من سلالة القردة !! فوقف توماس هكسلي وسط الجماهير
وقد اومضت عيناه بلهب الغضب ، فرد على الاسقف قائلا .. اود ان اؤكد للجماهير الكريمين
باني لا اخجل من اثبات الراى القائل بكوني والقرد متحدرين من اصل واحد ، ولكن اذا كان
هناك لغة من جد اخجل من الانتساب اليه فهو رجل كاسقف اكسفورد ..

واعلن (لو تاردرت) استاذ اللاهوت في لايبزيغ (ان فكرة النشوء تناقض الحكمة الالهية مناقضة تامة ، وان فكرة الخلق ملك للدين لا للعلم الطبيعي ، وان كل الهيكل الاعلى للدين انما يقوم على مذهب الخلق) .

ودعا (لوتاردرت) علماء اللاهوت في سويسرا الى القيام بحرب صليبية ضد مذهب التطور والارتقاء الذي سماه بالمذهب الخطيء المفسد .

وقالت مجلة جامعة دبلن (ان داروين يبحث كيف يخلع الله عن عرشه) .

ووصف العلامة الدكتور قسطنطين جمس في كتابه (الداروينيزم او الانسان القردي) الذي نشر في باريس عام ١٨٧٧ ، مذهب داروين بأنه (اسطورة واضحكة) .

وقال الدكتور دوفيلد من الجامعة نفسها . . (ان التوفيق بين مذهب النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وان من يؤمن به (ولو ثبت علميا) يكون كافرا بالله) .

وقال الدكتور (لسي) انه لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تؤول لغة الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونعت داروين واتباعه بأنهم مشرو البلايع انقلدة .

وفي الكلية الامريكية في بيروت طرد الاساذة الذين ظهر انهم يقولون بمذهب داروين (٥٧) .

غير ان مما تجب الاشارة اليه والتنبيه عليه هو ان جميع مؤلفات داروين الخاصة يبحث التطور والارتقاء ليس فيها اي شيء يمكن تسميته دعوة الى الكفر او فلسفة هدفها انكار الخالق ، كما يدعي الشيوعيون الذين جعلوا نظرية داروين منطلقا لدعوتهم اللاحادية بين السطحين من المثقفين .

هجوم الملحدين على داروين

✽ اما الفرقة الثانية التي لم تعرض عن داروين، فهم الملاحدة الطبيعيون، فقد اتهم هؤلاء الملاحدة داروين بخيانة العلم ، وزعموا انه تناقض وتعلق رجال الدين ، عندما لم يعلن (صراحة) انكار وجود الاله الخالق ، بل ولانه اعلن براءته من تهمة اللاحاد التي وجهت اليه في اول حياته . وانه كان يرفض التفسير للحياة بأنها من صنع الطبيعة ، وانما يقول (كما نسب اليه) بان

(٥٧) انظر كتاب (قصة الايمان) ص ١٦٢ - ١٦٤ ط اولي .

الحياة وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، ولم يشأ أن يعلن انكار وجود الله كأساس لنظريته التي بناها من بعده الملاحدة وجعلوها أساسا لانكار وجود الخالق سبحانه وتعالى .

✳ اما الفرقة التي ترى ان داروين (مع قوله بالتطور والارتقاء) هو مؤمن بالله ، فهم كثيرون من الباحثين الدينيين (المسلمين منهم والمسيحيين) .

دفاع الاستاذ الجبر عن داروين

ومن العلماء المسلمين الذين نفوا عن داروين صفة الالحاد وقالوا انه مؤمن بوجود الله .. الاستاذ نديم الجبر والسلطان صالح بن غالب القعيطي ، والاستاذ محمد فريد وجدي .

اما الاستاذ نديم الجبر فقد صرح في كتابه (قصة الايمان) (٥٨) ان داروين لم يكن ملحدا وانما كان مؤمنا بالله تعالى ، ونسب اليه القول بأن الحياة (في الاصل) نفخت في الكائنات بقدرة الخالق العظيم .

ويقول الاستاذ الجبر ان ما اشيع عن داروين من القول بالتولد الذاتي ونفي الخالق هو افتراء على هذا العالم وبهتان .. ان داروين لا يتردد ابدا في الاعتراف بأن الله هو الخالق لاصل الانواع ، لان عقله لم يتسع لتصديق الراي القائل ان اصل الانواع تولد تولدا ذاتيا بنفسه .

دفاع السلطان القعيطي عن داروين

اما السلطان صالح بن غالب القعيطي فقد اثبت ايمان (داروين) بقوله .. ولم يبحث داروين في اصل الحياة بل قال ان الانواع كلها مشتقة من اصل واحد ، او اصول محدودة نفخ فيها الخالق روح الحياة ، فهو (اي داروين) يعتقد بانها استمدت الحياة من خالق خلقها ثم اخذت في التنوع لتقتضى نظرية سماها بالانتخاب الطبيعي (٥٩) .

اما الاستاذ محمد فريد وجدي فقد أكد ايمان داروين بقوله في دائرة المعارف ج ٨ ص ٥٠٣ :

قال العلامة داروين .. يجب التسليم بأنه توجد قوة مدبرة مظهرها الانتخاب الطبيعي ترأب دائما ما يحدث من العوارض على الطبقات الشفافة للعين لاجل ان تنتخب بعناية من تلك العوارض ما يستطيع في احوال مختلفة

(٥٨) ص ١٨٧ - ١٨٨ ط اولي .

(٥٩) ص ٦٩ ط اولي (الايات البيئات)

وبنوع ما ، ودرجة ما ، أن يميل لحدث صورة أكثر وضوحا ، ثم يقول الاستاذ وجدي مؤكداً إيمان داروين باللة .

من هنا يعلم القارىء أن داروين يرى أنه يجب التسليم بوجود قوة الهية ليستطاع تحليل انتخاب الطبيعة للصالح في تحويل الكائنات ، فمذهب داروين - فضلا عن أنه لا ينفي العقيدة بوجود الخالق فهو يوجيها إيجابا ، فكانها جزء من مذهبه ، ثم يختتم الاستاذ وجدي كلامه بقوله :

فما قيمة حجة الماديين بازاء هذا الاعتراف الصريح من داروين ، وبأي خيال استعاضوا عن هذه الحقيقة ؟ ! ها .

حقيقة داروين الدينية

ثم قلت للشباب المستفسر ، وهكذا فالعلماء والمفكرون تختلف نظرتهم الى داروين .
فقال .. والان وقد عرفنا الآراء المختلفة حول إيمان داروين وكفره ..
فما هو القول الفصل في حقيقة هذا العالم الذي أقعد الدنيا وأقامها بنظريته ، وما الذي ترجحه أنت من أقوال الفرقاء الثلاثة ؟ .

فقلت له .. أن الذي اتضح لي « على ضوء ما قمت به من دراسات لداروين ونظريته ومما قاله هو عن نفسه » هو أن داروين لم يجعل نظرية التطور والارتقاء أساسا للدعوة الى الاتحاد وانكار الخالق ، ولم يثبت أنه ناظر عالما او جادل مفكرا على هذا الأساس .

فداروين لم يقل كما قال (أرنست هيكلم) أن الحياة تولدت من المادة تولدا ذاتيا وبفعل الطبيعة ، ولم يعلن انكار الخالق صراحة (كأساس لنظريته) .
وكل ما قاله داروين عن الحياة أنها وجدت في البيئة المائية - بطريقة ما - أعلن جهله بهذه الطريقة كليا .

ليس داروين داعية الحاد

وهذا يعني أن داروين لم يكن داعية كفر والحاد (بمعنى كلمة داعية) بل أنه كان دائما يتجنب النقاش في هذا الموضوع ، ولم يثبت أنه كتف نفسه مهمة الرد على أحد من الذين اتهموه بالكفر والاتحاد ، بالرغم من تعرضه لاعتنف الهجمات من رجال الكنيسة وغيرهم .

غير أن الذي نستطيع أن نجزم به ، هو أن داروين كان في أول أمره معترفا بوجود الله ثم تردد وشك في وجود الله واعتنق مذهب (اللاادري) ثم

اتضح فيما بعد انه كان (في نفسه) ملحدا ، الا انه ما كان يستطيع او ما كان يريد اشغال وقته بالدفاع عن الالحاد والدعوة اليه ، ولهذا جاءت جميع بحوثه حول التطور والارتقاء خالية من اية دعوة الى الالحاد صريحة .

فقال الشاب المستفسر .. هل لديكم من اقوال داروين نفسه ما يثبت صحة ما نسبتموه اليه الآن ؟

فقلت له .. نعم .

فقد ذكر داروين في ختام كتابه عن اصل الانواع ، ان الانواع ترجع في اصولها الى بضعة انواع تفرعت على جرثومة الحياة التي انشأها الخالق (٦٠) . وهذا من داروين دليل على انه معترف بوجود الله (٦١) .

اقوال داروين المتناقضة

بل ان داروين كان ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد . فقد كتب مرة الى أحد أصدقائه يقول .. انه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع انه لا يعتقد ان نظريته تنفي وجود اله للكون (٦٢) .

ولكن بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد ، اذا بنا نجده في موضع آخر يعلن تردده في الاعتراف بوجود الله تعالى .

فقد كتب سنة ١٨٧٩ م الى المستر (فور دايس) صاحب كتاب (ملامح من الشكوكية) ، عندما سألته عن عقيدته الدينية ، كتب اليه يقول :

ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني أحدا غيري ، ولكنك سألني فأسمح لنفسي ان اقول انني متردد ، ولكنني في أقصى خطرات هذا التردد لم أكن قط ملحدا بالمعنى الذي يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله وأحسب ان وصف اللاادري يصدق علي في أكثر الاوقات - لا في جميعها - كلما تقدمت بي الأيام .

وقد كتب قبل ذلك .. سنة ١٨٧٣ م الى طالب هولندي سألته عن عقيدته الدينية فقال :

ان استحالة تصور هذا الكون العظيم العجيب وفي نفوسنا الشاعرة

(٦٠) مقالته المفكرين ص ٥٥ .

(٦١) وقال الأستاذ جورج حنا (وموقفه من الشيوعية معروف) قال في كتابه قصة

الانسان ص ٩ ان النظرية الداروينية لا تنفي وجود الخالق .

(٦٢) الانسان بين المادية والاسلام ص ٢٢ للأستاذ محمد قطب .

قائما على مجرّد المصادفة - هي في نظري اقوى البراهين على وجود الله ،
ولكنني لم استطع ان اقرر قيمة هذا البرهان .

ثم نراه يكتب الى الطالب نفسه فيقول انه لا يرى دليلا على الوحي
وان الايمان بالبعث متروك لكل من يشاء ان يتخذ له فيه معتقدا بين
المحتملات المتضاربة .

وفي خطاب ارسله داروين سنة ١٨٨١ م الى جراهام صاحب كتاب
(عقيدة العلم) قال فيه :

.. انك عبرت عن عقيدتي الباطنة .. ان الكون لم ينجم عن مصادفة ، ثم
عاد يتسائل ما قيمة هذه المصادفة في اثبات تحقيقها ؟.

غير ان كل هذه الكلمات التي نفي بها داروين عن نفسه تهمة الكفر
والالحاد ، قد دلت على ان الرجل لم يكن مؤمنا بالله ، وان اقل احواله انه
كان (ان ذاك) مترددا في هذا الايمان ، وقد يكون اكثر ميلا الى الالحاد ،
الا انه ما كان يستطيع ، او ما كان يريد الجهر به والدعوة اليه .

فانت ترى خطأ وازدواجا في كلامه ذاك ، بين التظاهر بعدم انكار
الخالق سبحانه وتعالى وبين الميل الى القول بانكاره .

فهو مثلا يقول انه لم يكن ملحدا ، ولكنه في الوقت نفسه يقول انه
متردد في الايمان بالله ، وان مذهب (اللادري) هو مذهبه .

وهل لكلمة (لا ادري) في مجال الايمان بالله ، من معنى سوى عدم
الايمان بالله ؟؟ .

ولكن داروين اذا كان لم يصّرح (في هذه الكلمات الغامضة المناقضة)
بالالحاد ، فانه اخذ آخر ايامه يزحف سريعا نحو اعلان الكفر والتصريح
بالالحاد .

كفر داروين آخر ايامه

نقد صبح عنه قوله .. لم اكن واثقا من اعتقادي بالله ، ولكنني واثق
نماما من اعتقادي بالانسان (٦٣) .
وتقل عنه انه قال ..

ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخال
عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحث (٦٤) ، وهذا من داروين

(٦٣) ميافرة العلم ص ٨٢ للاستاذ جورج سلسي .

(٦٤) الانسان بين المادية والاسلام ص ٢١ .

أشارة صريحة الى انه لا يرى ضرورة الايمان بالله ، ويعتبر الايمان بوجود الله (كضرورة لرعاية هذا الكون) تدخلا في شؤون الخلق لا مبرر له .

غير أن داروين قد ذهب الى أبعد من هذا حيث اعترف (صراحة) بالالحاد .

وقد جاء اعترافه هذا في خطاب وجهه الى صديقه (غراي) في جامعة هارفارد ، قال فيه : علني أن أخبرك - كرجل شريف - بأنني بلغت غاية الهرطقة والالحاد في قلبي انه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ، ولعلك ستحتقرني من أجل ذلك (٦٥) .

بل قد ندم داروين على تنصله من تهمة الكفر مجازاة للرأي العام ، فأعلن انه لا يؤمن بعناية الالهة .

قال الاستاذ يوسف كرم في كتابه (تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٣٦):

وقد كان (داروين) مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتابه (أصل الأنواع) الذي قال في ختامه أن الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئا فشيئا حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجازاة للرأي العام ، وصرح بأن الحياة نازلة من الألفاظ وأن ما في العالم من ألم يعدل بنا عن القول بعناية الالهة . اهـ .

فداروين (هنا) يتخذ من تعرض البشر للآلام دليلا على انكار وجود الاله خالق لهذا الكون .

ولعل أقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هي شهادة زوجته التي قالت بعد موته :

لا ريب عندي في أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه (٦٦) .

هكذا قالت زوجته وهي (دونما جدال أدري الناس به) وقد كانت على جانب كبير من الثقافة ، وهي لم تشهد على زوجها بالكفر (مع اخلاصها له وتفانيها في خدمته) الا لأنها علمت ذلك عنه علم اليقين ، لاسيما وأنها من المخلصين لدينها المتضلعين فيه .

ثم قلت للاخ المستفسر ، وهكذا يتضح أن داروين قد اجتاز في حياته ثلاث مراحل .. الايمان ثم الشك والتردد ، وأخيرا ، الكفر الصريح والالحاد

(٦٥) مباحرة العلم ص ١٧٦

(٦٦) مباحرة العلم ص ١٨٤

المكشوف .

فقال .. لقد اتضح لي الآن سر اختلاف الفرقاء الثلاثة في نظرتهم الى داروين من ناحية عقيدته الدينية وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .

فقد كان مؤمنا (وهذا في أول أمره) وهو ما حمل الفريق الثالث على نفي الإلحاد عن داروين ، ولعل هذا الفريق لم يطلع على ما صرح به داروين من كفر والحاد .

ثم صار شاككا متريدا ومصانما للرأي العام ، وهذا ما حمل الفريق الثاني على اتهامه بالنفاق .

ثم انتهى به الأمر الى الكفر الصريح والإلحاد المكشوف آخر أيامه ، وهذا الذي جعل الفريق الأول يحكم بالحاده ويدعو الى محاربة نظريته .

الفصل الثالث

- * خلق الحياة كما يراه داروين .
- * ابونا آدم بين القرآن والنظرية .
- * تحقيق القول في قصة تحدر الانسان من القرد .
- * القول الفصل في النظرية من وجهة نظر الاسلام .

موقف الاسلام من نظرية داروين

فقال شاب آخر من حاضري المناقشة :

والآن وقد عرفنا ما كنا نتوق الى معرفته من نظرية التطور والارتقاء ، وعن ايمان داروين والحادة ، فانا نتوق (بشغف) الى معرفة القول الفصل من ناحية الدين في جوهر نظرية التطور والارتقاء (من حيث وقائمه التي ذكرها) ، وهل فيما اشارت اليه هذه النظرية (من حيث تحول الانواع وتطورها وارتقاءها من ادنى الى أعلى) ما يخالف الدين أو يتنافى مع قدرة الله والايمان بوجوده ؟

قواعد النظرية والايمان بالله

فقلت له .. ان مراحل التطور والتحول والارتقاء التي اشار اليها الداروينيون (من حيث امكانها) ليس فيها ما يتنافى مع العقل أو يتصادم مع الدين أو يتعارض مع الايمان بوجود الله وقدرته ، لو أن هذه النظرية كانت حقيقة واقعة ، وأن الذين يقولون بها قالوا ، انها تتم بقدرة الله واراادته وتديره .

فليس مما يتنافى مع العقل أو الدين القول (مثلا) وجود الحياة في البيئة المائية (بقدرة الله) ثم تحويلها الى نباتات ضعيفة ثم تطويرها (تحت رعاية الله وتديره) الى حيوانات بدائية فحيوانات اكبر ريشية ومجنحة فحيوانات ذات فقرات فانسان كامل .

وما قصة تطور دودة مائية حقيرة الى انسان (بقدرة الله من حيث

الامكان) الا كقصة تطوير كمية من الطين اللازب الى انسان . فانه قادر على كل شيء .

فليس (اذن) مما يتنافى العقل او الدين القول (مثلا) ان النملة قد تحولت (بأمر الله وقدرته) الى فيل ، او تطور الذباب الى ديك ، او تحولت البعوضة وتدرجت الى نعامة ، او ان حيوانا (مئا) ترقى الى انسان بقدرة الله تعالى وارادته .

وعلى هذا فانه ليس في جوهر قواعد نظرية التطور والارتقاء التي ذكر داروين (من حيث الامكان) ما يتنافى مع العقل والدين .. لو ان وقائع هذه المراحل صحيحة ، وبموجبها (حقا) تم تكوين الانسان وخلق الحيوان .

نقال (اذن) انت لا ترى اي محذور من ناحية الدين ، في الايمان بنظرية التطور والارتقاء على النحو الذي فصله (داروين) .

فقلت له .. ليس على الاطلاق .

بل هناك في هذه النظرية امور يحتم علينا ديننا رفضها وعدم التسليم بها .

فبالرغم من ان قواعد نظرية داروين ليس فيها من حيث الجوهر ما يتعارض مع اصول الدين او قواعد الايمان بالله تعالى ، فان هناك في هذه النظرية عاملين اساسيين يحولان بيننا وبين التسليم بها .

الظن لا اليقين اساس نظرية داروين

العامل الاول ، هو ان هذه النظرية ليست من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل ، بل انها لا تزال باعتراف اقطابها (حتى هذه اللحظة) فرضا من القروض ، وظنا من الظنون .

والامور المبنية على الظن والافتراض (لا اليقين) قابلة لاعادة النظر بالتعديل او الالفاء .

وليس من مصلحة الانسان ولا مما يزيه ان يؤمن بفكرة او يتعصب لنظرية مهزوزة اساسها الظن والتخمين ، وقابلة لان ينفض اصحابها ايديهم منها عندما يفرض البحث التجريبي عليهم ذلك .

فنظرية التطور والارتقاء ، ما دام انها (باعتراف قطبها داروين) نظرية غير مقطوع بصحتها فانه لا يستبعد ان ياتي اليوم الذي يحكم فيه العلم بان

هذه النظرية خرافة من الخرافات (٦٧) وذلك كما حدث لكثير من النظريات المشابهة في عصور مختلفة .

فنحن نرى ان العلم ما يزال في طفولته وما يزال كل يوم يصل الى آفاق جديدة ، فيلغي الفناء تماما معلومات كان ينظر اليها بالامس على انها حقائق نهائية لا تقبل الجدل ولا تحتمل التأويل .

وليس العهد ببعيد حين قال (انشتين) (٦٨) ان قوانين نيوتن في الجاذبية لا تصلح للتطبيق الا على سطح الكرة الارضية ، ولكنها لا تصلح للكون الكبير ، فهي حقائق محلية صغيرة لا حقائق مطلقة ، وهي قابلة للنقض والتبديل حين تطبق على الاتساع .

(٦٧) ذكر الاستاذ محمد قطب في كتابه (الانسان بين المادية والاسلام) ان الصحف اخيرا ذكرت ان عالين امريكيين قد كشفوا في احد الكهوف آثارا من مخلفات الانسان الاول وان هذا الكشف سيؤدي الى نتائج مخالفة لنظرية داروين .

(٦٨) هو ألبرت انشتاين من اصل يهودي ولد في (اولم) وديربيرغ من أعمال النمسا ، وتلقى دراسته في جامعتي زوريخ ومونيخ ، وبعد تخرجه التحق بوظيفة في مكتب براءات الاختراع في مدينة (برن) بسويسرا ، تولى (انشتاين) منصب الاستاذية في جامعة زوريخ ثم في جامعة برلين ، ظهر الذكاء مبكرا على (انشتاين) كان انشتاين (كما قلنا) من اصل يهودي ، ولكن (بحكم وجوده في بلد مسيحي) فقد تلقى في المدرسة اصول الدين المسيحي ، وقد قاطع (انشتاين) هذه المدرسة ولم يعد اليها نهائيا ، وسبب ذلك انه بينما كان في الصف مع الطلاب (داخل المدرسة المسيحية) اذا بالعلم يقف اثناء الدرس ، ويسين اناطله مسمار غليظ ولم يلبث ان اندفع يروى للطلاب (في تأثر) كيف استشهد المسيح وصلب على أيدي أعدائه من اليهود وكيف غرّزوا في يديه ورجليه المسامير التي من طراز ذلك المسمار ، وهي القصة التي يزعمها المسيحيون وينفيها القرآن الكريم (وما صليوه ولكن شبه لهم) ولما كان الطلاب يعرفون ان (انشتاين) يهوديا فقد التفتوا اليه جميعا وحذجوه يميون ثم عن الحقد والكراهية ، وكأنه هو بنفسه قد صلب المسيح ، ولم يكن من انشتاين في تلك اللحظة الا ان غادر المدرسة الى الابد ، وكان هذا قبل ان يبلغ الخامسة عشر من عمره ، ثم اكب (انشتاين) على كتب كل من اقليدس وكوبر نيكوس ونيوتن وسبينوزا وديكارت ، حتى انهماكها ووعاها بذهن متوقد واع قبل ان يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وقد طار صيته (لا في ألمانيا وحدها) بل في العالم اجمع ، ففي عام ١٩١٥ اصدر رسالة ضمنها نظريته في الجاذبية ، فطارس صيته في انحاء العالم ، وكان (انشتاين) من انصار مذهب (اسحاق نيوتن) مكتشف الجاذبية المشهور في أوروبا ، وقد انفرد انشتاين بأبحاث طريقة في نظرية الكم ، في النشاط الذري ، وقد نال جائزة « نوبل » في الفيزياء عام ١٩٢١ ووسام (كوبلي) عام ١٩٢٥ كما انه برع في علم البصريات ، وهو صاحب النظرية المعروفة في النسبية ، نزع انشتاين عن ألمانيا عندما اشتدت وطأة النازية على اليهود فغادرها عام ١٩٣٣ الى اكسفورد بعد ان تخلى عن كرسي الاستاذية في جامعة برلين ، وبعد ذلك رحل الى أقطار العالم ، وعين اخيرا استاذ في جامعة (برنستون) بعد ان استقر في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي عام ١٩٥٠ أعلن نظريته في الكهرطيسية والجاذبية في سادلة واحدة ويقول الكثير ان انشتاين يعتبر اعظم رياضي انجبه العالم منذ كوبر نيكوس ، ولد (انشتاين) عام ١٨٧٩ ومات عام ١٩٥٥ .

واليوم تكشف أسرار الذرة فتنشأ حولها نظريات كثيرة في تفسير الكون والحياة كانت مجهولة من قبل ويبدو بجانبها بعض ما كان يسمى (نظريات علمية) أقرب إلى الخرافات والأساطير (٦٩) .

قصة خلق آدم كما تراها النظرية

أما العامل الثاني (وهو الأهم) فهو أن من مستلزمات الإيمان (بنظرية داروين) القول بأن الإنسان الأول (وهو أبونا آدم) كان ناقصاً في تكوينه العقلي والجسمي، لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

ذلك أن هذه النظرية تقول .. أن تكوين الإنسان بدأ بجرثومة صغيرة وجدت في البيئة المائية ثم تدرجت على مر آلاف السنين إلى حياة نباتية حول المستنقعات التي نبتت فيها هذه الحياة والتي تدرجت ارتقاء إلى حياة حيوانية بدائية فأكبر (ريشية ومجنحة) فحيوانات ذات فقرات فحيوان قريب من الإنسان فإنسان أول (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم) ترقى هذا الإنسان على مر الدهور حتى وصل إلى درجة الإنسان الحاضر الذي هو (في نظرية داروين نهاية سلسلة تلك التطورات) ..

والقول بأن أبانا آدم (الذي هو الإنسان الأول) لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم يترتب عليه نفي كل ما جاء في القرآن عن قصة آدم وحواء والجنة والملائكة وإبليس، ويجعل هذه القصة الصريحة الواضحة في القرآن خرافة من الخرافات .

لأنه لا يصح (في قضية العقل) أن يكون محور تلك القصة الخطيرة إنساناً لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

فالقرآن الكريم قد نص على أن الله تعالى قد جعل من هذا الإنسان الأول أبينا آدم خليفة في الأرض واصطفاه نبياً أوحى إليه بالامر والنهي، وأسكنه وزوجه الجنة، ونص على أن هذا الإنسان كان أرقى من الملائكة فهما وعلماً، فقال تعالى (في حق هذا الإنسان الأول) :

« إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض » « وقلنا يا آدم

اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم (٧٠) .

موضع التعارض

هذه هي قصة آدم وحواء والملائكة والجنة وابليس في القرآن ، التي لا تدع مجالا للشك في القول بان من مستلزمات الايمان بها التسليم بان قطب هذه القصة (الانسان الاول آدم) كان على غاية من كمال الجسم والعقل والفهم والادراك ، اذ مما يرفضه العقل ان يكون من لا يدرك ولا يعقل ولا يتكلم خليفة الله في ارضه يوحي اليه بالامر والنهي ، ويختصه بالعلم والمعرفة .

وتلك هي قصة آدم في نظرية التطور والارتقاء التي تقول ان ابانا آدم (الانسان الاول) كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

وبالمقارنة بين القصتين يتضح التعارض (جليا) بين القرآن وبين نظرية داروين .

ومن هنا صار محتما على كل مسلم رفض ما جاء في نظرية داروين بشأن قصة تكوين الانسان ، لان اقل ما في هذه النظرية من خطر على دين المؤمن بها هو ان الايمان بها فيه تكذيب صريح للقرآن ، نقطة هذا التكذيب الرئيسية ، هي قول نظرية داروين ان الانسان الاول (آدم) كان اشبه بالحيوان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، وهذا القول (كما قلنا) يلغي قصة آدم وحواء والجنة التي جاءت صريحة في القرآن الفاء تاما . وفي هذا ما يكفي للقطع بان الايمان بنظرية داروين يتناقض تماما مع الاسلام .

فقال الشيوعي (محاولا دس السم في الدسم) انه ليس من الانصاف انكار الحقائق التي ثررها العلم (كقصة الانسان في نظرية داروين) بحجة انها تتناقض مع نصوص القرآن ، وماذا يضير العلم اذا كان كتابكم يضيئ بالحقائق التي اكتشفها هذا العلم ، ثم اردف قائلا :

فالحقائق هي الحقائق لا بد من الاعتراف بها سواء جاءت موافقة لنصوص كتابكم او مخالفة له ، وما جاء عن تكوين الانسان في نظرية داروين هو من هذه الحقائق .

فقلت له ... لقد اخطاك التوفيق ، فمن الذي قال لك ان نظرية داروين هي من الحقائق التي اقترها العلم حتى تهذي هذا الهذيان ؟؟

اهو داروين الذي فارق هذه الدنيا وهو يكرر القول بأن نظريته لم تصل بعد الى درجة الحقائق التي لا تقبل الجدل ، ام انصار هذه النظرية من بعده الذين اجمعوا على ان نظرية التطور والارتقاء لا يمكن وصفها بأنها من الحقائق التي يقرها العلم ؟؟

ان نظرية داروين يا هذا .. لا تزال حتى هذه اللحظة (باعتراف اساطين العلم في العالم) ظنا من الظنون وفرضا من الفروض ، فاساسها الحدس وحيطانها التخمين ، ومن السفه والغباء ان نسلّم نحن المسلمين بالغاء قصة آدم وحواء والجنة المذكورة في القرآن ، الكتاب الخالد الذي حديثه اصدق حديث في الوجود والذي لم نجرب عليه (منذ انزله الله) حادثة واحدة تتناقض مع العقل او الواقع ، نعم من السفه بل ومن الكفر ان نسلّم بالغاء ما اثبتته هذا الكتاب الخالد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مقابل الايمان بمزاعم نظرية قامت على اساس من الظن والوهم والتخيل ، يصرّح اقباطها انفسهم بان قواعدها قابلة للتغيير والتبديل والتعديل لعدم ثبوتها قطعيا .

محاولة التوفيق بين النظرية والقرآن

نقال شاب ، تظهر عليه سيماء الذكاء وسعة الاطلاع مع ثقافة اسلامية عالية .

الا يمكن التوفيق بين قصة تكوين الانسان الصريحة في القرآن وقصة الجنة وآدم وحواء وابليس ، وبين نظرية داروين (على فرض صحتها) او بمباراة ادق ازالة التعارض بينهما فيما يختص بادوار التطور والارتقاء التي سبقت تكوين الانسان الكامل .. الا يمكن ازالة هذا التعارض بالقول ان كل ادوار التطور والارتقاء هذه التي اشار اليها داروين والتي انتهت بتكوين الانسان الكامل انما كانت قبل اينا آدم عليه السلام ، وان آدم هو الانسان الكامل الاول ، لا الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يتكلم ولا يدرك .

وان هذا الانسان الناقص التكوين انما جاء ضمن ادوار التطور التي افترض داروين وجودها والتي ابتدأت من الماء والطين وانتهت بان خلق الله بعدها آدم بنفخه فيه من روحه فاستوى انسانا كاملا ، وان آدم هذا (اذا صحه نظرية داروين) هو آخر سلسلة تلك التطورات التي (ان صحت وقائعا) لا شك انها قد حدثت بقدرة الله ولحكمة ارادها ؟؟؟

هل خلق الله آتاسا قبل آدم ؟

ثم اردف قائلا .. وذلك باعتبار انه من الجائز (عقلا وشرعا) ان يكون الله تعالى قد خلق (قبل آينا آدم) انواعا من الانسان كانت اقل في التكوين من آينا آدم تدرجت في التكوين (ارتقاء بقدره الله تعالى) حتى كانت نهاية ذلك الارتقاء والتطور آبانا آدم الذي نفخ الله فيه من روحه ٤٤ .

ثم عقب على ذلك بقوله :

اذا ما ثبتت نظرية داروين (علميا) ، فاني ارجح القول الذي اشتر اليه آتفا ، لاسيما وان بعض الاسلاميين قد قالوا بان هناك انواعا من الانسان كانت موجودة قبل آينا آدم عليه السلام (٧١) .

ثم اردف حديثه قائلا :

ان نظرية داروين (بالنسبة لمراحل تكوين الانسان) يمكن بل يجب حملها على هذا الحمل (اذا ما صحت) لاسيما وان داروين (نفسه) لم يقل صراحة ان الانسان الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو (قطعاً) آبونا آدم بالذات ، كما ان داروين ايضا لم ينف (قط) ان مصدر الانسان هو الطين ، بل لقد جاء في وقائع نظريته ما يشير صراحة الى ان مصدر الانسان الاول كان الطين .

فقد صرح داروين بان الحياة (حياة كل الكائنات من حيوان وانسان ونبات) وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، لا يعرف احد من البشر (حتى الآن كيف وجدت) وان مصدر الانسان الارض التي اثبت الله حياته فيها حول المستنقعات ، وقد جاء هذا القول صريحا عن داروين في آخر كتابه (اصل الانواع) .

ثم قال الشاب الذكي :

(٧١) جاء في تفسير الامام الفخر الرازي (سورة الانسان) ج ١٩ ص ١٧٦ انه قد نقل في كتب الشيعة عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام انه قال .. لقد انقضى قبل آدم (الذي هو آبونا) الف الف آدم او اكثر ، ولم يمتري الامام الرازي (وهو العالم الطبيعي الطبيب المنضلع المشهور) على هذا النقل ، بل عقب على هذا النقل بما يشعر استسلفته له وجواز حدوته بقوله .. واقول .. هذا (اي وجود انواع من الانسان قبل آينا آدم) لا يقدر في حدوث العالم ، بل الامر كيف كان . فلا بد من الانتباه الى انسان اول ، هو اول الناس ، واما ان ذلك الانسان (الاول) هو آبونا آدم فلا طريق الى ابياته الا من جهة السمع ، ويقول الامام الرازي هذا يستأنس (اذا ما صحت نظرية التطور علميا) بان الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو (قطعاً) ليس آينا آدم عليه السلام . وانما هو من انواع الانسان التي خلقت قبل آينا آدم كما ذكر عن الامام الباقر عليه السلام .

وعلى هذا فان نظرية داروين هذه لا يمكن (على ما اعتقد) وصف
القاتل بها انه قد كذب القرآن بما دام انه يعتقد ان كل ادوار التطور والارتقاء
التي ذكر داروين قد تمت بقدره الله وارادته .

بل اعتقد ان قول داروين ان العلم الطبيعي قد رجح لديه القول بان
الماء كان مصدر حياة كل حي وان الحياة الاولى قد نبتت من الارض حول
المستنقعات هو حجة علمية جديدة للمؤمنين على الملحدن .

ذلك ان القرآن الكريم قد أعلن منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا بان الماء
هو مصدر كل الحياة ، وان الله تعالى قد أنبت الانسان من الارض .

فقد قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي (٧٢) » وقال تعالى :
« وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » (٧٣)
وقال تعالى : « وخلق كل دابة من ماء » (٧٤) . والانسان من جملة الدواب

فهذه نصوص صريحة تثبت (دونما اي جدال) ان الله قد جعل الماء
مصدر كل كائن حي ، انسانا كان هذا الحي أم حيوانا أم نباتا .

وهكذا فان داروين (اذا ما صح يقينا انه قال ان الحياة الاولى
وجدت في البيئة المائية اول ما وجدت) يكون قد أرسى احدى القواعد
الصحيحة لنظريته .

قال تعالى - « والله انبتكم من الارض نباتا » (٧٥) ، وقال تعالى
- « فاستفتحهم اهم اشد خلقا أم من خلقنا ، انا خلقناهم من طين لازب » - (٧٦)
وقال جل وعلا « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون » (٧٧)

ثم عقب الشاب الذكي على هذه الآيات الكريمة بقوله :

وهذه أيضا نصوص صريحة تثبت ان الله تعالى قد أنبت الانسان من
الارض ، وان مصدر اصل هذا الانسان كان الطين اللازب ، والطين اللازب
هو الرطب اللزج ، والطين لا يكون لزجا الا اذا كان ممزوجا بماء ، كما تثبت
أيضا ان الله قد أوجد الانسان من صلصال من حمأ، والحمأ هو الشيء الممتن
الذي لا يكون (غالبا) الا من امتزاج الماء بالطين لمدة طويلة في المستنقعات .

(٧٢) الانبياء ٢٠

(٧٣) الفرقان ٥٤

(٧٤) النور ٤٥

(٧٥) نوح ١٧

(٧٦) الصافات ١١

(٧٧) الحجر ٢٦

ثم اردف قائلا :

وهكذا فان داروين « اذا ما صحَّ يقينا انه قال ، ان الحياة الاولى قد وجدت في البيئة المائية وان الانسان كان مصدره الارض التي كانت حول المستنقعات » فانه يكون قد ارسى احدى القواعد الصحيحة لنظريته ، وانه في الامكان القول (على الاقل) بان القول بنظرية داروين ليس فيه ما يتنافى مع نصوص القرآن الصريحة في خلق الانسان ومصدر تكوينه ، اذا ما اعتقد القائل ان كل شيء قد تمَّ بقدره الله وارادته . وان جميع ادوار التطور والارتقاء (قبل خلق الانسان الكامل) قد جاءت قبل خلق آيينا آدم ، الذي لا نشك لحظة في انه الانسان الاول الكامل . وذلك لتصریح القرآن الكريم بذلك تصریحا لا يحتمل اي تاويل آخر .

وبهذا نكون قد فسحنا المجال لمن تركز في ذهنه من الشباب المنتسب الى الاسلام ترجيح القول بنظرية التطور والارتقاء ، ان يقول بها دون ان يؤثر ذلك على عقيدته في الله او كتابه او دينه .

وبعد ان انتهى هذا الشاب الذكي فعلا ، من بحثه المجيب هذا ، او (على الاصح) فلسفته الدقيقة ، قلت له :

يظهر لي انه يصعب عليك التخلي (كليا) عن تصديق نظرية التطور والارتقاء ، فأوغلت (كسلم يحرس على سلامة دينه) في ميدان التقدير والافتراض والاحتمال .

فقال .. كلا .. انني بعد التحقيق الذي سمعته منك حول هذه النظرية تأكد لدي ان نظرية داروين هي مجرد دعوى ينقصها الدليل العلمي والحسي الذي بدونه لا يمكن رفع هذه النظرية الى مرتبة الحقائق الواقعة التي لا تقبل النقاش او اعادة النظر .

ولهذا فانا لست ممن يؤمنون بنظرية داروين (على انها حقيقة واقعة) فاقول احوالها عندي انها محل شك عظيم ، ما دام ان انصارها انفسهم يصرون دائما ، بانها انما قامت على الغرض والتقدير والاحتمال ، وان ارقى احوال هذه النظرية عندي انها (من حيث جوهرها) جائزة الوقوع .

ثم اردف قائلا :

ولكن قصدي مما اشرت اليه من فروض واحتمالات تجعلنا بمنأى عن انكار هذه النظرية ، اذا ما ثبتت علميا ، هو ان نبرهن للذين يهتمون هذا الدين بالتحجر ومحاربة العلم والتقدم وضيق الذهنية ان هذه النظرية (اذا صحت) لا تضيق بها الذهنية الاسلامية ، ولثلا نجعل لهؤلاء الملحدين اي متكا في هذه النظرية ينطلقون منه بشكوكهم الكفرية بين الشباب الساذج

في حقول الثقافة .

لأننا عندما نقول لهم .. نعم نحن نؤمن بنظرية التطور والارتقاء اذا كانت قد حدثت (فعلا) ، لأنه ليس في وقائعها التطورية (من حيث الامكان) ما يتنافى مع قدرة الله تعالى أو يتعارض مع الاسلام ، فهذا الدين دائما هو دين العلم والواقع وليس فيه أي شيء من التناقضات التي يرفضها العقل .

ثم أردف قائلا .. اننا اذا حملنا نظرية التطور والارتقاء على هذا المحمل الذي لا يوجد هناك (لا من الناحية العقلية ولا العلمية والدينية) ما يمنعنا من حملها عليه (اذا ما صحت) فانا نكون قد أفسحنا الطريق أمام الشباب المسلم المثقف الذي استساغ عقله القول بهذه النظرية ، ليقول بها دون أن يكون في موضع المكذب للقرآن والناكر لقصة آدم وحواء وإبليس والجنة التي جاءت صريحة في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

فقلت له .. حقا انه لخيال شاعر رحب الذي أوحى اليك بفرض مثل هذه الاحتمالات والتأويلات والتسلح في ميدان الجدل بمثل هذه التقديرات التي تقصد بها (ولا شك) الدفاع الصادق عن سمة ذهنية ديننا القويم والاخذ بناصر الشباب المثقف لئلا يقع في برائن الالحاد عن طريق الايمان بنظرية التطور والارتقاء على الصورة التي يلقنهم اياها سماسرة الكفر ودعاة الالحاد ومع تقديرنا واحترامنا لبحثك الواسع الدقيق المركز هذا ، فان جوهر هذا البحث الذي ذكرت لا يخرج بنا عن دائرة الفرض والاحتمال والتأويل .

فقال .. انني معك فيما تقول ، ولكن ماذا علينا اذا ما افترضنا وقدرنا واولنا بما يتفق ونصوص كتابنا العظيم ما دام ان هذا الافتراض والاحتمال والتأويل مقبول شرعا وعقلا، وما دام ان جوهر بحث نظرية التطور والارتقاء التي اقامت الدنيا واقعدتها ، نفسها لم تخرج (بعد) عن نطاق الفرض والحدس والتقدير ، ثم اردف قائلا :

والآن فاني احب ان اسمع كلمتك الاخيرة فيما استمعت اليه مني الان .

فقلت له .. انك بهذا الاحتمال والتأويل والتقدير قد جرّدت (في براعة) نظرية التطور والارتقاء من أهم اجنحة الضلال الرئيسية وجعلتها في منزلة المسموعات من الاخبار والانباء التي تحمل الصحة والبطلان، والتي لا لوم على ما استساغها عقله فصدقها ولا تشرب على من لم يقنع بها فانكرها ، او في مرتبة الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب حتى تثبت صحتها ، والتي من الجائز ان تكون قد حدثت وان لا تكون قد حدثت واذا ما سلّم انصار نظرية التطور والارتقاء ودعائها بما فصلته لنا سابقا ، وبه

ازلت التعارض بين قصة تكوين الانسان في القرآن وبين قصته في وقائع نظرية داروين فان عنصر تكذيب القرآن في نظرية التطور والارتقاء يتلشى ويحل محله عنصر التقارب او عدم التعارض على الاقل .

فقال .. سلموا او لم يسلموا ، فان نظرية التطور والارتقاء اذا ما اصبحت (في يوم من الايام) حقيقة واقعة فانها لا بد وان تكون (قطعا) قد تمت ادوار التطور فيها على النحو الذي ذكرنا ، لاننا واثقون ثقة لا يتطرق اليها ادنى شك من انه لا يمكن ان يتنافى حرف واحد في القرآن مع اية حقيقة كونية واحدة .

ثم انه من السفه ان يلغى الانسان قصة آدم وحواء والملائكة والجنة وابليس التي جاءت صريحة في القرآن ، لمجرد افتراضات واحتمالات ، افتراضها وقد رها دعاء نظرية ، اصحابها انفسهم غير واثقين من انها قد بلغت مرتبة الحقائق البديهية الثابتة .

كما انه ليس من الحصافة في شيء ، ولا من مصلحة الاسلام ان ننفي (باسمه) كل ما ذكره العلماء القائلون بهذه النظرية عن الوقائع التي ذكروا انها قد حدثت لانه من الجائز ان تكون قد حدثت فعلا .

وعلى هذا فانه لا بد (من الوجهة الاسلامية) ان يكون موقفنا من هذه النظرية هو ذلك الموقف المعتدل المعقول (شرعا وعقلا) والذي يتلخص في القول بان الانسان الكامل الاول (قطعا) هو ابونا آدم ، وانه اذا كانت هناك انواع من الانسان كانت (كما يزعم داروين) ناقصة التكوين العضوي والعقلي وانها ابتدأت بانسان اول لا يعقل ولا يتكلم ولا يدرك ، فان هذه الانواع تكون (قطعا) قد خلقها الله وورثاها (طيلة تلك الادوار التي فصلها داروين في نظريته) قبل ان يخلق ابانا آدم ، لاسيما وان بعض المسلمين (كما قلنا) قد نقل عنهم بان هناك اجيالا من بني الانسان قد خلقها الله وافناها قبل اينسا آدم .

يضاف الى هذا (وهو الاهم) ان القول باحتمال وجود انواع من الانسان قبل اينسا آدم ليس فيه ما يتنافى مع العقل او يتصادم مع اي نص في القرآن .

قلت له .. ولكن داروين لم يذكر في كتبه ان الانسان الناقص التكوين كان قبل اينسا آدم ، ولم يذكر ان الانسان الكامل الاول هو ابونا آدم ، حتى نحمل نظريته على الحمل الذي ذكرت .

داروين والانسان الاول

فقال .. حقا ان داروين لم يذكر هذا لان وسائل علمه التي بنى عليها

نظرية التطور والارتقاء ليس في مقدورها ولا من اختصاصها ان تحقق له ما اذا كان ابونا آدم هو الانسان الكامل الاول ام لا .

لانه (كعالم طبيعي) انما يبحث فقط في نظريته عن اصل الانواع الحية وتطورها وتسلسلها ، وما كان يهيمه اثناء بحوثه هذه (لا من قريب ولا من بعيد) تحقيق هذا او عدم تحقيقه .

ثم قال . . واذا كان داروين لم يذكر ذلك ، فانه ايضا لم يصرح بان الانسان الذي انتهت به التطورات من حيوان الى انسان اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، هو ابونا آدم بالذات .

مناقشة الجناح اللاحدي :

وعلى هذا فانه ليس هناك ما يمنع من حمل الامر على المحمل الذي ذكرنا ، لا سيما وأنه ليس في استطاعة الجناح اللاحدي من انصار نظرية التطور والارتقاء ان يعارضوا (باسم هذه النظرية علميا) في امكان حدوث هذا الامر الذي ذكرنا .

واذا ما قال لنا هذا الجناح اللاحدي انكم لا تستطيعون ان تثبتوا (علميا) ان الانسان الكامل الاول هو ابونا آدم ، وان الانسان الغير كامل الذي تحدثت عنه نظرية التطور والارتقاء قد جاء قبل ابينا آدم ، فان ردنا عليهم سيكون بنفس المنطق الذي خاطبونا به ، وهو أنهم (هم ايضا) لا يستطيعون ان يؤكدوا (علميا) بطلان قولنا هذا ، لان نظريتهم التي هي مجال الاختلاط والرد لم يستطيعوا (حتى هذه اللحظة) ان يؤكدوا ثبوتها علميا .

وعلى هذا وما دام ان الامر لا يزال (في كل مجالاته) قيد الفرض والتقدير والاحتمال ، فانا سنبقى مع نصوص كتابنا الصريحة فيما يتعلق بقصة تكوين الانسان وقصة آدم وحواء والجنة وابليس .

موقفنا من النظرية

اما حكاية التطور والارتقاء (كما يحكيها داروين) فانه يجب ان نقف منها موقف التحفظ من الوجهة الدينية ، بحيث لا نتسرع في اصدار أي حكم عليها (باسم الدين) لا بنفي ولا اثبات ، لانه ليس من طبيعة رسالة الاسلام ان يفصل في مثل هذه النظريات الكونية التي لم يأت للتحدث بالتفصيل عنها .

واذا ما صحت هذه النظرية علميا ووصلت الى درجة الحقائق التي في مرتبة البديهيات وهذا ما استبعدناه - فانا نكون (بالتزام الرأي الذي قلنا انه يجب علينا اتباعه حيال هذه النظرية من ناحية الاسلام) قد سلكنا الطريق

القويم وثاينا بديننا عن مواطن التشكيك والاثهام .

رأي آخر للتوفيق بين القرآن والنظرية

وهنا طلب شاب آخر الكلمة فقال :

ولماذا لا نقول (بدلا من هذا كله) انه اذا كانت نظرية داروين صحيحة فانه من المحتمل جدا ، ان تكون جميع انواع الانسان التي ذكر داروين انها كانت ناقصة التكوين قد انقرضت انقرضا كلياً ، وأن الله تعالى قد خلق الانسان الكامل خلقا جديدا مستقلا من الطين ابتداءً بأبينا آدم ، وبما أن هذا محتمل أن يكون الله تعالى قد فعله فاني أرجح (اذا ما صحت نظرية داروين) أن يكون الامر قد حدث على هذا النحو .

وعلى هذا القول يمكن ازالة التعارض بين قصة تكوين الانسان وقصة آدم وحواء في القرآن وبين نظرية التطور والارتقاء (على فرض انها صحيحة) لا سيما وأن داروين لم يجزم في شيء من كتبه بأن نوع الانسان الناقص لم ينقرض انقرضا كلياً بدليل انه لم يستطع العثور في بحونه الجيولوجية وحفرياته على الانسان الناقص الاخير الذي تطوّر عنه وتولد منه الانسان الكامل الاول (كما يزعم في نظريته الفرضية) .

تقال الشاب الذكي ..

ان هذا (أيضا) جائز أن يكون قد حدث لأن الله قادر على كل شيء ، وعلى العموم ، وبما أن عمدة نظرية التطور والارتقاء (داروين) قد اعترف بأن مصدر الانسان (كل الانسان الطين والماء . واعترف بأن أصل الحياة قد نفخ بقدره الخالق تعالى ، كما اثبتنا ذلك عنه) فاني لا ارى في القول بنظرية داروين (فيما يتعلق بقصة الانسان من جميع نواحيها) ما يتعارض صراحة مع شيء من نصوص القرآن ، سواء رجحنا القول بأن الانسان الناقص في التكوين المترقى عن الحيوان ، قد انقرض انقرضا كلياً ، أم أن انواعا بقيت منه تترقى (بقدره الخالق) حتى انتهت بخلق الانسان الكامل الاول (أبينا آدم) لأن كلا من الامرين محتمل وقوعه بقدره الله سبحانه وتعالى .

فقلت للشاب الذكي .. ولكن هناك من يحتج على بطلان نظرية التطور والارتقاء بأن القرآن لم يتحدث (بالتفصيل) عن هذه الادوار التي يقول داروين انها مرت بالانسان (من حيوان بسيط نبت في المستنقعات حتى انسان كامل) وهذا يعني انه لا يمكن الا تكذيب هذه النظرية تكديبا قاطعا .

لأن هذه الادوار لو كانت قد مرت بالانسان فعلا لفصلها لنا القرآن

عند تحدّثه إلينا عن قصة تكوين الإنسان . هكذا يقول البعض .

موقف القرآن من المكتشفات الحديثة

فقال . . ان نظرية داروين نظرية علمية فرضية تجريبية ، اساسها الفرض والتقدير لا القطع والتأكيد ، وكل نظرية هذا شأنها ، فهي قابلة للصحة والبطلان ، من الناحية الكونية .

وعدم تحدّث القرآن إلينا (بالتفصيل) عن هذه الاطوار التي ذكر داروين ، لا ينفي ان تكون هذه الاطوار قد مرّت بالانسان .

لان عدم تحدّث القرآن (بالتفصيل) عن حوادث كونية قيل انها حدثت لا يمكن اعتباره (في نظر الإسلام من الناحية الاصولية) دليلا على ان هذه الحوادث لم تحدث ، ولو سلك المسلمون (ازاء دينهم هذا المسلك) فقالوا . . ان ما لم يتحدّث عنه القرآن بالتفصيل ، مما يقوله الباحثون العصريون ، من الطبيعيين والاطباء وغيرهم ، مما اكتشفوه من أمور كونية في الانسان والحيوان والنبات والجماد ، كالدورة الدموية وكون اصل الانسان عند تكوينه حيوانا منويا وانه يتكوّن من الحديد والطين والملح والسكر والماء والدهن والتراب الى غير ذلك مما لم يكن يعرفه الناس قبلهم ولم يتحدّث عنه القرآن . . نعم لو ان المسلمين سلكوا ازاء دينهم هذا المسلك ، وقالوا هذا القول ، لاساءوا الى دينهم ابلغ اساءة ، لانهم بهذا القول ينتفرون الناس من الإسلام ويزهدونهم فيه ، اذ يكذبون (باسمه) حقائق واقعة مشهودة لم يكذبها هو ولم يأت ذكرها (صراحة) في اي نص من نصوصه ، فيضعونه بذلك (ظلما) في مرتبة المحارب للعلم والمعرفة والتقدم .

ليس هذا من طبيعة رسالة الإسلام

ذلك ان التحدّث (بالتفصيل) عن كل ما يقع من حوادث الخلق والتكوين والتطور ليس من طبيعة رسالة القرآن ، فالقرآن انما جاء (في الدرجة الاولى) لهداية الخلق ليعرفوا ربهم فيعبدوه ، ثم لاصلاح دنياهم والاخذ بيدهم ليعملوا بما يضمن لهم سعادتهم في الدار الآخرة .

ولهذا ، فان القرآن عندما يتحدّث عن الامور الكونية انما يتحدّث عن الامور التي في مرتبة البهامة كنظام الشمس والقمر والحيوان والانسان والنبات وغير ذلك من حوادث الخلق والتكوين ووضع سننها الثابتة المشهودة المحيرة للمعقول ، وذلك ليشير انتباه العقلاء ليتفكروا في هذا كله فيصلوا (عن طريق هذا التفكير ختما) الى الاعتراف بوجود خالق مدبّر لهذا الكسوس فيعبدوه على بصيرة بعد ان يعرفوه عن علم وتفكر .

ومن هنا يتضح انه ليس من مهمة القرآن ولا من طبيعة رسالته ، ان يتحدث بالتفصيل عن كل جلية ودقيقة مما حدث او يحدث من أمور الخلق والتكوين وحوادث الابداء والافناء والتطور والانشاء والتنوع والتحول .

ليس ذلك من مصلحة الاسلام

ثم اردف قائلا ..

ولهذا فانه ليس من مصلحة الاسلام ان نرج به في هذا المترك العلمي التجريبي الذي تصيب فيه نظريات وتخطيء أخرى ، فننفي (باسم هذا الدين) كل خبر من اخبار الخلق والتكوين القابلة للصحة والبطلان لم يات تفصيله في القرآن ، لا سيما وان كثيرا من هذه الاخبار والمعلومات التي لم يات ذكر لها في القرآن قد أصبحت لدى الجميع في درجة الحقائق البديهية التي لا تقبل الجدل .

وخير حل لمن يرفض مثل نظرية التطور والارتقاء (القابلة للصحة والبطلان) ان لا يكذبها باسم الدين ، وانما اذا اراد تكذيبها ان يفعل ذلك باسمه شخصا ، فان من حقه ان يفعل ذلك ، ولكن ليس من حقه ان يفعل ذلك باسم الاسلام .. (٧٨)

واذا ما بلغت نظرية داروين (التي هي محل شك عظيم حتى هذه اللحظة) درجة اليقين ، وهذا ما لا اعتقده فانا نكون قد ثابنا بديننا عن مواطن الشك والاثهام .

نعم لو كان القرآن قد حددنا ان وقائع نظرية داروين التطورية لم تحدث ، لانكرناها ولكذبناها باسم الاسلام ، ولكفرنا بها حتى ولو قال بها الناس اجمعون ، لاننا واثقون ان كتاب الله تعالى (الذي لا ياتيه الباطل من

(٧٨) قال الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (الفلسفة القرآنية ص ١٨٢) والذين اتكروا مذهب التطور ، يحق لهم ان ينكروه من عند انفسهم لانهم لم يعطشوا الى براهيته ودعاواه ، ولكنهم لا يجوز لهم ان ينكروه استنادا الى القرآن الكريم ، لانهم لا يملكون ان يفسروا خلق السلالة الادمية من الطين على نحو واحد بمنعون ما عداه ، وكل ما يجوز لهم ان يوجبوا الايمان بان الله تعالى سوى الطين ويطعن فيه روح الحياة ، فصنع منه السلالة التي نشأ منها آدم عليه السلام ، فاما ان يحتموا كيفية التسوية وكيفية النفع وكيفية خلق السلالة والزمن الذي خلقت ، فهو ادعاء على القرآن لا يقبل منهم على وجه من وجوه الشك او وجوه الاثبات ، ويجوز ان يكون مذهب التطور مذهبا ناقصا في تطبيقه على الحياة وعلى الكائنات العضوية ، وخاصة في قول انيابه بتحول الانواع ، ولكن لا يجوز ان نقسم الايات القرآنية في انكار النشوء والتطور ، فان انكاره اخطر من انكار القائلين بتكفير الفلكيين لانهم ذهبوا الى استدارة الارض ودورانها حول الشمس في الفضاء .

بين يديه ولا من خلفه) لا يقول الا حقا ولا يخبر بغير الواقع .

وهنا قال شاب آخر (في شيء من الاستنكار) :

كيف تقولون هذا .. ان ما قاله هذا الاخ (يعني الشاب الذكي) انما هو تحايل للانتصار لنظرية داروين التي على ما يظهر يصعب عليه تكذيبها ، ثم اردف قائلا :

ان التعارض بين هذه النظرية الضالّة ما يزال قائما ، اذ كيف يمكن التوفيق بين هذه النظرية التي تقول ان الانسان بدأ بدودة صغيرة او ميكروب ضئيل حول المستنقعات وانتهى بانسان كامل بعد ان تطور وتحول وارتقى من حيوان الى آخر عدة مرات وفي عصور مختلفة ، وبين تصريح القرآن بان الانسان خلق مباشرة من طين ، فنحصر التكذيب للقرآن (اذن) لا يزال قائما في القول بنظرية داروين ، يضاف الى هذا كله ، ان داروين نفسه كافر ملحد ٢٢ .

وهنا التفت الى صاحبي الشاب الذكي (كالمتمسك) وقلت له ، هيا اجب ايها الذكي :

فقال (في هدوء واتزان) .. انني كما قلت لكم لست ممن يؤمنون بنظرية التطور والارتقاء ، وان هذا الذي قلته من احتمالات وتاويلات (ممكنة شرعا وعقلا) ، لا اقصد به الدفاع عن نظرية التطور والارتقاء ، وكيف اذاع عن نظرية ، انا مؤمن في قرارة نفسي بانها لا تزال فرضا من الفروض ، وانها (حتى عند قطبها داروين نفسه) لم تبلغ درجة الحقائق الثابتة . ٢٢

ولكن الذي اقصده من كل ما قلته هو الدفاع الى ابعد الحدود عن سعة ذهنية الاسلام وانه لا يتعارض مع الحقائق قطعا ، اذا ما اتضحت . اما ما اشار اليه الاخ المعترض من ان عنصر التكذيب للقرآن لا يزال قائما في القول بنظرية داروين لتصریح القرآن ان الانسان خلق من طين مباشرة ، فالجواب عليه هو :

ان كل ما اشار اليه القرآن صراحة (في ناحية تكوين الانسان) هو ان الله تعالى قد خلق الانسان من طين ، اي ان مصدر تكوين الانسان هو الطين ، وهذا ما لم ينغه داروين في اي كتاب من كتبه ، وما لم ينغه الانسان لا يمكن ادانته بانه قد كذبه .

هل مرت اطوار بالانسان قبل اكمال خلقه ؟

اما التصريح في القرآن بان الله تعالى قد خلق الانسان من طين فانه

لا ينبغي ان تكون هناك اطوار قد مرت بهذا الانسان ، قبل ان يكون انسانا كاملا ، بل لقد اشار القرآن الكريم الى هذا بقوله : (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٧٩) و(هل) هتا بمعنى (قد) .

وهذا يعني صراحة ان الانسان قد مرت به (بعد ايجاد اصله) اطوار قبل ان يسويه الله انسانا كاملا . ثم اردف قائلا ، اما كيف مرت هذه الاطوار فهذا ما لم يتعرض له القرآن بالتفصيل ، وبلاستناد الى هذا النص القرآني الصريح ، فانه لقائل ان يقول انه لا يستبعد ان تكون الازمان التي مرت على الانسان وهو فيها ليس شيئا مذكورا هي الازمان التي مر بها مبتدئا بجرثومة صغيرة نبتت في المستنقعات ثم حيوان صغير نبت في الارض حول المستنقعات ثم ترقى بقدرة الله وارادته حتى وصل الى انسان كامل كما تقول نظرية داروين ، وماذا على دين القائل بهذا من خطر ما دام انه يعتقد ان كل ذلك قد تم بقدرة الله تعالى وتديره ؟؟

ليس الانسان يمر بمثل هذه الاطوار عند تكوينه حتى هذه اللحظة ، فان الانسان في الرحم اول ما يتكون يتكون من ميكروب ضعيف (حيوان منوي) لا يكاد يرى الا بأكبر المجاهر ، ثم يتطور الى شكل علقية ، ثم يتطور من شكل علقية الى مضغة على شكل سمكة ، ثم يترقى من شكل سمكة الى شكل عصغور حتى يصل الى درجة انسان ؟

ثم ان القول بان الانسان الاول جاء نتيجة تسلسل انواع من الاحياء بعضها من بعض لا يتنافى مع الاعتقاد بوجود الخالق ، بل على العكس في انقول بان الله قد فعل ذلك ، وكما اشار داروين (اذا ما صحت نظريته) اكبر دليل على حكمة الخالق وعظم قدرته سبحانه وتعالى .

داروين لا ينفي خلق الانسان من الطين

ثم اردف قائلا ..

واما قول الاخ المعارض ان القرآن قد صرح بان الله قد خلق الانسان من طين ، فالجواب عليه ، ان هذا التصريح لا يعني (بللتأكد) ان الله قد خلق هذا الانسان من الطين خلقا مستقلا مباشرا ودون ان تمر به اطوار اخرى من الانتقال والتحول ، فهذا ما لم يرد به نص صريح في القرآن قط ، بل (كما قلنا) ورد في القرآن ما يدل على انها قد مرت بالانسان (قبل ان يكون انسانا كاملا) ازمان لا يعلم مداها الا الله :

(هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) .

فآيات (مثلا) التي تشير الى خلق الانسان من طين هي قوله تعالى :

اني خالق بشرا من طين (٨٠) (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين) (٨١) (وبدا خلق الانسان من طين) (٨٢) (اسجد لمن خلقت طينا) (٨٣) .

وقبل ان ينتهي الشاب الذكي من حديثه قاطعه الاخ المعترض قائلا :

نعم هذه هي الآيات ، الا يلزم من نصوصها القول ان الانسان خلق خلقا مستقلا مباشرا . من طين ؟؟

نقاش مهم حول خلق الانسان

فقال الشاب الذكي .. كلا ، ان هذا لا يلزم القول به ، لان مفهوم هذه الآيات الكريمة لا يحتمه ولا يلزم القول به ، وانما الذي تحتمه هذه الآيات هو القول بأن مصدر الانسان هو الطين .

ولو لزم القول بأنه يجب الاعتقاد بأن الانسان خلقه الله من طين خلقا مستقلا مباشرا استنادا الى ظواهر هذه الآيات ، للزم القول (استنادا الى آيات اخرى في مستواها) بأنه يجب الاعتقاد بأن الله قد خلق الانسان من الماء خلقا مستقلا مباشرا ، لأن الله تعالى يقول (وهو الذي خلق من الماء بشرا) (٨٤) (والله خلق كل دابة من ماء) (٨٥) (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٨٦) . فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى قد خلق الانسان من ماء ، كما تدل تلك على أن الله تعالى قد خلقه من طين .

ولو كان الامر كما يقول الاخ المعترض ، للزم القول ايضا بأن الله تعالى قد خلق الانسان من علة مباشرة ومن نقطة كذلك ، لأنه تعالى يقول

(٨٠) سورة ص : ٧١ .

(٨١) المؤمنون : ١٣ .

(٨٢) السجدة : ٧ .

(٨٣) الاسراء : ٦١ .

(٨٤) الفرقان : ٥٤ .

(٨٥) النور : ٤٥ .

(٨٦) الانبياء : ٣٠ .

(خَلَقَ الإنسان من علق) (٨٧) (انا خلقنا الإنسان من نطفة) (٨٨)
 (أولم ير الإنسان انا خلقناه من نطفة) (٨٩) فهذه الآيات أيضا تدل على
 ان الله تعالى قد خلق الإنسان من علقه ومن نطفة (تماما) كما تدل تلك
 الآيات الاخرى على ان الله تعالى قد خلق الإنسان من طين .

ثم قال الشاب الذكي .. فهل اذا قرأت هذه الآيات العشر - مرة
 واحدة - .. هل ستجد في واحدة منها او اكثر دليلا خاصا يجعلها
 (دون غيرها من الآيات) تدل بمفهومها على ان الله تعالى قد خلق الإنسان
 خلقا مستقلا مباشرا من المادة التي جاء ذكرها فيها خاصة ؟؟ انه ليس في
 مقدور أحد ان يزعم هذا ، لان ظواهر هذه الآيات في مستوى واحد من
 حيث الدلالة ولفت النظر .

فصح بهذا يقينا ان الدليل القاطع الذي لا يمكن صرفه عن ظاهره
 في تلك الآيات التي احتج بها الأخ المعترض ، هو ان الله تعالى قد جعل
 الطين مصدر الإنسان ، أما كون تلك الآيات تدل دلالة قاطعة على ان الله
 تعالى قد خلق الإنسان من هذا الطين مباشرة (ودون ان يمر بأطوار
 اخرى) فهذا لا يفرض القول به ظاهر تلك الآيات ، والذي يجعلنا نقول
 هذا القول هو ان آيات اخرى (كما تقدم) يصرح ظاهرها بان الله تعالى
 قد خلق الإنسان من ماء وخلق من نطفة (٩٠) وخلق من تراب ، والتراب

(٨٧) الملق : ٢

(٨٨) الإنسان : ٢

(٨٩) يس : ٧٧

(٩٠) قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) ج ١ ص ٧٢٢ مادة
 (انسان) .. قال عندما استعرض الآيات التي تشير الى خلق الإنسان من طين .. فهذه
 طائفة من الآيات الواردة في خلق الإنسان ولم نر فيها آية لا يمكن صرفها عن ظاهرها الا قوله
 تعالى (خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) وكنا لا نستطيع الا
 الوقوف مع هذا النص الصريح لولا أننا رأينا في الكتاب الكريم ان الله سلك هذا المسلك
 التمييزي مع الافراد فقال تعالى : (اكفر بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا)
 فهذا الاسلوب في وعظ الافراد يسمح لنا بصرف الآية المتقدمة ، فان قوله جل وعلا ، والمخاطب
 فرد (اكفر بالذي خلقك من تراب) هو في مقام (خلق الإنسان من طين) في الآية المتقدمة وقوله
 (ثم من نطفة) في مقام (ثم جعل نسله من ماء مهين) فان قيل انه تعالى أراد بالإنسان في
 الآية المتقدمة آدم بدليل قوله (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) قلنا فما الذي اراده
 بقوله (اكفر بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة) ؟ فان قيل اراد بذلك تذكيره بان أصله
 من تراب باعتبار انه من ولد آدم الذي خلق من تراب ، قلنا (اذن يسوغ للمتأول ان يقول في
 قوله تعالى : (خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) انه تعالى اراد
 بذلك تذكيره بمبدئه الاقدم وهو الطين ، فانه لا شيء على الارض الا والطين أصله وقوام تركيبه .

غير الطين ، (اذ) أن الطين لا يكون طينا الا عندما يختلط الماء بالتراب .

ثم اردف الشاب الذكي قائلا :

ثم ان الله تعالى ايضا قد اشار الى انه جل وعلا قد خلق الانسان من صلصال كالفخار ، فلو لزم ما قاله الأخ المعترض ، للزم ان يكون الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال خلقا مستقلا ومباشرا .

فقال الأخ المعترض .. ان خلق الانسان من صلصال كالفخار هو نهاية مراحل خلق آدم ، وذلك ان خلقه بدا بالتراب ثم انطين ثم بتحويل الطين الى صلصال كما يتحول الآن الى فخار ثم نفخ الروح فيه ..

فقال الشاب الذكي .. ان القرآن الكريم لم يرد فيه ما يؤيد هذا التفصيل ، وكل ما فيه انه اشار الى خلق الانسان من طين كما اشار تماما الى خلقه من صلصال والى خلقه من ماء والى خلقه من تراب ، وليس لاي انسان ان يفصل او يرتب ما لم يفصله او يرتبه القرآن الا نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يرد في شيء من الاحاديث الصحيحة المعتبرة ما يؤيد الترتيب الذي ذكره الأخ المعترض ، فصح بهذا يقينا ان كل ما تعنيه هذه الآيات مجتمعة ليس تفصيل كيف خلق الله الانسان ، وانما تعني (في الدرجة الاولى) لفت نظر الانسان الى المادة التي خلقه الله منها ليتعظ ويعتبر ، وكل ما يجب علينا ان نؤمن به ولا نحيد عنه هو ان نؤمن ايمانا جازما بان الله تعالى قد خلق الانسان من هذه المواد جميعا الماء ، والتراب ، والطين ، والصلصال ، والحمأ المسنون ، اما كيف خلق الله الانسان (وبالتفصيل) من هذه الاشياء فلسنا ملزمين بل وليس في مقدورنا ان نقول به ، ويكفي ان نؤمن بان الله قد خلق الانسان من هذه الاشياء كما اراد هو وكما جاء ذلك صريحا في القرآن وبالطريقة التي لا يعلمها أحد ، سوى الله تعالى .. ثم اردف قائلا :

وعطفا على قول الأخ المعترض ان الصلصال (وهو ما له صلصلة من شدة اليوسة) قد كان آخر مرحلة خلق آدم من التراب ، فان لقائل (ما دام الامر امر افتراض واستنتاج وتقدير) ان يقول : وما يدريك ان يكون الصلصال قد كان اول مراحل التراب ، استنادا الى تحقيقات العلماء المختصين بعلم طبقات الارض القائلة ان الارض كانت كتلة ملتبة من النار سائلة قبل ان يتكون فيها تراب او ماء ، ثم جمدت ، وصار كثير من اجزائها صلصلا كالفخار لشدة اليوسة التي أعقبت تجمدها بعد ذلك الالتهاب الهائل الذي كانت فيه سائلة ، وان هذا الصلصال الذي جاء بعد الاحتراق هو المادة الاولى التي تكون منها التراب باعتبار ان هذا الصلصال هو اول مادة تكونت للأرض بعد ان اذهب الله عنها تلك الحرارة

وعلى هذا فانه لا يستبعد ان نقول ان الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال باعتبار المادة الاولى التي اعقبت برودة الارض ، ثم من تراب باعتبار ان الله تعالى قد فتت الصلصال ثم حوله الى تراب ، ثم من طين باعتبار ان الله تعالى قد مزج الماء بالتراب حتى صار طينا ثم تركه حتى تغير وانتن كما قال تعالى : « من حمأ مسنون » ، ثم خلق منه الانسان بالطريقة التي لا يعلم حقيقتها غيره والتي لا يستبعد (عقلا ولا شرعا) ان تكون قد بداها الله بتكوين الانسان من ميكروب صغير اخرجه من الطين حول المستنقعات في البيئة المائية ، فالله على كل شيء قدير .. ثم اردف الشاب الذكي قائلا :

ولا شك ان الانسان الذي يرجع تكوين اينا آدم على هذا الوجه لا يكون (ابدا) قد صادم القرآن في شيء من نصوصه ، بل يكون (على ما اعتقد) قد حقق بقوله هذا الايمان بكل ما صرح به القرآن حول خلق الانسان ، اذ ، انه بقوله هذا يكون قد آمن ايمانا جازما بان الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال ومن تراب ومن ماء ومن طين ، وهذا ما صرح به القرآن في مواضع مختلفة ، ثم قال :

وانا وان كنت لا اجزم ولا يستطيع احد ان يجزم ان الله قد خلق الانسان على هذه الطريقة ، الا انني احببت ان ابرهن للاخ المعارض انه لا يجوز تحميل نصوص القرآن ما لا تحتل ، وانه ليس من الانصاف ولا من مصلحة الاسلام الحجر على الناس والتضييق عليهم لمنعهم (باسم القرآن) من التسليم بما تستسيغه عقولهم مما رجح وقوعه (افتراضا) علم من العلوم الحديثة مما لا يتصادم صراحة مع نصوص القرآن الكريم او الحديث الثابت الصحيح .

كما احببت ان الفت نظر الاخ المعارض الى ان الامر ما دام في حدود الافتراض والتقدير والاستنتاج فان احدا ليس من حقه ان يزعم ان افتراضه وتقديره واستنتاجه احق واولى بالاتباع من افتراضه وتقديره واستنتاج غيره اللهم الا اذا كان النص الصريح في جانبه او مخالفه غيره العقل والمنطق ، في استنتاجه او افتراضه وتقديره بان زعم المستحيل .

فقال شاب آخر : ولكن ، اليس مما يحط من قيمة الانسان ان يقال ان اصله حيوان ، الا يستتبع ذلك سقوط قدره ومنزلته كأعلى كائن حي فضله الله على جميع الكائنات الحية ؟

فقال له الشاب الذكي : كلا ، فانه اذا ما صح انه (حسب نظرية داروين) قد ترقى الانسان من اصل حيوان (بقدرة الله وارادته) فان ذلك

لا يحط من قيمته ، وهل فيما يريد الله ويفعله ما يمكن اعتباره ماسا بكرامة الانسان ومزنته ، فان كان أصل الانسان حيوانا ترقى حتى وصل الى درجة انسان فذلك انما تم بإرادة الله وتدبيره وليس لأحد كائنا من كان أن يعترض على الله فيما يفعل سبحانه وتعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٩١) .

فالمهم في الموضوع هو ان مذهب داروين القائل بهذه النظرية لم يثبت حتى الان ، اما اذا قام الدليل المحسوس على ما يزعمه داروين وهو أن الانسان قد تطور وترقى من الحيوان حتى صار انسانا ، فانه لا يبقى مجالا للقول بأن هذا يحط من قيمة الانسان ويسقط من قدره ، لان الذي يقول هذا ، انما يعترض على الله الذي هو الفاعل الوحيد والمقدر المريد لكل ما حدث من المراحل التي تفرع بها الانسان من الحيوان ، وعلى هذا فانه (على ما اعتقد) لم يعد أي مجال للاعتراض في هذه الناحية .

واذا أردنا ان نتوسع أكثر في ازالة الاشكال حيال هذا الامر ، فبوسعنا ان نقول ان الحيوان اشرف من التراب وقد كان الاخير بالاجتماع مصدر الانسان الاول ، ولم نر احدا قال ان ذلك يحط من قيمته او يسقط من منزلته .

يضاف الى هذا ان داروين ليس اول من قال ان الانسان يرجع أصله الى الحيوان ، فقد قال بذلك قبله بعض علماء المسلمين (على ما اعتقد) ، ثم التفت الي قائلا :

ليس كذلك ؟؟

أئمة الاسلام ونظرية التطور والارتقاء

فقلت له .. ان بعضا من علماء الاسلام قد رؤي عنه انه يقول بذلك .

فمثلا .. الامام الحسن البصري (وهو من كبار أئمة التابعين ، وقد ولد قبل أن يولد داروين بأكثر من ألف سنة) روى عنه الامام الفخر الرازي في تفسيره الشهير ج ٣٠ ص ٢٣٥ عند تفسير قوله تعالى « هل أنى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » (٩٢) انه قال :

خلق الله تعالى كل الاشياء - ما يرى وما لا يرى - من دواب البحر

(٩١) الانبياء : ٢٢

(٩٢) الانسان : ١

في الايام الستة التي خلق الله فيها السماوات والارض ، وآخر ما خلق الله آدم عليه السلام .

هل قال ابن خلدون ان اصل الانسان قرد ؟

كما ان العلامة (ابن خلدون) العالم الاجتماعي والمؤرخ المشهور ، المولود (قبل داروين) بأكثر من سبعة قرون قد قال بنظرية التطور والارتفاع فصرح في كتابه الشهير (المقدمة) بان اصل الانسان حيوان ترقى في مدارج التكوين من الأدنى الى الأعلى حتى صار الى ما هو عليه من كمال ، فقد جاء في مقدمة ابن خلدون (ص ٩٦) قوله :

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدا من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على حياة بدیعة من التدریج ، آخر افق المعادن متصل بأول افق النبات ، مثل الحشائش وما لا يذكر له ، وآخر افق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول افق الحيوان مثل الحظرون والصدف ، ولم يوجد لهما الا قوة اللمس فقط ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد (بالاستعداد الغريب) لان يصير أول افق الذي بعده ، ثم يقول ابن خلدون :

واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدریج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القردة (٩٣) الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل ، وكان ذلك أول افق من الانسان بعده وهذه غاية شهودنا . انتهى كلام ابن خلدون (٩٤) .

(٩٣) هكذا ضبطه ساطع الحمري في كتابه (عن مقدمة ابن خلدون) عالم القردة ، بدلا من عالم (القردة) .. قال الدكتور عمر فروخ في كتابه (عبقريّة العرب في العلم والفلسفة) ص ٦٧ .. ملحقا على هذا الضبط ومؤيدا له ، قال .. في النسخ المطبوعة من المقدمة في الشرق جاءت كلمة (عالم القردة) وهو بلا ريب خطأ مطبعي لا يتفق مع المعنى ولا مع بحث ابن خلدون ، على ان طبعة باريس تذكر بوضوح (عالم القردة) بتقديم الراء على الدال ، ولول من نيه الى ذلك ساطع الحمري في كتابه عن مقدمة ابن خلدون ا هـ .

(٩٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحفري الكندي الاشبيلي ، الفيلسوف المؤرخ والحجة والرجع في علم الاجتماع والفلسفة التاريخية ، يرجع نسبه الى وائل بن حجر الحفري الكندي ، كان مقر عائلته اشبيلية باسبانية ، اما هو فقد نشأ بتونس ، كان بعرا من بحور العلم والمعرفة ، وكان ذا فطنة خارقة ، رحل الى غرناطة باسبانية (ايام حكم المسلمين لها) كما رحل الى فاس وللمسان ، وقد أعجب به حكام تلك الاقطار واكرموه ، واسند البعض منهم اليه وظائف مهمة الا انه (كعالم مرموق شهير) تعرض لوشايات ودسائس ، عاد على انزها الى مستقلا راسه تونس ، ثم رحل الى مصر ، فاحتفى به سلطاتها الظاهر برفوق واكرمه ثم ولاء قضاء المالكية ، وكان ابن خلدون لا يتري بزي القضاة ، بل ظل محتفظا بزي بلاده تونس ، كان ابن خلدون جميل الصورة صادق اللهجة على غاية من =

قول ابن مسكويه

كذلك (ابن مسكويه الفيلسوف المشهور) ذكر الاستاذ نديم الجبر في كتابه (قصة الايمان) انه قد قال بنظرية التطور والارتقاء قبل (داروين) بمدة قرون ، فقد نقل الاستاذ الجبر عنه قوله :

ان الموجودات مراتب وكلها سلسلة متصلة ، وكل نوع من الموجودات يبدأ بالبساطة ثم لا يزال يترقى ويتعقد حتى يبلغ أفق النوع الذي يليه ، فالنبات في افق الجماد ، ثم يترقى حتى يبلغ أعلى درجة ، فاذا زاد عليها قبل صورة الحيوان ، وكذلك الحيوان يبدأ بسيطا ثم يترقى حتى يصل الى مرتبة قريبة من الانسان .

مذهب اخوان الصفا

كذلك جاء في رسائل (اخوان الصفا) وهم قوم ينتسبون الى الاسلام (اتخذوا الفلسفة مذهباً لهم) وكانوا قد ظهرت في اول العهد العباسي .. جاء في رسائلهم هذه (ج ٢ ص ١٥٤ - ١٥٥) ما يشعر القارئ بأن نظرية التطور والارتقاء معروفة بين المفكرين في عهود الحكم الاسلامي قبل ان يخلق (داروين ولامارك) بمئات السنين ، فقد جاء في رسائل اخوان الصفا هذه قولهم :

» فادون الحيوان وانقصه هو الذي ليس له الا حاسة واحدة ... وهكذا اكثر الدبدان التي تكون في الطين وفي قعر البحار وفي أعماق الانهار ، فهذا النوع حيوان نباتي ، اذ يشارك الحيوان في الحركة ويشارك النبات في الحس فقط .. وان النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان ، والحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على الحيوانات التامة الخلقة

== الفصاحة ووجاحة العقل ، وكان عالي الهمة بأبى الضيم وكان ذا مقام رفيع في نفوس الملوك والحكام ، لا رحل الى الاندلس وعلم بمقدمه سلطانها خرج هذا السلطان بنفسه واركب معه خاصته لتلقي ابن خلدون اكراما له ، يعتبر ابن خلدون بين علماء عصره ، اول من وضع اصول علم الاجتماع التي تضمنتها مقدمته الشهيرة التي ترجمت الى عدة لغات ومنها الفرنسية ، وكانت هذه المقدمة العظيمة ، هي المجلد الاول من كتابه الشهير (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) ويقع هذا الكتاب في سبعة مجلدات ضخمة ، وهذا الكتاب هو الكتاب الوحيد من بين امهات التاريخ الذي عني بتاريخ البربر عناية خاصة مما جعله المرجع الوحيد لمن اراد ان يعرف تاريخ شعوب الشمال الافريقي من غير العرب ، كالبربر الذين كانوا (قبل الفتح الاسلامي) هم السكان الاصليين لشمال افريقيا .. توفي ابن خلدون رحمه الله (فجأة) في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ وقد كان ميلاده يتونس سنة ٧٢٢ هـ .. انظر الاعلام للزركلي ج ٤ ص ١٠٦

(التي) تتكون في زمان طويل لاسباب يطول شرحها ، وان حيوان الماء ، وجوده قبل حيوان البر بزمان ، والحيوانات كلها متقدمة الوجود على الانسان (٩٥) .

ثم يقول اخوان الصفا في رسائلهم (ج ٢ ص ١٥٧) :
« ومن الحيوان ما هو ادنى رتبة مما يلي النبات ، وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس فحسب .. وهذا النوع من الحيوانات اجسامه لعمية ويدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه (٩٦) بالقوة الجاذبة ويحس اللمس وليس له حاسة اخرى ، وهو سريع التكون وسريع الهلاك والبلى . اهـ .

اقوال الامام البخلي

كذلك جاء في كتاب (البدء والتاريخ) للعلامة البخلي (٩٧) المولود قبل

(٩٥) هذا القول موافق تماما لما رواه الفخر الرازي عن الحسن من ان آدم هو آخر ما خلق الله .

(٩٦) الذي يقرأ هذه العبارة الواردة في رسائل اخوان الصفا باسعاد ، يكاد يحزم بأن لامارك (فيلسوف التطور والارتقاء الاول في اوروبا) وزعيم الجناح الانحادي في هذه النظرية) عندما وصف البوليب الذي زعم انه اول سلم الكائنات الحية واسلمها الذي تطورت عنه وترقت (بما في ذلك الانسان) انما كان ناقلا هذا الوصف عن رسائل اخوان الصفا ، فلما لم يصف البوليب هذا بقوله .. بانه كان حي ليس له اعضاء خاصة للحم او للتنفس او الدوران او التكاثر ، ولا شيء فيه الا قناة بسيطة تستطيع ان تمتص غذاءها من خلال أي جزء من اجزاء اجسامها ، واخوان الصفا الذين سبقوا (لامارك) بتكرار من ألف سنة يصفون هذا الحيوان بقولهم ان اجسامه لعمية ويدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه فأيهما اخذ من الآخر ؟؟

(٩٧) هو احمد بن سهل ، قال في الاعلام .. احد الكبار الانفاذ من علماء الاسلام ، جمع بين الشريعة والفلسفة والادب والفنون .. ولد في إحدى قرى بلخ من ارض فارس ، وساح في الارض سياحة طويلة وعند عودته من سياحته ، علمت شهرته وعرضت عليه الوزارة في حكومة عصره في تقوم بلخ فأبامها ، ولكنه رضي الكتابة في القولة فكان يعيش منها الى ان مات في بلخ ، وقد سبق البخلي هذا جميع علماء الاسلام (كافة) الى رسم خارطة الارض التي رسمها في كتابه (صورة الاقاليم الارضية) الذي لا يزال مخطوطا ، وقد ألف عدة مؤلفات في مختلف الفنون ، وقد ذكر منها ابن التديم (في الفهرست) « اقسام العلوم » و « شرائع الاديان » و « كتاب السياسة الكبير » و « كتاب السياسة الصغر » و « الاسماء والكنى والالقب » و « اقسام علوم الفلسفة » و « ادب السلطان والرياسة » و « كتاب القواعد » و « اخلاق الامم » و « نظم القرآن » وكان يتشيع على مذهب الريدية الذي كان منتشرا (في عصره) بخراسان ، وهو اقرب المذاهب الشيعية الى مذهب أهل السنة ، واختلف في نسبة كتاب (البدء والتاريخ) اليه ، قال الزركلي في الاعلام ... وأهل التحقيق على انه لطهر بن طاهر القدسي .. وقد قال الجنرال كلمان المستشرق =

(داروين) بمئات السنين ما يفيد بأن القول بالتطور والارتقاء وتحول الحيوان الى انسان كان معروفا كذلك بين علماء المسلمين منذ اول عهدهم ، فقد جاء في كتاب (البدء والتاريخ هذا ج ٨ ص ٧٥) ان المسمد يرى أن الحيوان قد تولد من الرطوبة وأنه كان يفتش قشر مثل قشور السمك ولما اتت عليه السنون صارت الى الجفاف واليبس فانقشر عنها ذلك القشر وصارت حياتها زمنا يسيرا ، ثم يقول العلامة البخاري في كتابه المذكور :

فهذا جملة قولهم في ظهور الحيوانات ، وآدم حيوان ، فعند بعضهم .. ان آدم تولد من رطوبة الأرض كما يتولد سائر الهوام وكان جلده كجلد السمك ، وعند آخرين انه (اي آدم) ظهر شيئا بعد شيء ثم تركب على مرور الأزمان وصار انسانا (١٨) ١ هـ .

فقال الاخ المعترض .. ان ما ذكرته الآن لنا مما نسب الى هؤلاء العلماء المسلمين من القول بالتطور والارتقاء، انما هو قول ناقل او متفلسف او مجتهد ، وكل هذا لا حجة فيه ، حيث (كما هو معلوم في اصول الاسلام) لا حجة الا في قول الله تعالى او سنة رسوله (ص) .

المؤلف لا يؤيد نظرية داروين

فقلت له .. اني لم اقصد بذكر آراء المسلمين هؤلاء (حول خلق اينما آدم) التأييد لنظرية التطور والارتقاء ، او ان ما جاء في اقوال العلماء هو القول الفصل في هذا الباب .

فاقوال هؤلاء العلماء هي تماما (كأقوال داروين) ينقصها الدليل العلمي والبرهان الحسي من الوجهة الطبيعية ، كما ينقصها الدليل الشرعي (اذا ما اراد أحد ان يخلع عليها الصبغة الدينية) ولكنني ذكرت هذه الاقوال (فقط) لالفت النظر الى ان هؤلاء العلماء والفلاسفة المسلمين

= الفرنسي ومدرس اللغات الشرقية بيليز ، والذي نشر كتاب (البدء والتاريخ) المذكور باللغة العربية وترجمه الى اللغة الفرنسية . ان الكتاب هذا منسوب الى البخاري ، وهو من تأليف (مطهر بن طاهر المقدسي) ولكن صاحب كتاب (كشف الظنون) و (خريدة المجانب) يؤكد ان كتاب (البدء والتاريخ) للبخاري ، وانا ارجح ان هذا الكتاب من تأليف البخاري ، لا المقدسي بدليل ان المؤرخين الذين ترجموا للبخاري يؤكدون انه على المذهب الزيدي ، والذي يعم النظر في كتاب البدء والتاريخ تنفتح له الميول الزيدية في فصول الكتاب ، وهذا مما يرجح ان الكتاب من تأليف البخاري . ولد البخاري سنة ٢٢٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٢ هـ .

(١٨) وهذه هي نظرية (داروين) التي تقول ان الحياة نشئت بقدرته الخالق حول المستنقعات ، وان الانسان بدأ تكوينه بحيوان صغير ظهر على أرض هذه المستنقعات ، ثم تحول وتطور على مزود الأزمان حتى صار انسانا كاملا .

قد سبقوا (داروين ولامارك) بمئات السنين الى البحث في موضوع التطور والارتقاء ، والموضوع (في نظري) ليس اكثر من حكاية اقوال ونقل بحوث قابلة للأخذ والرد ، لأنه ليس في شيء منها (سواء الذي نقل عن الامام الحسن (٩٩) أو ابن خلدون أو ابن مسكوية أو البلخي أو اخوان الصفا) ما يمكن اعتباره حجة قاطعة لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الواقعية المشهودة .

غير ان الذي يمكن استخلاصه من اقوال هؤلاء العلماء المسلمين (وخاصة الامام الحسن والعلامة ابن خلدون) هو انه ليس في القول بأن الله قد رقى الانسان وطوره من حيوان بسيط الى انسان كامل اي تكذيب للقرآن أو مساس بعقيدة المسلم الذي يترجح لديه القول بهذا الرأي ، اذ لو كان الامر كذلك لما سكنت العلماء المسلمون على قول ابن خلدون الذي صرح به (في مقدمته) كما نقلناه عنه فيما مضى والذي أعلن فيه القول بنظرية التطور والارتقاء ، بل وذهب فيه الى القول بأن الانسان قد تحول (اثناء مراحل التطورية) من عالم القردة (١٠٠) الى عالم الانسان (كما

(٩٩) ترجمة الحسن البصري

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، سيد من سادات التابعين وامام من ائمتهم ، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، كان مولى يزيد بن ثابت الانصاري ، وكانت أمه مولاة أم سلمة زوج النبي (ص) وقد رضع من لبن أم سلمة (رضي) ، لأنه كان رضيعا عندما كانت أمه في غمة أم المؤمنين أم سلمة (رضي) فكان اذا غابت أمه في حاجة سبدها بيكي فترضعه أم المؤمنين (رضي) ليست .. قال أبو عمرو بن العلاء .. ما رأيت المصح من الحسن البصري ، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومن كلامه المأثور .. ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه الا الموت .. لما تولى عمر بن هبيرة الفزاري العراق مع خراسان ، أبام يزيد بن عبد الملك ، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي (وذلك سنة ثلاث ومائة) ثم استشارهم قائلا .. فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه (نقيّة) ، فقال ابن هبيرة : ما نقول يا حسن ؟ ، فقال يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، ان الله يمتك من يزيد ، وان يزيداً لا يمتك من الله ، يا ابن هبيرة انما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تركب دين الله وعباده الله بسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فاجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين .. سفسفنا له فسفسف لنا (يعني ابن هبيرة) ، كان مولد الحسن لستين بقيقاً من خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفي بالبصرة سنة ١١٦ هـ .

(١٠٠) اذا صح ان ابن خلدون قد قال ان الانسان قد تعذر من عالم القردة فان قوله هذا لا يمكن الأخذ به أبداً لأنه قول يفتر الى الدليل ، وهو (كقول بعض انصار التطور والارتقاء) ليس له من دليل متعنى سوى الحدس والتخمين والافتراض ، والا فبأي وسيلة من وسائل العلم الطبيعي أو الدليل الديني يستطيع العلامة ابن خلدون ان يثبت ان القرد هو اصل الانسان ؟ لا شك ان ابن خلدون (اذا صح انه قال هذا القول) قد تركز في ذهنه (ككلام اجتماعي) عند بحث تطور الكائنات الحية ان القرد هو ارقى الحيوانات ذكاء وفهماً وادراكاً ،

ضبط ذلك عنه ساطع الحضري من النسخة الاصلية لمقدمته الموجودة في باريس (لا سيما وان ابن خلدون عالم اسلامي كبير وله مكتبه شهرة عالمية، وخاصة مقدمته التي ترجمت الى عدة لغات اجنبية .

ولو كان في القول (ايضا) بأن اصل الانسان يرجع الى الحيوان أي تكذيب للقرآن او مساس بعقيدة المسلم لما نقل الفخر الرازي (وهو الامام العالم البحاته الفقيه المفسر الفيلسوف) هذا القول عن كبير أئمة التابعين (الامام الحسن البصري) دون أن يبدي أية مناقشة او اعتراض .

فالذي نريد الوصول اليه من هذا الاستشهاد كله ، ليس مساندتنا لنظرية التطور والارتقاء التي بها يقول (داروين) فموقفنا من هذه النظرية قد أوضحناه مرارا فيما مضى من مناقشة ، وانما الذي نريد الوصول اليه واعلانه ، هو ان تؤكد للمؤمنين الذين يخشون على عقائد المسلمين (١٠١) من الخوض في نظرية التطور والارتقاء ، هو انه لا خطر على دين من استساغ عقله القول بهذه النظرية ، لدليل ترجح لديه فسلم به ، ما دام أنه يؤمن بأن كل ما ذكره داروين من ادوار التطور والارتقاء قد تم بقدرة الله تعالى .

وسندنا في ذلك هو ، أنه ليس في نصوص القرآن او السنة النبوية الثابتة ما ينفي قواعد هذه النظرية أو يشتها ، وهذا (في نظرنا) كاف لوجوب عدم الزج بالاسلام عند الاخذ والرد حيال هذه النظرية بحيث لا نصدر (نحن المسلمين) حكما في حقها باسم الاسلام (لا ينفي ولا يثبت) بل نترك الامر (من ناحية الاسلام) على سبيل الجواز ، باعتبار ان ما جاء في وقائع

— وانه لذلك لا بد وان يكون الانسان قد تعذر منه بموجب النظام التطوري الذي جاء في مقدمته .
نفس الفرض والاحتمال الذي لجأ اليه بعض انصار التطور والارتقاء اليوم ، عندما ارادوا ربط الانسان بالسلسلة الحيوانية التي يقولون لها (كما في مزاعم لايارك) ابتدأت بحيوان البوليبي البسيط وانتهت بالانسان .

(١٠١) جاء في دائرة المعارف لحمد فريد وجدي ج ١ ص ٧٢٤ في مادة (انسان) ولسنا نجزم بصحة مذهب (داروين) ولكننا نهدي من روع الذين يخشون من تحقق هذا المذهب في يوم من الأيام على الاسلام وما ورد في امر آدم عليه السلام فنقول لهؤلاء ليهذا روعكم فان كل ما ورد في خلق آدم عليه السلام يمكن صرفه عن ظاهره على مقتضى أسلوب القرآن نفسه فان قام الدليل المحسوس في يوم من الأيام على صحة مذهب داروين فلا يتزعزع من العقائد الا ما كان جامدا منها ، اما الذين هداهم الله بنور العلم وبث فيهم روح الاسلام بمعناه الحق فلا يخشى على عقائدهم من شيء ، ثم قال .. الخلاصة ان على علماء المسلمين ومرشديهم ان لا ينقطعوا من مجموع الامة ، بل عليهم ان يشاركوا المصريين في ابحاثهم وان لا يجعلوا نصيبهم من المناقشة مجرد التكديبات والاستشكالات الخالية من القيمة العلمية فينتلب عليهم خصومهم فيسقطون ويسقط الدين معهم معاذ الله ..

نظرية (داروين) جائز ان يكون قد حدث وان لا يكون قد حدث (١٠٢) .

كيف نحمي عقائد الشباب من الانحراف

كما اننا نحب ان نبرهن للخائفين على عقائد المسلمين من النظر في مثل هذه النظرية ، ان حماية عقائد المسلمين هؤلاء لا تأتي عن طريق انطواء علماء الاسلام على انفسهم وانعزاليتهم الشديدة التي لا تسمح (بأي حال من الاحوال) بالنظر في مثل هذه النظرية والتعرف على أي شيء من قواعدها او معرفة غاياتها ومقاصد واضعها ، وانما تأتي هذه الحماية عن طريق نظر علماء الاسلام في مثل هذه النظرية بتمعق وتفهم وامعان ، ليمكنوا من حماية الجيل المثقف (الذي لم يعد بالامكان الحيولة بينه وبين النظر في مثل هذه النظرية) مما يمكن ان يتخذ دعاة الالحاد وسيلة للانحراف بالشباب المثقف الذي تكون قراءته (غالبا) لمثل هذه النظريات قراءة سطحية لا يستطيعون معها تجنب ما فيها من مزالق مقصودة يضعها في طريقهم سمسرة الالحاد الذين يفسرون هذه النظرية وفق اهلوائهم كما يفعل الشيوعيين عندما يتحدثون عن نظرية (داروين) .

فقال الاخ المعارض - في شيء من الحدة والاحتجاج - كيف نقول بأن هذا جائز وكيف يستطيع المسلم ان يسلم ان النوع الانساني يرجع اصله الى القردة .. ان نظرية داروين تقول بذلك ، فهل يرضى مؤمن ان يسلم بأن النوع الانساني (ومنه الانبياء والمرسلون) يتحدر من القردة ؟؟ ان هذا قول غاية في الفظاعة ولا يمكن التسليم به ابدا .

فقلت له :

هدى من روعك ايها الاستاذ .. ان اهم نقطة في الموضوع (من الناحية الدينية) ليست في كيف نسلم او لا نسلم ، وكيف نرضى او لا نرضى ، وانما المهم هو كيف نتأكد بأن الانسان حقا ، قد تحدر اصله من القردة .

(١٠٢) قال الامام البلخي في كتابه (البدء والتاريخ ، الجزء الثاني الفصل السابع) عند تعليقه على ما يزعمه الاقدمون من امثال القول بحركة الارض والكواكب الاخرى ، وكون الانسان تطور من حيوان ، قال البلخي .. وجملة القول ان كل ما دُرِيَ في هذا الباب عن القدماء واصحاب النجوم مما لم يكن نقضا للتوحيد وابطالا للشرعة او جدحا للبيان فموقوف على سبيل الجواز والامكان ا هـ .. اي انه لا ينبغي الجزم بحدوثه او القطع بعدم حدوثه ، ومن هذا الباب ما يزعمه داروين في نظريته ما دام ان ذلك ليس فيه مناقضة للتوحيد او ابطال للشرعة او مخالفة للملئ ، وما دام ان القائل بما يقوله داروين يعتقد ان كل ذلك قد تم بقدره الله وادارته .

فالقول بأن النوع الأنساني يرجع أصله الى القردة لا يزال (في نظرنا ونظر كل منصف) وهما من الاوهام أساسه الحدس والتخمين ، حيث لم يستطع احد (حتى هذه اللحظة) القول بأن تحدر النوع الانساني من القردة هو حقيقة واقعة يقرها العلم .

وحتى قطب نظرية التطور والارتقاء (داروين) مكذوب عليه القول بأن النوع الانساني يرجع أصله الى القردة حيث لم يصرح بشيء من هذا القبيل في كتبه .

فالمسئلة كما قلنا (اذن) لا يفصل فيها الرضى او عدم الرضى ، او التسليم او عدم التسليم .

فالتسليم والرضى او عدمهما امور لا قيمة لها (في نظر الدين والعقل والعلم على السواء) عندما يأتي دور وزن الاشياء بميزان الحقائق لنفيها او اثباتها ، فالرضى والتسليم او عدمهما غالبا ما يكون مصدرها العاطفة لا العقل . وما دام ان القول بأن النوع الانساني قد تحدر من القردة ، عندما نضعه في ميزان الحقائق لا يساوي شيئا ، فان الذي يلزمنا ان نقوله (من الوجهة الدينية والعقلية) ليس الاعلان باننا لا نسلم ولا نرضى بأن يكون أصلنا (نحن بني الانسان) قد تحدر من القردة ، وانما الاعلان باننا نقف من ذلك القول موقفنا من اية مزاعم ليس لها اي ظل من الحقيقة .

اما اذا قام الدليل المحسوس القاطع (وهذا بعيد جدا) على أن النوع الانساني قد تحدر أصله من القردة فانه لا مجال للانكار او الاستنكار ، لان ذلك اذا ما حدث ، فانما يكون قد حدث بقدرة الله تعالى وارادته وحينئذ فانه ليس لاي انسان ان يقول انا لا اسلم ولا أرضى بأن يرجع أصلي الى القردة ، لانه اذا ما قال ذلك انما ينكر الحقائق الواقعة ويعترض على الخالق سبحانه وتعالى .

داروين لم يقل أن اصل الانسان قرد

فقال شاب آخر :

ولكن كيف انتشر بين الناس أن داروين يقول (في مذهبه) ان النوع الانساني قد تحدر من القردة ؟.

فقلت له ليس في شيء من كتب داروين ما يثبت أنه قرر ضمن نظريته ان الانسان يرجع أصله الى القردة .

فقال .. كيف اذن شاع عنه هذا القول ؟؟

فقلت له .. لانه جاءت عبارات في كتابه (اصل الانواع) حملها انصاره على هذا القول .

اما كل ما قاله داروين فيما يتعلق بصلة الانسان بالقرود فهو قوله في كتابه (اصل الانواع) انه يعتقد ان الانسان والقرود قد نشأ معا من صلب مشترك منقرض من آمام ما قبل التاريخ ، وعلى هذا الراي يكون القرود ليس جدھم وانما هو ابن عم لهم بعيد (١٠٣) .

اما الذين زعموا من المتأخرين بأن اصل الانسان يرجع الى القرود وأن القرود هو أبو الانسان الاول فهم غلاة الماديين الذين الصقوا هذا القول بمذهب داروين (لشهرته العلمية) واتخذوا من هذا المذهب وكلام داروين عن الاعضاء الاثرية (١٠٤) وسيلة لنفي الغاية والحكمة في الخلق ، فانكروا الخلق الدفمي المباشر ، وزعموا أن الانسان أصله من القرود ، واستدلوا بالشبه العظيم بين القرود والانسان ، في أكثر الاعضاء ، وبعض الطباع كالحيض ولكن هؤلاء القائلين بنشوء الانسان من القرود تحيروا في كيفية انتقال القرود من الحيوانية الى الانسانية نقلته الاخيرة .

فقال بعضهم انها حصلت فجأة ، وقال آخرون انها حصلت بالتدريج لان النقلة الفجائية بعيدة جدا لما بين القرود والانسان في العقل من الفرق العظيم ، ويحثوا عن الحلقة المفقودة (التي بواسطتها تحول القرود الى انسان بزعمهم) في طبقات الارض فلم يجدوا لها اثرا ، ولم يتمكنوا حتى اليوم من البت في تلك النقلة برأي قاطع او (حتى) راجح ، فظلت النشأة الاصلية « للانسان عندهم » موضع شك عظيم (١٠٥) .

وهكذا يتضح أن قصة تحول القرود الى انسان هي من ظنون الماديين وتخميناتهم وتخرسانهم التي ليس لها ما يدعمها من الادلة العلمية او البراهين الحسية باعترافهم .

بل ان كثيرا من علماء الطبيعة البارزين في أوروبا نفوا (بناء على التجارب التي قاموا بها) أن يكون أصل الانسان قد تحدر من القرود .
ويكفي ان أحد خلفاء داروين في حزب نظرية التطور والارتقاء (هكسلي) قد خالف زملاءه الماديين فنفى أن يكون الانسان قد تحدر من القرود .

(١٠٣) عبارة العلم من ١٨٠

(١٠٤) يمتون بالاعضاء الاثرية ما زعموا اكتشافه من وجود اعضاء زائدة كالميون غير المبصرة في بعض الحيوانات التي تقطن الكهوف او تقيم تحت الارض .

(١٠٥) قصة الايمان من ١٨٩ ط اولى .

قال الاستاذ فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) .. ثم ان اقدم الحفريات التي درسها العلماء (هكسلي وجون لوك ، وفوجت ، وشافوزن ، وجميع الطبيعيين تدل على ان الانسان القديم وان كان اقبح صورة من الانسان الحالي ، الا انه لا نسبة بينه وبين القردة في شيء ، كما اعترف بذلك العلامة الاختصاصي في درس الجماجم الانسانية (لاريت) ا هـ .

ومما يستدل به علماء الطبيعة الاوربيين المعارضين للنظرية القائلة ان الانسان ترقى عن القرد ، على بطلان هذه النظرية ، هو انهم وجدوا في السنوات الاخيرة في مفارات (انجيس) وتندرثال (باروبا بقايا انسانية ، تعتبر اقدم البقايا البشرية ، استدلوها بفحص هذه البقايا على انها لا تدل على ادنى فرق بينها وبين الانسان الحالي ، مع ان فحصها دل على انه قد مضت عليها الوف. مؤلفة من السنين .

تناقض انصار المذهب القردي

ثم قلت له .. وان مما يدل على تخبط الماديين في عشوى دعاواهم هو مناقضة بعضهم لبعض .

فبينما نرى قطب النظرية (داروين) يزعم ان الانسان والقرد فرعان تحدرًا من اصل واحد ، نجد خليفته (هكسلي) ينفي نفيا قاطعا ان تكون هناك أية صلة بين الانسان والقرد ، في حين نرى العالم شلغر (المولود سنة ١٧٧٨ م يصرح بان الانسان والقرد كانا اخوين ، وان الانسان لم يترق عن القرد (كما يزعم اتباع داروين) وانما تردى هذا القرد من أوج الانسانية الى عالم الحيوانية .

وبينما يستقر الرأي بين الماديين (القائلين بان الانسان انما ترقى عن القرد) على ان هذا القرد الذي هو « في نظرهم اصل النوع الانساني » هو القرد المعروف باسم (الشمبانزي) او (الاورنغ) اذا باخرين منهم (بعد اكتشاف الفوربلا) في افريقيا يتخلّون عن الرأي الاول فيزعمون ان الفوربلا هو الاصل الذي تحدر عنه الانسان .

التمييز العنصري بين القروود

وبينما هذا الخبط والتخليط والتناقض يحدث هكذا في محيط الداروينيين الماديين حول كيفية تحدر الانسان من القرد ، اذا باخرين منهم يخالفونهم ويزعمون (على طريقة التمييز العنصري) ان النوع الانساني تحدر من ثلاثة انواع من القردة ، لا نوع واحد .

فيدعون ان النوع الابيض الراقي (في نظرهم) قد تحدر انسانه
الاول من (الشمبانزي) وهو ارتقى انواع القردة .

اما (الاورنج) وهو القرد الذي يلي (الشمبانزي) في المرتبة ، فيدعي
هؤلاء انه اصل الاقوام ذوي الايدي الطويلة والشعر الضارب الى الحمرة
والجماجم البيضاء التي يساوي طولها عرضها .

اما الانسان الاسود فيدعي هؤلاء ان اصله يرجع الى القرد المعروف
باسم (الفوربلا) ، وهو احط انواع القروء (١٠٦) .

وهذا كله ان دل على شيء ، فانما يدل على ان هؤلاء الذين يزعمون
رجوع اصل الانسان الى القرد ليسوا على شيء (١٠٧) وانهم لا يزالون
(حتى هذه اللحظة) تائهين في بحار من الظنون والتخمينات ، وهذا وحده
يكفي للحكم بأن قولهم ان الانسان يرجع اصله الى قرد انما هو من الدعاوى
المهزوزة المبنية على الوهم والتخيل ، وانهم (حتى هذه اللحظة) لم يجدوا
في كتف العلم اي دليل يستند مزاعمهم هذه .

وهذا يكفي للحكم على مزاعمهم بالبطلان .

التكذيب المرتجل ليس الطريق السوي للاقناع

فقال الاخ المعترض ..

وما دام الامر هكذا ، لماذا لم يرتض الاخ (يعني الشاب الذكي) قولنا
اننا لا نسلم ولا نرضى بأن يكون اصلنا قد تحدر من القروء؟؟

فقلت له .. لان ذلك ليس هو الرد المنطقي الصحيح على تلك المزاعم،
وخاصة في مثل هذا المحيط الذي تلبس فيها النظريات الصحيحة والباطلة
لباس العلم ، فاذا ما جابهنا مادي ملحد ليزعجنا أو يشككنا في مصادر

(١٠٦) انظر دائرة معارف القرن الرابع عشر ، المثيرين ج ١ مادة (انسان)

(١٠٧) قال الاستاذ هـ . ج . ولز ، قال في كتابه (معالم تاريخ الإنسانية ج ١ ص ٦٠)
قال معلقا على هذا الخلط والتناقض العجيب .. ولقد أعجب بعض علماء الانساب بنظرية
تسالم عما اذا كان البشر يعودون الى اصل ثنائي أو ثلاثي ، فيه يكون الزنج منحدرين من
سلف يشبه الفوربلا بينما يتحدر الصينيون من اورنج بوتانج اولي ، على حين يجيء الجنس
الابيض من سلف يشبه الشمبانزي ، وهكذا وينتأ على هذه النظرية البراقة يكون الشمبانزي
هو الاخ الادنى للاورنج ، وله الحق والافضية في ان يتحدى على مائدته وأن يصاهر خير
العائلات (النوردي) أكثر منّا للونجي او الصيني اللذين هما أبعد صلة .. ثم يقول الاستاذ
(ولز) ساخرًا من هذا التمييز الخيالي السخيف .. تلك افكار عقيدة مستحيلة لا يجيزها
المقل السليم وما تذكرها هنا الا لتنبذ .

ديننا بقوله ان نظرية داروين المعترف بها في عالم العلم والمعرفة اكدت ان اصل الانسان يرجع الى القرد ، وهذا يهدم دينكم من القواعد ، فان جوابنا عليه لا يكون بالانفعال، والتكذيب المرتجل العاري من الادلة المنطقية، والاكتفاء بالقول باننا لا نرضى ولا نسلم بان نكون أبناء لقرد ، وانما يكون الرد على هؤلاء الملحدين بما يقطع املهم من النيل من ديننا والتشكيك في سعة ذهنيته ، وذلك بان نقول :

كيف يكون الرد على الملحدين

انه ليس في ديننا ما يمنع (من ناحية الامكان) ان يكون الله قد حول القرد الى انسان ، فالله قادر على كل شيء ، وليس هو الذي (في اعتقادنا الجازم) قد اوجد العالم كله من العدم ؟؟ فالذي اوجد العالم من العدم لن يعجزه ان يحول قردا الى انسان ، وليس شيئا يصفع الملحدين ويقطع جبهة كل خطيب فيهم في هذه الناحية مثل ان يجبههم المسلم بقوله . . نعم نحن لن نتردد لحظة في التسليم بان القرد قد تحول الى انسان ، اذا ما قام الدليل المحسوس القاطع على ذلك ، ولكن انثى لكم اقامة هذا الدليل وانتم حتى هذه اللحظة ، تخطون هذا الخط وتضربون في متاهات فوضى هذه الاراء والمزام التي يناقض بعضها ويحكم بعضها على بعض بالفساد والبطلان ؟؟

ثم نتازلهم (بعد ذلك) في الميدان بسلاح العلم والمنطق الذي يحاولون التغلب علينا بواسطته لاقتناعا بصدق مزاعمهم ، فنثبت لهم بطلان هذه المزاعم بالوسائل العلمية والمنطقية والعقلية التي لا تدع لهم مجالا يصولون فيه او يجولون للتفكير بالباطل وجرهم الى هاوية الالحاد عن طريق هذه الادعاءات الباطلة واؤكد لكم اننا عندما نسلك هذا الطريق مع هؤلاء الماديين ، فلا نتسرع في الحكم (باسم الدين) على كل ما يدعونه من كشوفات كونية يلبسونها لباس العلم (مما لم يكن هدمًا للتوحيد) او تكذيبا للقرآن او جحدا للبيان) فاننا نقطع الطريق على كل ملحد متصيد يحاول (عن طريق السفطة باسم العلم) تشكيك ضعاف المداكر من الاحداث المتقنين واشباههم في دينهم وعقيدتهم في خالقهم ، ونثبت لهؤلاء وغيرهم ممن يتلقفون (كالمسحور في تقديس واحترام) كل ما يلقي به اليهم علماء الغرب فيعضثون عليه بالتواجد باعتباره حقيقة واقعة لا تقبل الجدل دون ان يعرضوه على مختبر العقل والمنطق والعلم للتأكد من صحته او عدمها .

نعم نثبت لهؤلاء المقلدين الاغبياء بان كل ما يلقي به اليهم الغربيون او الشرقيون من نظريات وآراء وبحوث ليس صحيحا على الاطلاق بل كله قابل للنفي والاثبات والصحة والبطلان ، وان عليهم اذا كانوا رجالا يحترمون

انفسهم ويعتزون باستعلائهم الذهني (واعني المقلدين من ابناء هذا الشرق)
ان لا يكونوا كلامعات يرددون كل ما يقال لهم دونما وعي او تفكير ، بل
ياخذون كل ما ينفذ اليهم فيزنوه (قبل التهامهم له) بميزان العلم والعقل
والمنطق والدين الذي لا يتنافى مع العلم او العقل والمنطق ، وهذا هو الذي
يجعلهم بمنجاة عن السقوط في مهاوي الانحلال والزندقة ، ويمكنهم من
احتلال مقاعدهم اللائقة بهم بين الاحرار المفكرين ، لا العبيد المقلدين .

كيف يسيء المزمتمون الى الدين

كما اننا ايضا (بمثل الطريقة التي سلكتها) في مناقشة دعاة النظرية
القائلة ان اصل الانسان يرجع الى القروء ، وتفنيد مزاعمهم على مسرح
العقل والعلم والمنطق نبرهن للمزمتمين (الذين يتسرعون في الحكم بالتكذيب
والانكار على ما لم تستصفه عقولهم (باسم الدين) مما يستجد من نظريات
واراء كونية تحتل الصحة والبطلان) ، بان هذا التسرع لا يخدم الدين بأي
حال من الاحوال بل قد يسيء اليه ابلغ اساءة ، عندما ننكر باسمه حقائق
علمية كونية هي وان كانت لدى هؤلاء المزمتمين غير معلومة لعدم توفر
الوسائل الدهنية والعلمية التي يمكنهم بها ادراكها ، الا انها عند اصحابها
التخصصين في ميدانها في مرتبة الحقائق البديهية التي لا تقبل الجدل .

فهؤلاء عندما نصرخ في وجوههم باسم الدين ثم نحمل هذا الدين
مسئولية انكار هذه الحقائق التي لم ينكرها ولم يشبها ، انما نزهدهم في
هذا الدين ونشككهم فيه حتى وان كانوا من المنتسبين اليه ، وهذا هو عين
الاساءة الى الدين والتجني عليه .

القول الفصل في نظرية داروين

وبعد ان وصل البحث والنقاش الى هذا الحد ، طلب شاب آخر
الكلمة وقال :

مما لا جدال فيه ان اخطر نقطة في نظرية داروين تستحق اليقظة
والحذر - من الناحية الدينية - هو ما تناوله (داروين) في نظريته بشأن
اصل الانسان ومراحل تكوينه .

والان وقد سمعنا فيما مضى من نقاش حول هذا الموضوع من
تفسيرات واحتمالات كان لها كلها الاثر في نفوسنا ، مما جعلنا نعجز عن
تكوين رأي حاسم نتمسك به في هذه الناحية ذات الصلة الحساسة باصل
ديننا ، فما هو الرأي الصائب الذي يمكننا الاخذ به من الاراء المتعارضة

التي سمعناها في هذا النقاش الطويل ؟؟

قلت له .. ان دين الاسلام (اولا وقبل كل شيء) هو من الكمال والصلاح لكل زمان ومكان بحيث لا تضيق ذهنيته بأية حقيقة علمية ثابتة ، ولا يتعارض أي نص من نصوصه مع العقل أو تتناقض مع الواقع ، منذ ان اشرفت شمس على هذه الارض ، وهذا هو سر خلوده وانجذاب القلوب نحوه وركونها اليه وامتزاجها بحبه .

القرآن لم يأت لاحصاء الحقائق الكونية

ولعل من اروع قواعد هذا الدين هو ان ما لم يرد ذكره في نص من نصوصه من اخبار الخلق وانباء التكوين وامثالها (مما لم يكن نقضا للتوحيد او هداما للشريعة) ، لا يمكن الحكم عليه باسم هذا الدين بالنفي او الاثبات او الكفر والضلال ، لان ذلك الخبر او ذلك النبا قد يكون حقيقة واقعة وان لم يتعرض القرآن للذكره لان هذا الكتاب لم يأت لاحصاء الوقائع الكونية واعلاؤها على المأ واحدة واحدة ، وانما اشار الى بعض هذه الوقائع الهامة (كخلق الانسان من طين وخلق الجن من النار ورفع السماء وبسط الارض) ليشير عناصر الفهم والتبصر في النفوس ليقود اصحابها التفكير الحر النزيه حتى يصلوا الى الله معترفين بوجوده خاضعين خاشعين لجلاله وعظمته قدرته ، (قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (١٠٨) (يا ايها الناس ان كنتم في ريب مما البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء) (١٠٩) . ثم قلت له :

حقيقة موقف الاسلام من نظرية داروين

اما بشأن نظرية داروين وما هو الراي الصائب الذي يجب ان يقفه الانسان منها (من الناحية الدينية) فقد اوضحت لكم فيما مضى من مناقشة ، ان قواعد نظرية داروين (جوهرها لا استنتاج المحدثين منها وتفسيراتهم لها) لا تضيق بها ذهنية الاسلام ولا تتنافى مع وجود الله .

القول بتحدر الانسان من الحيوان لا ينافي الاسلام

فليس مما ينافي الاسلام او يهدم التوحيد القول بان الله تعالى قد

(١٠٨) يونس : ١٠١

(١٠٩) الحج : ٣

بدأ خلق الانسان بجراثومة صغيرة انتبتها حول المستنقعات ثم طورها بقدرته وحولها من حيوان الى آخر الى ان صارت انسانا كاملا (كما هو زعم داروين) ، كما انه ليس مما يتنافى مع الاسلام ، القول بالوراثة او المطابقة او تنازع البقاء او الاختيار الالهي (الذي يسميه الماديون الانتخاب الطبيعي) وهو ان البقاء في ميدان الصراع ؟ (اذا ما تشب) لا يكون ، الا للاقوى والاصلاح ، وهي القواعد الاربع التي بنى عليها داروين نظريته والتي فصلناها فيما مضى من مناقشة .

فاكثر هذه القواعد هي حقائق واقعة شهدها الناس قبل ان يخلق داروين بالآف السنين ، فتنازع البقاء وحتمية ان يكون هذا البقاء للأقوى والاصلاح في ميدان الصراع وكذلك انتقال الخصائص بالوراثة امور لا يستطيع احد انكارها وهي من صنع الله الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وضعها وجعلها ناموسا عاما بين الكائنات الحية لحكمة يعلمها هو .

اما قانون المطابقة (١١٠) فلم يقدّم اي دليل قاطع على انه موجود ، ولكن اذا ثبت (علميا او حسيا) انه موجود فانا يرجعنا الى مصادر ديننا واصوله لن نجد اية تعارض بين هذا القانون وبين اي نص من نصوص ديننا الحنيف .

فاذا ما ثبت ان مخالبا الاسد التي خلقها الله فيه لياكل بها اللحوم التي هي غذاؤه الوحيد والتي لا حياة له بدونها ، اذا ما ثبت ان هذه المخالبا والانياب الحادة قد استبدلت بغيرها من الالات الاخرى كالالات التي لا تصلح الا لقصم الحشيش والنبات والامعاء التي لا يمكن هضم النبات الا بها وذلك اذا ما اضطر نوع الاسد الى العيش (طيلة آلاف السنين) في بيئة لا يوجد فيها أي شيء من اللحوم (الغذاء الوحيد للاسد) وانما يوجد فيها (فقط) النباتات او ما في درجتها من الاغذية ، ان هذا (وهو الذي يزعمه داروين) اذا ما ثبت ليس فيه اية مناقضة للدين او هدمًا للتوحيد ، بل على العكس انه ليدل على حكمة الخالق ورحمته ، لانه بهذا القانون قد يسر لنوع الاسد ان يعيش بعد ان كان فناءه محققا بانعدام الغذاء الوحيد الذي لا حياة له بغيره ، لو لم يغير الله من طبيعة امعائه وشكل الالات التي يتغاطى بها انواع الغذاء الجديد الذي ما له بها معرفة .

تحذير مهم

غير ان الشيء الذي يجب علينا (كمسلمين مؤمنين بالله وبكتابه وسنة نبيه) ان نقف منه موقف الحذر ، ولا يمكننا قبوله - بأي حال من

(١١٠) انظر قانون المطابقة حيث فصلنا القواعد الاربع التي بنى عليها داروين نظريته .

الاحوال - ويجب علينا ان لا نتردد لحظة في الحكم بالكفر والخروج من الدين على من قال به ، هو :

١ - ان يعتقد القائل بنظرية داروين ان الحياة الاولى التي اشار اليها داروين في نظريته ، قد وجدت مصادفة وانها حدثت بغير قدرة الله وارادته وانما تولدت من المادة تولدا ذاتيا (١١١) ، وان كل ادوار التطور والتحول والارتقاء قد حدثت تلقائيا ، اي بغير قدرة الله وعلمه وارادته .

٢ - وان يستلم القائل بهذه النظرية ان الانسان الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو ابونا آدم عليه السلام (١١٢) .

لان في القول الاول انكارا لوجود الله سبحانه وتعالى ، وفي القول الثاني ، تكذيبا صريحا للقرآن الكريم ، لانه ينفي قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة في القرآن) نفيا تاما ، يضاف الى هذا ان قصة وجود انسان اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم (كما هي قواعد نظرية داروين) هي قصة مبنية (باعتراف قطبها داروين) على الفرض والتخمين والظن ، ومن السفه ان ينفي الانسان (وخاصة المسلم) قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليصدق قصة ليس لها اي ظل من الحقيقة ، قصة اساسها الفرض والحدس والتخمين ، لا القطع واليقين .

اما اذا كان المقتنع بنظرية داروين قد بنى اقتناعه (حسب الاحتمال الذي وثق به الاخ بين قصة الخلق في القرآن وبين نظرية داروين) وهو انه (فعلا) كان هناك انسان اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، وان هذا الانسان الاول الذي تزعم النظرية وجوده (ضمن سلسلة التحولات والتطورات) ليس هو ابينا آدم بالذات وانما هو انسان آخر انقرض مع نسله انقرضا كلياً ، او ان ابانا آدم (الانسان الكامل الاول) قد جاء بقدرة الله نتيجة تطور ذلك الانسان الغير الكامل ، باعتبار ان هناك اجيالا وجدت من نوع الانسان قبل ابينا آدم (كما روى الفخر الرازي في تفسيره عن الامام محمد الباقر (١١٣)

(١١١) كما يزعم لامارك وارنست هيكل واوبرين ومن تبعهم من الملحدين .

(١١٢) وهذا (قطعا) لم يصرح به داروين في اي كتاب من كتبه .

(١١٣) ترجمة الامام الباقر :

هو ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (رضي) احد الائمة الاثني عشر (في اعتقاد الامامية) كان الامام الباقر عالما سيدا كبيرا ، وقد سمي الباقر لانه يقرر في العلم ، اي توسع ، والتبقر .. والتوسع ، وكان (رضي) ناسكا عابدا ، قال الزركلي في الاعلام .. له في العلم وتفسير القرآن آراء ، ولد بالمدينة في شهر صفر سنة ٥٧ هـ وتوفي بالجمعة سنة ١١٣ هـ ونقل الى المدينة ودفن بالبقيع ، وكان عمر الامام الباقر - يوم استشهد - جده الحسين - رضي الله عنه ثلاث سنوات .

ان الله تعالى قد خلق قبل ابينا آدم الف الف آدم) .

وكذلك اذا بنى المتنوع بنظرية داروين اقتناعه على ان الحياة الاولى التي جاء ذكرها في النظرية قد وجدت بقدرة الله تعالى ، وأن مراحل التطور والتحول والارتقاء التي بدأ خلق الإنسان فيها (كما يقول داروين) يجرثومة صغيرة نبتت حول المستنقعات من الطين وانتهت بخلق الإنسان الكامل ، قد تمت كلها بإرادة الله وقدرته تعالى .. فالذي يبني اقتناعه بصحة نظرية داروين حسب هذا الاعتقاد المحتمل ، لا يمكن الحكم عليه بالكفر او الخروج على الاسلام بما يخالف شيئا من نصوصه .

لانه لم يقل قولا يستحق هذا الحكم ، اذ كل ما في الامر انه زعم زعما وادعى حدوث امر (من المحتمل والجائز شرعا وعقلا أن يكون قد حدث) الا انه ليس لديه اي دليل علمي قاطع او حسي قائم على صحته وحدوثه ، هذا هو غاية ما يمكن الحكم به على المؤمن بنظرية داروين اذا كان قد آمن بها على النحو الذي فضلناه أخيرا .

ذلك ان الذي يترجح لديه وقوع امر من الامور الكونية بناء على فروض افترضها وتقديرات قدرها واحتمالات رجحها (لا أدلة قاطعة عرفها او براهين محسوسة لمسها) ليس في دين الاسلام ما يبيح لنا وصفه بأنه خرج على الدين وانكر وجود الله ، ما دام ان ذلك ليس فيه هدم للشريعة او انكار للتوحيد .

لانه حتى لو صح انه مخطيء في تقديراته وافتراضاته وأن ما ذكره لم يكن حقيقة واقعة ، وانما كان وهما من الاوهام فانه ليس لدينا ما يبرر لنا وصفه الا بأنه قد اخبر بغير الواقع وأن ظنونه كانت كاذبة ، وكم يخطيء الظن ويصيب .. ومن كان هذا شأنه ليس من الانصاف اصدار الحكم عليه (جزافا) بالكفر والضلال .

التوقف اقوم سبيل

اما الرأي الذي اراه صائبا والذي يجب ان يتخذه المسلم (من الوجهة الدينية) حيال نظرية التطور والارتقاء من حيث جوهر قواعدها (لا الاراء اللاحادية التي اقحمها الملحدون عليها كفسير لها) فهو التوقف وعدم اصدار اي حكم باسم الدين فيها لا بتفي ولا اثبات ، وذلك على اعتبار أن وقائع هذه النظرية من الجائز الممكن أن تكون قد حدثت فعلا ، وأن لا تكون قد حدثت ، بل وكل النظريات العلمية القابلة للصحة والبطلان من الخطأ الشنيع اصدار حكم عليها (باسم الاسلام) بتفي او اثبات ، لان كثيرا من النظريات العلمية كانت في نظر اصحابها حقيقة واقعة لا يتطرق اليها الشك

ثم استجد من العلوم والبحوث والتجارب ما جعل أصحابها انفسهم
يعتبرونها خرافة من الخرافات .

كما ان هناك نظريات اخرى كانت في نظر علماء ومفكرين وشيوخ
فضلاء متبحرين صالحين خرافة من الخرافات وضلالا من الضلالات ، ثم
توفر لديهم من الوسائل العلمية والذهنية ما جعلهم يؤمنون بانها حقائق
واقعة ونعم وخيرات ساقها الله اليهم .

لا تنفوا باسم الاسلام ما لم ينفعه

وهكذا فان اقحام الدين في مثل هذا الميدان ومحاولة اصدار الاحكام
القاطعة على هذه النظرية او تلك (مما لم يكن فيه نقضا صريحا للدين
او هداما للتوحيد) باسم هذا الدين ، امر لا يرضاه الدين نفسه ، وقد
يعرضه لخطر شديدة تنتهي به الى ان يتشكك الناس فيه ويرتابوا في
صحته .

فمثلا ، لو اصدرنا حكما على هذه النظرية او تلك (باسم الدين) بانها
صحيحة ثم اتضح فيما بعد بما لا يدع مجالا للشك بانها غير صحيحة ، فمن
يا ترى الذي يدفع الثمن غالبا من سمعته ومنزلته ؟؟

انه الدين نفسه دونما جدال .. الدين الذي نكون قد جنينا عليه
باقحامه في غير ميدهاته ، وقلنا باسمه ما لم يقله هو .

ومثل هذا يقال فيما اذا حكمنا (باسم الدين) على نظرية من النظريات
اياها بالبطلان ثم اتضح بما لا يدع مجالا للشك بانها حقيقة واقعة .

ولهذا فان اسلم موقف تقفه باسم الدين حيال نظرية داروين وامثالها
هو التوقف وعدم اصدار اي حكم بشأنها لا بنفي ولا باثبات ، على اعتبار ان
امر هذه النظرية موقوف على سبيل الجواز والامكان ، اللهم الا ما ادخله
الملحدون على هذه النظرية وتمحكوا به لجعله وسيلة لهدم الشريعة ونقض
التوحيد .

وقولنا هذا انما يتفق كل الاتفاق مع طبيعة رسالة الاسلام التي لم
تات لاعلان القول الفصل في مثل هذه النظريات القابلة (شرعا وعقلا) للصحة
والبطلان .

التوقف لا يتنافى القرآن

نقال الاخ المعترض ..

وقصة خلق الانسان في القرآن ، الا يتنافى التوقف في امر هذه

النظرية (باسم الدين) معها ؟. فقلت له .. (لا) ليس هناك اي تناف ..
الذي يقول بنظرية داروين بناء على الاحتمال الذي ذكره الاخ ، وهو ان الله
هو الذي اوجد الحياة وطور الانسان وراقه حتى صار انسانا كاملا (حسب
نظرية داروين اذا ما صحت) وان الانسان الاول الناقص الذي جاء ذكره
في هذه النظرية ليس ابانا آدم ، وان ابانا آدم هو الانسان الكامل الاول .

فالذي يؤمن بصحة نظرية داروين على هذا الاحتمال ، ليس في قوله
ما ينبغي ان الله خلق الانسان من طين ، ما دام يؤمن بأن الجرنومة الاولى
التي صدر منها الانسان قد تولدت من الطين حول المستنقعات بقدرة الخالق
(كما صرح بذلك داروين في آخر كتابه .. اصل الانواع .

نعم يتنافى هذا القول او التوقف فيه مع الراي القائل ان الله كوّن
آدم من الطين مباشرة ودون مرور اية ازمان ومراحل حياتية عليه قبل اكمال
خلقه ، ولكن تنافي نظرية داروين مع هذا الراي لا يبرر الحكم على القائل
بها بأنه قد كذب القرآن ، لانه ليس في أي نص من نصوص هذا الكتاب
العزيم ما يمكن اعتباره تصريحاً بهذا الراي ، لان كل الايات التي اشارت الى
الطين لم يأت فيها أي تفصيل يفيد أن الله تعالى قد خلق الانسان من
الطين مباشرة ودون أن تمر به اية ادوار من التطور والارتقاء بأن اقام له
تمثالا من الطين ثم نفخ في هذا التمثال الروح مباشرة ، ذلك ان هدف هذه
الايات الاول (كما هو سياق القرآن) انما هو تذكير الانسان والغات نظره
الى ان مصدره الطين ، كما لغت نظره وذكرته آيات اخرى الى ان مصدره
الماء والصلصال والحما والنطفة .

فقال .. الا يشعرونا قول الله تعالى :

اني خالق بشر من طين . فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين (١١٤) .. الا يشعر قوله تعالى (فاذا سوّيته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين) بأنه تعالى قد سوى الانسان ونفخ فيه الروح
بعد أن اقام له من الطين صورة كاملة نفخ فيها الروح ؟؟

فقلت له .. الذي اعتقده أنه لا دليل في هذه الآية على ذلك
البتة (١١٥) ..

(١١٤) الحجر ٢٨

(١١٥) جاء في كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله (الفلسفة القرآنية) ص ١٧٤
نحت عنوان (بين البحث والتخمين) قوله .. قرأت في عدد شهر ربيع الاول في مجلة (منبر
الاسلام) مقالا لحفصة صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي بعنوان (تفسيرنا للقرآن
لا يكون بالتخمين) يقول فيه من مبادئ عامة يقرها .. (ان القرآن عربي واسلوبه خاضع =

فهذا كله انما هو لآفات النظر واثارة عناصر التبصر والتدبر والاعتبار فقط ، فهو ليس لنفي أن تكون هناك اطوار قد مرت بالإنسان تطور فيها وترقى وتحول قبل اكمال تكوينه .

ولو جاز فهم مقاصد القرآن على النحو الذي ذكرت للزم علينا الاعتقاد

= للقواعد العربية) ثم يقول من قصة خلق آدم : قاله تعالى يخبرنا في سورة (ص) بحديثه مع الملائكة « اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ثم قال الاستاذ العقاد ... والبدأ الاول الذي يقرره الاستاذ ويقرره مع فضيلته كل باحث في معاني القرآن الكريم هو ان قواعد اللغة العربية تقتضي (بأن اللفظ لا يصرف عن معناه الظاهر الا لضرورة تقتضي ذلك والا كان صرف اللفظ عن معناه ضربا من التخمين ، وهذا - كما تقدم - ميذا يقرره مع الاستاذ كل باحث في معاني القرآن الكريم ، وفي معاني اللغة في كل كلام مفيد ، وانما يحتاج الامر الى التعريف بالتخمين ما هو ؟ وما الفرق بينه وبين البحث عن المعاني في اخبار الوحي بالامور الغيبية على التخصيص وهي بانفاق الاقوال معلومة الكلمات مجهولة الكيفيات وعلى الاخص فيما ينسب الى الخالق سبحانه وتعالى من عمل او كلام .. فالتخمين - قطعاً - في معنى هذه الآية وسائر الآيات ان يرمي قارىء القرآن ان التسوية الالهية كالسوية التي تعدها في اعمالنا نحن المخلوقين من الآدميين ، وان النسخ في خلق آدم من الطين كالنسخ صفنا بالانواء وان طينة آدم كطينة التمثال الطيني الذي يصوره المثالون مشابها للانسان بالامضاء والوظائف بغير حراك ... ان الذي يرمي ذلك « يخمن » في فهم اللفظ والمعنى بلا جدال ، لان اعمال الاله جل وعلا تنزهت عن مشابهة الاعمال الادمية وعن كل عمل محدود من اعمال المخلوقات .. فليست معاني الكلمات في المجمعات اللغوية هي مدار البحث عن تفسير هذه الآيات لان الامر فيها يرجع الى الكيفيات المجهولة التي نجزم بحقيقة واحدة منها ، وهي انها « كيفية » منزوعة عن مشابهة اشغال المخلوق .. ما التسوية ؟ وما النسخ ؟ وما الروح ؟ وما مدلول الآية الكريمة بعد التحقق من معاني هذه الكلمات ؟ .. اذا كانت « الكيفيات » مجهولة هنا ، فالمعلوم الذي لا يخفى به قطعاً انها ليست تسوية باليدين على مثال تسوية الصوريين الآدميين ، وانها ليست نفعاً بالافواه كما ينفع الانسان الهواء في الطين او غير الطين وان الروح ليست بالروح الانسانية وليست على اية حال بالكيفية المحدودة بالقواميس والمراجع ، لان روح الانسان المخلوق مجهولة يعلمها الله وحده كما نفهم من آيات القرآن ، وتعد الكلام فيما هو اعظم من ذلك واخفى على العقل من معنى الروح متسوبا الى الله .. كل ما يجوز ان نفهمه من معنى النسخ انه بث قوة الحياة في الطين . وفي كم من الوقت حدث هذا ؟ .. اتي لحظة واحدة ؟ .. اتي يوم واحد ؟ .. اتي الدهر المتطاوّل ؟ .. من جزم بشيء من ذلك ؟ فانما يخمن ويجزم على التخمين بل لو قيل هذا كله تم في وقت كلمح البصر لما جاز لاحد ان يحصره في اللحظة الموهودة لدينا ، لان اللحظة عند الله يتم فيها امر الساعة كله « وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب » وهذه اللحظة مقرّنة بها في القرآن الكريم خلق كل شيء وتقديره « انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر » .. واذا قيل ان بث الحياة في طينة آدم تم في يوم واحد فان اليوم الواحد مجهول القدر في علم الله « وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » وقد يكون اليوم خمسين الف سنة كما جاء في قوله تعالى « صرح الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » .. وهذا من حيث الوعد القدور لبث الحياة في طينة آدم بعد تسويتها ، فما هي التسوية ؟ .. وكمن الزمن قدومه الله تعالى لظهور هذه التسوية في خلق الطين وفي خلق البنية =

جميعا. بان الله لم يخلق احدا الا بعد ان اقام له صورة من الطين ثم نفخ فيها الروح ، لان الله تعالى يقول مخاطبا جميع البشر :

(هو الذي خلقكم من طين) . وهذا تماما (من ناحية الاعتبار والتدبر) كقوله تعالى (اني خالق بشرنا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) .

فقال .. ان تلك الآية (هو الذي خلقكم من طين) انما تقصد لفت نظر بني الانسان عموما الى ان اصلهم انما مرجعه الطين .

فقلت له .. وكذلك الآية (اني خالق بشرنا من طين) انما يقصد بها لفت نظر الملائكة الى ان الله تعالى سيخلق بشرا مصدره الطين ، فليس في الآية ما يفرض الاعتقاد بأنه يقصد اخبار الملائكة (على وجه التحديد) بأنه سيقم صورة لهذا البشر من الطين مباشرة وانه سينفخ في هذه الصورة الطينية بالذات من روحه ، وكل ما في الامر انه اثار انتباه الملائكة ولفت نظرهم الى انه سيخلق بشرا من طين وأمرهم بالاستعداد بالسجود لهذا البشر عند نهاية خلقه ، كما اثار انتباههم ولفتت نظرهم (في آية اخرى)

« الادية منه .. » من جزم بوقت محدود لهذه التسوية فذلك هو التخمين بغير دليل، ومثله في التخمين بغير دليل ان يزعم الزاعم كيفية لهذه التسوية يتمتع ما عداها ويحرم علينا ان نفهمه من مدلول الآيات ... واذا كان هذا هو مدلول النفخ والتسوية والطينة ، فالحقيقة التي هي اجل من ذلك قدرا واغنى من ذلك سرا هي حقيقة الروح ومعناها المقصود في قوله تعالى (ونفخت فيه من روحي) .. فان كلمة الروح قد وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى في سورة الشورى « وكذلك اوحينا اليك روحنا من امرنا .. » ومنها قوله تعالى في سورة الشعراء « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين » .. ومنها قوله تعالى في سورة النحل « قل نزله روح القدس من ربك بالحق » .. ومنها في سورة النساء « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » .. ومنها في سورة مريم .. « واذكري في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فامضت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا .. » وفي سورة الانبياء .. « والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين .. » وكل كيفية يحفل بها نفخ الروح بالمعنى الذي وردت به في هذه الآيات فهي كيفية مفروضة على التخمين ، وكل جزم باتكاف ما عداها فهو جزم مفروض على التخمين .. وقد كان نفخ الروح من قبيل ولادة عيسى عليه السلام ، وكان من آياته ان يتمثل بشرا سويا في غير هذا المقام ، وكان الروح وحيا ومصدرا للوحي وسرا محجوبا على علم بني آدم في جميع هذه الاحوال ، ثم يشتتم الاستاذ العقاد بحثه العظيم هذا بقوله :

وعلى المسلم ان يؤمن بان الله تعالى بث روح الحياة في الطين وسوى الطين سلالة خرج منها آدم عليه السلام ، ولكن ليس لاحد ان يفرض عليه كيفية للتسوية والنفخ والخلق بلغي كل ما عداها ، وان يقرر للتسوية والنفخ والخلق وقتا محددا باللمعة او اليوم او الدهر ويكون بمقدار واحد ولا يكون بغير ذلك المقدار .. ا هـ .

بأنه سيخلق نفس هذا البشر من صلصال من حمأ مسنون وأمرهم أيضا بالاستعداد بالسجود له عند نهاية خلقه .

فقال .. ولكن هناك فرق في الخطاب في الآيتين ، فآية (هو الذي خلقكم من طين) موجهة الى أناس قد سبقتهم أجيال من نوعهم ، وهذا الذي يجعلنا نجزم بأن هذه الآية إنما تعني لفت نظر الانسان بصفة عامة الى أن أصله من طين ليتعظ ويعتبر .

أما آية (اني خالق بشر من طين) فهي تشير الى أن الله خاطب الملائكة بأنه سيخلق انسانا أول من الطين، وهو الانسان الأول الذي لم يسبقه انسان من نوعه ، وهذا هو الذي يجعلنا نجزم أن هذا الانسان الأول (وهو آدم) قد نفخ الله فيه الروح بعد أن صورّه من الطين .

فقلت له .. ومن هو الذي أكد أن آينا آدم لم يسبقه انسان قبله من نوع آخر ونفى أن تكون هناك أمم (قبل أمة آينا آدم) قد خلقها الله وأفناها ، وهل ورد في شيء من الآيات الكريمة أو الاحاديث الشريفة ما يؤكد نفي هذا؟ فقال .. لا لم يرد شيء من هذا القبيل البتة .

فقلت له .. اذن لقد سقطت حججكم، وصح يقينا انه ليس هناك في القرآن الاول الذي لم يسبقه نوع انسان آخر مع ان وجود امم قبل آينا آدم محتمل شرعا وعقلا ؟؟

فقال .. حججنا ان القرآن (عندما ذكر قصة خلق آدم) لم يصرح بشيء من هذا .

فقلت له .. وهل كل ما لم يفصله القرآن ولم يذكره من حوادث الخلق والتكوين يعتبر دليلا قاطعا على عدم حدوث هذه الحوادث ؟؟

فقال (طبعاً) لا ..

فقلت له .. اذن لقد سقطت حججكم، وصح يقينا انه ليس هناك في القرآن ما يمكن اتخاذه دليلا على ضلال من اعتقد أن هناك من نوع الانسان أمما قد سبقت آينا آدم ، وصح يقينا (ايضا) انه ليس هناك في هذا الكتاب الخالد (القرآن) نص صريح يحتم علينا الاعتقاد بأن الله قد خلق آينا آدم بعد أن كوّن له صورة من الطين مباشرة ثم نفخ في هذه الصورة بالذات من روحه ، وكل ما يلزمنا أن نؤمن به هو انه تعالى قد خلق الانسان من طين كما خلقه من ماء وصلصال وحمأ مسنون . اما كيف خلق آينا آدم وكيف صورّه وتلى أي شكل كان هذا التصوير وبأية طريقة ، فهذا ما لا يوجد أي دليل في القرآن يحتم علينا الايمان به تفصيلا .

بل حتى لو ثبت (شرعا) أن الله تعالى لم يخلق أي نوع انساني قبل

اينما آدم ، فان ذلك لا يلزم منه القول ان الله تعالى قد بدأ خلق الانسان بصورة كاملة من الطين نفخ فيها الروح مباشرة ، لانه لم يرد اي نص شرعي يفرض علينا الاعتقاد بذلك .

وحيث الامر هكذا فانه ليس من حقنا الحكم بالكفر والضلال على من ترجح لديه القول (لسبب من الأسباب او دليل من الأدلة استساغها عقله) ان الله قد بدأ خلق الانسان بجرثومة من الطين انبتها حول المستنقعات (كما هي نظرية داروين) لان هذا القول ليس فيه اي تكذيب للقرآن ، ولا آية مناقضة للتوحيد . وكل ما في الامر ان الذي يقول هذا القول ليس لديه اي دليل قطعي يجعل قوله هذا حقيقة واقعة ، ومن كان هذا شأنه يجب ان يبقى قوله (لذلك) موقوفا على سبيل الامكان والجواز ، ولا يلزم غيره من الناس ان يقول به .

ليس في الاسلام ما ينافي العقل او العلم

ثم قلت له ... ونحن لا نقول هذا وننصح بالتزامه ايمانا منا بصحة نظرية داروين ، فقد قلنا كلمتنا اكثر من مرة بشأن هذه النظرية وانهما نظرية لم تخرج بعد عن دائرة الغرض والحدس والظن والتخمين ، لذلك فنحن لا تؤمن بصحتها ولا نجزم بانها حقيقة واقعة .

ولكن الذي جعلنا نذهب في المناقشة الى هذا الحد انما هو رغبتنا الصادقة في اقناع من هو على مستوى اخينا المعارض من العلماء بأنه ليس من مصلحة الاسلام تحميل نصوصه ما لا تحتمله للزج به في ميدان ليس من طبيعة رسالته الخوض فيه ، كما اننا (من ناحية أخرى) نهدف الى ان نلقم اعداء هذا الدين (الباحثين له كل يوم عن مطاعن) حجرا ، بالاثبات لهم بأن هذا الدين الخالد لم ولن تضيق ذهنيته بما تحققة العلوم الحديثة من مكتشفات ، وانه لم ولن يتعارض مع العقل او يتصادم مع الحقيقة والمنطق والواقع في اي مجال من المجالات ، لانه دين العقل والعلم والمعرفة ، وليست فيه آية متناقضات تتنافى مع العقل والعلم .. وان نظرية داروين لو صحت (حسب قواعدها الاربع) فان اعداء الاسلام الحريصين على التشكيك فيه لن يجدوا في نصوصه انه سبق له ان نفى مثل هذه النظرية ، وهو ما يتوق هؤلاء الاعداء الى تسجيله على هذا الدين ليتخذوا من ذلك دليلا على تناقضه مع الحقائق الواقعة .

فقال الاخ المعارض ... اني اراك يا قوالك الاخيرة هذه قد رجعت عن قولك الاول ، وهو ان القول بنظرية داروين فيه تكذيب صريح للقرآن .
فقلت له ، لقد قلت هذا فيما مضى اعتقادا مني ان من اسس نظرية

داروين القول بأن الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو ابونا آدم عليه السلام ، فلم اتردد (لذلك) في الحكم بالكفر على من قال بذلك القول لانه قول باطل ، فيه تكذيب صريح لكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث أن هذا القول (كما بينت فيما مضى من مناقشة) يتناقض مع الآيات المحكمة التي ذكرت قصة آدم وحواء والجنة والملائكة وابليس ، ولاني واثق من أن أي قول فيه ادعاء يتناقض مع أي نص صريح في القرآن ، هو ادعاء زور وبهتان واقتراء ، لانه ليس في كتاب الله حرف واحد يتنافى مع اية حقيقة ثابتة .

ولكنني على اثر النقاش الواعي المركز الذي قام به الاخ (حول هذه الناحية) تبين لي انه ليس من مستلزمات الايمان بنظرية (داروين) القول ان ابانا (آدم) هو (بالذات) الانسان الناقص الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، بل تبين لي ان (داروين) لم يأت عنه في أي قول من أقواله ان ابانا آدم هو (بالذات) الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

فذلك (اذن) هو سر ما سمعت (اخيرا) من آرائي حيال جوهر نظرية (داروين) والقائلين بها حسب قواعدها الأربع ، مما يمكن اعتباره رجوعا مني عن بعض ما قلته حيال هذا الموضوع .

وبهذا المقطع من الحديث اختتمت فصول المناقشة (بشأن نظرية داروين) وانفض جميع الذين حضروا جلسات هذه المناقشة .. والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الفر اليامين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

**أهم الكتب التي جرى فيها النظر
عند تأليف هذا الكتاب**

<u>اسم المؤلف</u>	<u>اسم الكتاب</u>
عبد الرزاق نوفل	الله والعلم الحديث
نخبة من العلماء الامريكيين	الله يتجلى في عصر العلم
عبد الرزاق نوفل	القرآن والعلم الحديث
الامام الرازي	تفسير الفخر الرازي
سيد قطب	في ظلال القرآن
الاستاذ نديم الجسر	قصة الايمان
السلطان صالح بن غالب التميمي	الايات البيّنات الدالة على وجود
سلطان حضرموت	خالق الكائنات
احمد البلخي	البدء والتاريخ
عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي	أصول الدين
محمد فريد وجدي	دائرة المعارف
الدكتور عمر فروخ	عقوبة العرب
عبد الرحمن بن خلدون	مقدمة ابن خلدون
عباس محمود العقاد	الفلسفة القرآنية
سمير شيخاني	مع الخالدين
كاترين ب. شيبين	رجال ومجاهر
عباس محمود العقاد	الانسان في القرآن الكريم
محمد قطب	الانسان بين المادية والاسلام

اسم الكتاب

اسم المؤلف

قصة الانسان	جورج حنا
رجال عاشوا للعلم	نخبة من العلماء الاوروبيين
الاعلام	خير الدين الزركلي
وفيات الاعيان	ابن خلكان
تيارات الفكر الفلسفي	اندرية كريسون
معالم تاريخ الانسانية	هـ . ج . ولز
عباقة العلم	جورج ملستي
تاريخ الفلسفات الكبرى	بيير دوكاسيه
عماقة العلم	فيليب كين ، وصمويل نيسنسون
تاريخ الفلسفة الحديثة	يوسف كرم
العلم يدعو للايمان	ا . كريسي موريسون
التفسير العلمي للآيات الكونية في	
القرآن	حنفي احمد
فلسفتنا	السيد محمد باقر الصدر
عقائد المفكرين	عباس محمود العقاد

فهرس الاعلام

الامام محمد الباقر

* ٨٢ - ١٢٣ - ١٥٤

بختر

ص ٨ - ٢٧ - ٤٢ - ٦٢

* ٦٩ - ٧٠ - ٧٥

الامام الحسن البصري

ص ١٣٨ - ١٤١ - ١٤٢

١٤٤

الامام البلخي

* ص ٢٢ - ١٤١ - ١٤٢

١٤٤

- ج -

الشيخ نديم الجسر

* ص ٢٢ - ٥٠ - ١١٠ - ١٤٠

جراهام

ص ١١٣

قبطنطين جيمس

ص ١٠٩

برنارده جوسيه

* ص ٢٢ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢

- ح -

ساطع الحصري

ص ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٤

جورج حنا

ص ٦٩ - ١١٢

ابراهيم الحوراني

ص ٥٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩

- ٢ -

ابن خلدون

ص ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٣

١٤٤

ابن مسكويه

ص ١٤٠ - ١٤٣

اخوان الصفا

ص ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢

اديب اسحاق

ص ٥٥

خير الله اسطفان

ص ٥٥ - ٦٥ - ٦٦

الشيخ محمد رضا آل العلامة

التقي الاصفهاني

ص ٥٥ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١

٦٢

اغاسيز

ص ٥٣ - ٥٤ - ٨٢

جمال الدين الافغاني

ص ٥٥ - ٨١

البرت انشتين

ص ١١٩

اويارين

ص ٨ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٤٠

١٥٤

ايمر

ص ٦٥

- ب -

باسكال

* ص ٢٠

* هذه العلامة تدل علما ان مكان المرجع في حاشية الصفحة .

- د -

مستر فور دایس

ص ۹۷ - ۱۱۲ .

الدكتور دوفيلد

ص ۱۰۹

دوفري

ص ۵۰ .

- ر -

الامام الفخر الرازي

* ص ۸۲ - ۱۲۳ - ۱۳۸ -

* ۱۴۱ - ۱۴۴ - ۱۵۴ .

روزا

ص ۵۴ - ۶۷ .

جان جاك روسو

* ص ۲۲

الدكتور به ري

ص ۱۰۸ .

شارل ريشه

* ص ۱۰۲ .

رينك

ص ۶۵ .

- ز -

خير الدين الزركلي

* ص ۵۵ - ۶۹ - ۱۰۷ -

* ۱۴۱ - ۱۵۴ .

- س -

عبد اللطيف السبكي

* ص ۱۵۷ .

جورج سلسي

* ص ۵۴ - ۶۱ - ۱۱۳ .

الدكتور حليم عطية سوريال

ص ۵۵ - ۶۶ - ۶۷ .

- ش -

شافوزن

ص ۱۴۸ .

الدكتور احمد شكري

* ص ۸۴ .

شلفر

ص ۱۴۸ .

شيلي شميل

ص ۶۹ - ۷۰ - ۷۱ - ۷۲ .

السيدة كاترين ب. شيبين

* ص ۲۳ - ۷۹ .

- ص -

السيد محمد باقر الصدر

* ص ۹۵ .

الاب جرجس فرج صفي

ص ۵۵ - ۶۳ .

- ع -

الشيخ محمد عبده

* ص ۵۵ .

عباس محمود العقاد

ص ۴۸ - ۵۹ * ۶۹ - ۷۰ -

۷۱ - ۷۲ - ۹۸ * ۱۳۱ -

* ۱۵۷ - ۱۵۸ .

- غ -

غراي

ص ۱۱۴ .

المونشيور سه غور

ص ۱۰۸ .

- ف -

فرخو

ص ۵۳ .

الدكتور عمر فروخ

* ص ۱۳۹ .

الكاردينال ماننغ

ص ١٠٨ .

الدكتور مكوشي

ص ٦٦ .

- ن -

نيوتن

ص ٧٥ - ١١٩ .

- ه -

ادوارد فون هراتمان

ص ٦٥ .

توماس هنري هكسلي

ص ٥٤ - ٦١ - ٦٦ - * ١٠٨ -

١٤٧ - ١٤٨ .

جوزيف دالتون هوكر

ص ٧١ - ٨١ .

ارنست هيكل

ص ٨ - * ٢٠ - ٢٤ - ٢٦ -

٢٨ - * ٢٩ - ٣١ - ٣٢ -

٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ -

٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ -

٤٣ - ٤٧ - ٧٥ - ٩٦ -

١١١ - * ١٥٤ .

- و -

محمد فريد وجدي

ص ٤٩ - * ١٠٣ - * ١٠٤ -

١٠٧ - ١١٠ - * ١٣٥ -

* ١٤٤ - ١٤٨ .

وستن

ص ٧١ .

ولاس

ص ٥٢ - ٦٩ - ٩٨ - ١١١ .

ه. ج. ولز

* ١٤٩ .

غوستاف وولف

ص ٦٥ .

- ق -

محمد قطب

ص ٩٦ - ١١٢ - * ١١٩

السلطان صالح بن غالب القعيطي

* ص ٢٧ - ٤٥ - * ١٠٢ - ١١٠

- ك -

يوسف كرم

ص ١١٤

الجنرال كلمان

* ص ١٤١

كوفييه

ص ٦٠ - ٨٢ .

- ل -

لاريت

ص ١٤٨ .

لامارك

ص ٨ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ -

٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ -

٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٧ - ٤٩ -

٧٥ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ -

٨٦ - ١٤٠ - * ١٤١ -

* ١٥٤ - ١٤٤ .

جون ليوك

ص ١٤٨ .

لو تاردت

ص ١٠٩ .

ليتريه

ص ٢٧ .

لينوس

ص ٨٢ .

- م -

كارل ماركس

ص ٧٢ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ .

القسي توماس مالتوس

ص ٨٢ - ٨٦ .

الفهرس

٥	مقدمة بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري
٧	كلمة المؤلف
١٧	اعتراف ورجاء
١٩	الفصل الاول
٢١	ما هي نظرية التطور والارتقاء ؟
٢٢	كيف بدأت الحياة عند داروين ؟
٢٣	كيف تتحول الانواع الى غيرها ؟
٢٤	اول المؤسسين لنظرية التطور والارتقاء
٢٥	بين داروين ولامارك
٢٦	جناح الالحاد في النظرية
٢٦	ما هي الطبيعة عند الملاحدة ؟
٢٧	كيف تتولد الحياة عند لامارك ؟
٢٧	نقض مزاعم الملحدين بشأن قدرة الطبيعة
٢٨	تناقض الملحدين بشأن الطبيعة
٢٨	لا يكون الخالق احط من المخلوق
٣٠	هكذا يعترف الملحدون بوجود الله
٣١	هل يهب الحياة فاقدها ؟
٣١	ارنست هيكل والتولد الذاتي
٣٢	نقض نظرية التولد الذاتي
٣٢	تخطئ الملحدين في دعواهم للتولد الذاتي
٣٤	كيف يزوغ الملحدون
٣٥	سفسطة الماديين
٣٥	نوادير جحا وأقوال الملاحدة
٣٦	سؤال يعجز الملحدون عن الاجابة عليه
٣٧	اعتراف الملحدين بوجود الله من حيث لا يعلمون

٢٧	اعتراف بخبر بقوة ما فوق الطبيعة
٢٨	لا بد من الاعتراف بوجود الله
٢٩	تفاصيل نظرية داروين
٢٩	نظرية هيكل ولامارك
٤١	الاتفاق بين داروين ولامارك
٤١	موضع الاختلاف بين الفريقين
٤٢	عجز داروين عن معرفة سر الحياة
٤٢	عمدة الالحاد يجهل كيفية التولد الذاتي
٤٣	القواعد الأربع لنظرية داروين
٤٧	ما هي أدلة داروين العلمية ؟
٤٨	ليس لداروين دليل قاطع على صحة نظريته
٤٨	العلم يرفض الوقوف بجانب داروين
٤٩	أهم الاعتراضات على مذهب داروين
٥٠	رأي الأستاذ نديم الجسر
٥٠	علماء أوروبا المعارضون لمذهب داروين
٥١	واقع دودة القز ينقض مذهب داروين
٥٤	هكسلي يرد على صديقه داروين
٥٤	علماء الشرق الذين عارضوا مذهب داروين
٥٥	رد الأفغاني على داروين
٥٨	عالم شيعي يناقض مذهب داروين
٦٢	أصل لفات البشر
٦٢	علماء مسيحيون يناقشون مذهب داروين
٦٢	الأب جرجس فرج يناقش النظرية
٦٥	الأسقف خير الله أسطفان
٦٦	نقض الدكتور حليم عطية لمذهب داروين
٦٧	الأستاذ الحوراني ومذهب داروين
٦٩	علماء الشرق الذين نصرروا مذهب داروين
٧٢	الرد على اتهام الشيوعية للاديان
٧٢	رمتني بدائها واتسلت
٧٨	نظرية داروين ليست حقيقة واقعية
٧٨	مستند لامارك في النظرية
٧٩	مناقشة لامارك

٨٠ مستند داروين في نظريته
٨٢ داروين وكتاب القس توماس
٨٤ اهتزاز أدلة داروين
٨٥ أهم أدلة داروين
٨٥ كيف بدأ خلق الإنسان
٨٦ مناقشة داروين
٨٧ مشاهدات تنقض حجة داروين
٨٩ الفصل الثاني
٨٩ دفاع عن داروين
٩٠ مناقشة المدافع عن داروين
٩١ نظرية داروين مناقضة للمذهب المادي
٩١ الماديون يتناقضون
٩٢ اصول الداروينية مناقضة لاصول الشيوعية
٩٣ الاختلاف بين الماركسية والداروينية
٩٥ سبب تمسك الشيوعيين بمذهب داروين
٩٦ منطقة الخطر في نظرية داروين
٩٧ لا حجة للشيوعيين في مذهب داروين
٩٧ نظرية داروين لا تدعو الى الالحاد
٩٩ افلاس الملحدين في التمسك بنظرية داروين
٩٩ أقوى حجة للملحدين في النظرية
١٠١ احتجاج الشيوعيين بالاعضاء الاثرية في الحيوان
١٠٢ نقض اقوال الشيوعيين بشأن الاعضاء الاثرية
١٠٣ الاستدلال على نفي الشيء بدليل وجوده
١٠٥ سبب الانحراف بين بعض المثقفين
١٠٥ الشيوعيون والقواعد الداروينية الثلاث
١٠٦ تنازع البقاء من سنن الله
١٠٦ البقاء للأصلح
١٠٧ مذهب داروين لا ينقض الايمان
١٠٧ داروين بين الكفر والايمان
١٠٨ هجوم الكنيسة على داروين
١٠٩ هجوم الملحدين على داروين
١١٠ دفاع الأستاذ الجسر عن داروين
١١٠ دفاع السلطان القميطي عن داروين
١١١ حقيقة داروين الدينية

١١١	ليس داروين داعية الحاد
١١٢	أقوال داروين المتناقضة
١١٣	كفر داروين آخر أيامه
١١٧	الفصل الثالث
١١٧	موقف الاسلام من نظرية داروين
١١٧	قواعد النظرية والايمان بالله
١١٨	الظن لا اليقين اساس نظرية داروين
١٢٠	قصة خلق آدم كما تراها النظرية
١٢١	موضع التعارض
١٢٢	محاولة التوفيق بين النظرية والقرآن
١٢٣	هل خلق الله اناسا قبل آدم
١٢٧	داروين والانسان الاول
١٢٨	مناقشة الجناح اللاحادي
١٢٨	موقفنا من النظرية
١٢٩	راي آخر للتوفيق بين القرآن والنظرية
١٣٠	موقف القرآن من المكتشفات الحديثة
١٣٠	ليس هذا من طبيعة رسالة الاسلام
١٣١	ليس ذلك من مصلحة الاسلام
١٣٢	هل مرت اطوار بالانسان قبل اكمال خلقه ؟
١٣٣	داروين لا ينفي خلق الانسان من الطين
١٣٤	نقاش مهم حول خلق الانسان
١٣٨	اثمة الاسلام ونظرية التطور والارتقاء
١٣٩	هل قال ابن خلدون ان اصل الانسان قرد ؟
١٤٠	قول ابن مسكويه
١٤٠	مذهب اخوان الصفا
١٤١	أقوال الامام البخاري
١٤٢	المؤلف لا يؤيد نظرية داروين
١٤٥	كيف نحمي عقائد الشباب من الانحراف ؟
١٤٦	داروين لم يقل ان اصل الانسان قرد
١٤٨	تناقض انصار المذهب القردي
١٤٨	التمييز العنصري بين القرد
١٤٩	التكذيب المرتجل ليس الطريق السوي للاقناع
١٥٠	كيف يكون الرد على الملحدين ؟
١٥١	كيف يسيء التزمتمون الى الدين ؟

١٥١	القول الفصل في نظرية داروين
١٥٢	القرآن لم يأت لاحضاء الحقائق الكونية
١٥٢	حقيقة موقف الاسلام من نظرية داروين
١٥٢	القول بتحدر الانسان من الحيوان لا ينافي الاسلام
١٥٣	تحذير مهم
١٥٥	التوقف اقوم سبيل
١٥٦	لا تنفوا باسم الاسلام ما لم ينفعه
١٥٦	التوقف لا ينافي القرآن
١٦١	ليس في الاسلام ما ينافي العقل او العلم
١٦٣	مراجع الكتاب
١٦٥	فهرس الاعلام
١٦٨	الفهرس



آثار المؤلف

سلسلة من معارك الاسلام الفاصلة

- ١ - غزوة بدر الكبرى (الطبعة الرابعة)
- ٢ - غزوة احد (الطبعة الثالثة)
- ٣ - غزوة الاحزاب (الطبعة الثانية)
- ٤ - غزوة بني قريظة (الطبعة الاولى)

كتب اخرى

- ٥ - القومية في نظر الاسلام (الطبعة الثالثة)
- ٦ - صراع مع الباطل (الطبعة الثانية)
- ٧ - لا .. يا فتاة الحجاز (الطبعة الثالثة)
- ٨ - لهيب الصراحة (الطبعة الثانية)
- ٩ - اسكات الرعاع
- ١٠ - الكدوبة الاشتراكية
- ١١ - هل هذا من العروبة ؟
- ١٢ - الاسلام ونظرية داروين (الطبعة الثانية)

تطلب كتب المؤلف من المكتبات التالية :

جدة - السعودية	}	- مكتبة الارشاد
		- مكتبة جدة
		- مكتبة الري
مكة المكرمة		- مكتبة الثقافة
الطائف		- مكتبة الثقافة
الدوحة - قطر		- مكتبة الثقافة
الكويت		- مكتبة المنار الاسلامية
بغداد		- مكتبة المثنى
بغداد		- دار النذير
عمان		- مكتبة الاقصى
الخرطوم		- مكتبة الفكر الاسلامي
الزاوية - طرابلس الغرب		- المكتبة الوطنية
دمشق		- مكتبة دار الفكر
بيروت		- دار الفكر الحديث
بيروت		- دار العربية
بيروت		- دار الارشاد

وكلاء التوزيع العام

دار الفتح للطباعة والنشر

ص.ب ٤٢٩٥ - بيروت